



تصدر عن مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر
بالتعاون مع الاتحاد الدولي للمؤرخين

في هذا العدد :

- النشاط التجاري في بلاد الشام في العصر الأموي
د. جليلة عبد الله حسين فضل الكريم
- الدور البريطاني في ترسيم الحدود السعودية العراقية (1340 - 1351 هـ / 1921-1932 م)
أ. نجود حمد فالح الشهراني
- سقيفة بني ساعدة (12 ربيع أول 11 هـ / 7 يونيو 632 م).
أ. إسراء إبراهيم بكري إبراهيم
- موانئ البحر الأحمر وأهميتها التجارية والسياسية خلال العصور الإسلامية
(ميناء باضع أمودجاً)
د. أسماء موسى عبد الله سعد
- المدارس التاريخية الكبرى الملامح والتطور
د. هاجر أبو القاسم محمد الهادي
- الأوبئة والأزمات من الخلافة الراشدة حتى العهد الأموي
د. منيرة محمد عبد الله



العدد الرابع - جمادي الأولى 1442 هـ - يناير 2021 م

فهرسة المكتبة الوطنية السودانية-السودان

مجلة القلزم: Alqulzum Journal for:

Historical and cultural Studies

الخرطوم : مركز دول حوض البحر الأحمر 2021

تصدر عن دار القلزم للنشر والتوزيع -السودان

ردمك: 1858-9952

الخرطوم- السودان

مجلة القلزم للدراسات الحضارية والتاريخية

الهيئة العلمية والإستشارية

- البروفسير/ حسن أحمد إبراهيم- السودان- رئيساً
البروفسيرة/ سارة بنت عبد الله العتيبي- المملكة العربية
السعودية - عضواً
البروفسير/ أسامة عبد الرحمن الأمين- السودان - عضواً
البروفسير/ أبو هريرة عبد الله محمود يعقوب- السودان- عضواً
البروفسير/ أشرف محمد عبد الرحمن مؤنس - جمهورية مصر
العربية- عضواً
البروفسير/ السمانى النصرى محمد أحمد - السودان- عضواً
الدكتور/ أحمد الياس الحسين - السودان- عضواً
الدكتور/ داود ساغى محمد عبد الله- السودان- عضواً
الدكتور/ سلطان أحمد الغامدى- المملكة العربية السعودية- عضواً
الدكتور/ سامي صالح عبد المالك البياضى- مصر - عضواً
الدكتور/ محمد أحمد زروق- المغرب- عضواً
الدكتورة/ سعاد عبد العزيز أحمد السودان- عضواً
الدكتور/ أحمد محمد مركز- السودان - عضواً
الدكتور/ باب ولد أحمد ولد الشيخ سيديا- موريتانيا- عضواً
الدكتورة/ عزة محمد موسى - السودان- عضواً
الدكتورة/ حنان عبد الرحمن عبد الله التجاني- السودان
الدكتورة/ ربيعة أحمد عمران المداح- ليبيا- عضواً

هيئة التحرير

المشرف العام

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم البيضاني

رئيس هيئة التحرير

د. حاتم الصديق محمد احمد

رئيس التحرير

د. عوض أحمد حسنى شبا

سكرتير التحرير

د. سلوى التجاني فضل جبر الله

التدقيق اللغوي

أ. الفاتح يحيى محمد عبد القادر

الإشراف الإلكتروني

أ. المعز خلف الله عوض الله

التصميم الداخلي

أ. عادل محمد عبد القادر

تصميم الغلاف

إيلين عبد الرحيم ابنعوف

الآراء والأفكار التي تنشر في المجلة

تحمل وجهة نظر كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن آراء المركز

قواعد النشر في مجلات القلم

تعريف المجلة:

مجلة (القلم) مجلة علمية محكمة تصدر عن مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر. تهتم المجلة بالبحوث والدراسات التي تخص حوض البحر الأحمر والدول المطلة عليه والمواضيع ذات الصلة.

موجهات المجلة:

1. يجب أن يتسم البحث بالجودة والأصالة وألا يكون قد سبق نشره قبل ذلك.
 2. على الباحث أن يقدم بحثه من نسختين. وأن يكون بخط (Traditional Arabic) بحجم 14 على أن تكون الجداول مرقمة وفي نهاية البحث وقبل المراجع على أن يشار إلى رقم الجدول بين قوسين دائريين ().
 3. يجب ترقيم جميع الصفحات تسلسلياً وبالأرقام العربية بما في ذلك الجداول والأشكال التي تلحق بالبحث.
 4. المصادر والمراجع الحديثة يستخدم أسم المؤلف، اسم الكتاب، رقم الطبعة، مكان الطبع، تاريخ الطبع، رقم الصفحة.
 5. المصادر الاجنبية يستخدم اسم العائلة (Hill, R).
 5. يجب ألا يزيد البحث عن 30 صفحة وبالإمكان كتابته باللغة العربية أو الإنجليزية
 6. يجب أن يكون هناك مستخلص لكل بحث باللغتين العربية والإنجليزية على ألا يزيد على 200 كلمة بالنسبة للغة الإنجليزية. أما بالنسبة للغة العربية فيجب أن يكون المستخلص وافياً للبحث بما في ذلك طريقة البحث والنتائج والاستنتاجات مما يساعد القارئ العربي على استيعاب موضوع البحث وبما لا يزيد عن 300 كلمة.
 5. لا تلتزم هيئة تحرير المجلة بإعادة الأوراق التي لم يتم قبولها للنشر.
- * على الباحث إرفاق عنوانه كاملاً مع الورقة المقدمة (الاسم رباعي، مكان العمل، الهاتف، البريد الإلكتروني).
- نأمل قراءة شروط النشر قبل الشروع في إعداد الورقة العلمية

الخرطوم - السودان

المحتويات

- النشاط التجاري في بلاد الشام في العصر الأموي (22-1)
- د. جلييلة عبد الله حسين فضل الكريم
- الدور البريطاني في ترسيم الحدود السعودية العراقية (-1340 1351 هـ / 1921-1932م) (50-23)
- أ. نجود حمد فالح الشهراني
- سقيفة بني ساعدة (12 ربيع أول 11هـ / 7 يونيو 632م) (68-51)
- أ. إسراء إبراهيم بكري إبراهيم
- الأسلوب العقائدي لمكافحة الأوبئة وتعزيز الصحة العامة (فيروس كورونا (COVID-19) أمهوجاً (94-69)
- د. آمال محمد سعد النور موسى
- موانئ البحر الأحمر وأهميتها التجارية والسياسية خلال العصور الإسلامية (ميناء باضع أمهوجاً) (124-95)
- د. أسماء موسى عبد الله سعد
- علاقة العرب ببلاد البجة وأثرها الحضاري في صدر الإسلام (138-125)
- أ.د. نصر الدين جار النبي سليمان
- تمرد الفرقة الجنوبية في تويرت 1955م (154-139)
- د. نجاة أبو القاسم محمد
- الصحابي الجليل يعلى بن أمية رضي الله عنه «سيرته وحياته» (178-155)
- د. زكية عبد ربه اللحياني
- المدارس التاريخية الكبرى الملامح والتطور (200-179)
- د. هاجر أبو القاسم محمد الهادي
- الأوبئة والأزمات من الخلافة الراشدة حتى العهد الأموي (220-201)
- د. منيرة محمد عبد الله

كلمة التحرير



الحمد لله رب العالمين ونصلى ونسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

وبعد

القارئ الكريم:

بعد التحية والاحترام يسعدنا أن يصدر العدد الرابع من مجلة القلم العلمية الدولية المحكمة للدراسات التاريخية والحضارية مع إطلالة العام الميلادي الجديد، نسأل الله تعالى أن يجعله عام خير ورخاء وأمن وسلام.

القارئ الكريم:

قد تلاحظون أن أعداد هذه المجلة المتخصصة قد صدرت تباعاً، مما يشير إلى مدى الاهتمام الكبير الذي حظيت به هذه المجلة من قبل الباحثين والأكاديميين الذين شاركوا بأعداد كبيرة من البحوث والدراسات العلمية الرصينة، ونأمل أن يستمر هذا التعاون العلمي المثمر لتحتل هذه المجلة المتخصصة مركز الصدارة في مجال الدراسات التاريخية والحضارية بإذن الله تعالى.

أسرة التحرير

النشاط التجاري في بلاد الشام في العصر الأموي

باحثة

د. جلييلة عبد الله حسين فضل الكريم

المستخلص:

هدفت الدراسة إلى التعرف على النشاط التجاري في بلاد الشام في العصر الأموي وبيان كثير من جوانب الحياة الاقتصادية، وتمثلت الأهمية في دراسة الحياة الاقتصادية في العصر الأموي، وقد انتهجت الدراسة المنهج التاريخي التحليلي الوصفي، وذلك لتحديد أهمية النشاط التجاري في الدولة الأموية والعوامل التي أثرت في بيئة اقتصاد الدولة الأموية في التجارة والصناعة، وتوصلت هذه الدراسة إلى جملة من النتائج أهمها: أن موقع بلاد الشام الجغرافي ساعد في عملية التبادل التجاري مما أدى إلى زيادة دخل الدولة، ونجاح الأمويين في تحقيق الازدهار الاقتصادي في بلاد الشام، وتوصى الدراسة بعدد من التوصيات أهمها: توصي بضرورة إجراء مزيد من الدراسات المستقبلية التي تكشف لنا الجوانب التي مازالت مغمورة، وإجراء مسح ميداني وحصص البحوث والرسائل الجامعية التي تم إنجازها في هذا المجال بهدف تقويمها واستنباط موضوعات دراسية مستقبلية.

Abstract

This study aimed to identify commercial activity in Bilad Elsham in the Umayyad era and to show many aspects of economic life. The importance of the study represent in economic life in the Umayyad era .The study has adopted the historical analytical approach. In order to determine the importance of commercial activity in the Umayyad State and the factors that influenced the environment of the Umayyad State's economy in trade and

industry, That the geographical location of Bilad Elsham helped in the process of trade, which led to increased state income, and the success of the Umayyads in achieving its increase. Recommends mentioned to conduct more future studies that reveal the aspects that are still submerged, field survey and research inventory.

المقدمة

تبرز أهمية دراسة تاريخ الشام كونها أول موطن للأنبياء ومهد للرسالات السماوية، تتميز بلاد الشام بموقع جغرافي جعلها معبراً رئيسياً لتجار الشرق والغرب فضلاً عن خصوبة تربتها، وطيب مناخها، ووفرة محاصيلها مما جعلها منذ الأزمنة مطمعاً ومراكز للحضارة العالمية عامة والإسلامية خاصة، وكانت التجارة تلعب دوراً مهماً في اقتصاد البلاد.

ومن وراء القدرات الهائلة التي قام بها خلفاء الأمويين أمثال معاوية وعبد الملك والوليد بن عبد الملك اتجهت الدراسة للحياة الاقتصادية في بلاد الشام وكانت النواحي الاقتصادية في تلك البلاد تلعب دوراً مهماً.

النشاط التجاري:

التجارة وسيط نافع بين الصانع والمستهلك تقوم بترويج البضاعة وتسويقها وثم تحسينها وتعتمد كذلك على المهارة والجهد وتتعرض في الوقت ذاته للربح والخسارة⁽¹⁾. تعود أهمية التجارة إلى كونها مصدراً مهماً من مصادر الثروة والغنى، بالإضافة إلى دورها المؤثر في تحسين ظروف المعيشة وإشاعة الرخاء في المجتمع وقد عرفت بلاد الشام منذ القدم بدورها التجاري⁽²⁾ مما جعلها جسراً بين الشرق والغرب ومركزاً استراتيجياً مهماً في تلقي المؤثرات المختلفة وسهولة التواصل مع الآخرين، وفي زيادة حيوية وفعالية حركة التبادل التجاري لمختلف أنواع البضائع، كان ذلك عبر شبكة من الطرق المواصلات البحرية والبرية.

التجارة الداخلية:

تعتبر بلاد الشام من أهم المناطق في العالم في الإنتاج الزراعي من ناحية، من ناحية أخرى في تبادل المنتجات الزراعية الصناعية التي تعتمد على

التصنيع الزراعي وغيرها من المنتجات التي يمكن تبادلها داخلياً وخارجياً، فمنذ أن كان الإنسان في هذه المنطقة ينتج أكثر من حاجته للاستهلاك وأصبح لديه فائض إنتاجي، وأخذ يتبادل سلعه مع جيرانه من الدول المجاورة (مصر والعراق مثلاً وكذلك فيما بين مدن المنطقة نفسها⁽³⁾) وقد أسهمت بلاد الشام كبيراً في هذا العمل وكان لازدهار التجارة في بلاد الشام في العصر الأموي صلة وثيقة بالعهد السابق لقيام هذه الدولة .

وكان لتجار مكة صلة تجارية كبيرة ببلاد الشام وخصوصاً بالنسبة للطرق المؤدية إلى فلسطين ودمشق وبعض موانئ البحر المتوسط مثل غزة، وهذه التجارة استمرت فترة طويلة قبل الإسلام يسرت لزعماء مكة التجاريين المعرفة التامة للأوضاع السائدة في جنوب بلاد الشام بشكل خاص، والقواد الذين انتدبهم أبو بكر والذين قادوا الحملات في أيام عمر (13 — 23هـ) — (634 — 644م)، كانوا من المهاجرين المكيين، كانوا على معرفة بالبلاد وطرقها ودروبها، فليس هناك غرابة في توجيهات فتح الشام عن طريق تجارة العرب في تجارتهم إلى بلاد الشام .وقد ارتبطت هذه الطرق التي سلكتها تجارة بلاد الشام بمدن مهمة كان لها الدور الكبير في اتساع التجارة وازدهارها في العصر الأموي، وبعض هذه المدن كان لها دور كبير في ازدهار هذه التجارة منذ العهد البيزنطي، وبعضها الآخر نما وازدهر عقب الفتح الإسلامي⁽⁴⁾. مر تطور التجارة الداخلية في عهد عبد الملك بن مروان بمرحلة ضعف بسبب عوامل أثرت على حجم التجارة و كان من أبرزها ما يلي :

1. كثرة الفتن والقلقل الداخلية التي عصفت بمعظم أركان الدولة الأموية من المعلوم بدايته إلا أن الاستقرار السياسي والأمن الداخلي من أولويات ازدهار التجارة الداخلية و نموها.
2. نقص السيولة النقدية.
3. صعوبة دفع الائتمان للصفقات التجارية على الخصوص الكبيرة منها.

4. ارتفاع نسبة الضرائب على التجارة حيث روي أنها وصلت إلى 33% مع بداية 77هـ نمت التجارة الداخلية وازدهرت، وكان وراء ذلك العديد من الأسباب من أبرزها زيادة السيولة النقدية الداخلية وذلك بإصدار العملة الإسلامية الجديدة الموحدة التي تطورت من حيث الدقة والانضباط والعيار حتى أصبحت محل ثقة المتعاملين في الأسواق وأصبحت تلقى قبولاً عاماً مما سهل عملية المبادلات بشكل كبير وحل عدد النقود محل وزنها، وبذلك كانت عملية الإصدار نقطة تحول في تطور التجارة الداخلية بشكل خاص (5) حدث هدوء استقرار نسبي داخل الدولة الأموية بعد القضاء على الثورات الداخلية (6) تمت في هذه المرحلة بعض الإصلاحات التي كان من شأنها تسيير الصفقات التجارية، وعلى سبيل المثال وليس الحصر توحيد وحدة الكيل والميزان من قبل الحجاج بإقليم العراق، وتنظيم الأسواق مما يسهل ويخدم الحركة التجارية، وجود خدمات لراحة التجار، كالفنادق، الحمامات داخل الأسواق. مدن الشام كانت تزدهر فيها التجارة أكثر من غيرها وتعتبر مركزاً تجارياً مهماً. (7)

الأسواق التي كانت تقام في المدن :-

تعددت المدن التجارية المهمة في بلاد الشام منذ أمد بعيد إلا أن بعض المدن قد استمرت في الاحتفاظ بازدهارها ونشاطها التجاري عقب الفتح الإسلامي . بعضها تلاشى تماماً، أو فقد أهميته التجارية وأصبح مجرد قرية أو مدينة خاملة . نمو المدن الداخلية لبلاد الشام يعود إلى تركيبة من التطورات الاقتصادية والسياسية. إن معظم الطرق التجارية عبر سوريا ترتبط بالعراق والحجاز، وكانت المدن الداخلية مثل حلب دمشق في موقع مثالي لتستفيد من هذه الحركة التجارية.

فلسطين موقعها التجاري بصفة خاصة أنها على الركن الجنوبي من الساحل الشرقي للبحر المتوسط هكذا كانت الأهمية تجارة دمشق التي

والخضروات، التي تتلف سريعاً. ويبدو أن السلع المعروفة في أسواق بلاد الشام وخاصة المنتجات الزراعية التي تشتهر بها كل مدينة، والمنطقة المحيطة بها ظلت عبر العصور ثابتة وإن كان الأمر لا يخلو من بعض التطورات، أو التغيير حسب الحاجة الاستهلاكية لكل مدينة وقريّة .

كانت أسواق بلاد الشام حلب تعادل أسواق دمشق في الاتساع أو ما يعرض فيها من بضائع مختلفة كالحرير والصوف⁽¹¹⁾.

المساحة التي يحتلها التجار في السوق تختلف بحسب طبيعة عملهم، وحاجة سكان المدينة إلى بضاعتهم .

وكان للشاميين مواعيد لأسواقهم الموسمية عرفت منذ الجاهلية، فقد كان النبط يقومون على العرب، و يقيمون لأنفسهم أسواقاً سنوية يحشدون لها.⁽¹²⁾ كما أن زارعات كانت تقيم سوقاً سنوية يعد سوق بصري بسبعين ليلة يطول أمدها، وغالباً ما تكون طوال الصيف. اعتاد المسلمون بصفة عامة أن يقيموا الأسواق في أوقات معينة في المدن التجارية المهمة في دمشق، وكان فيها التجار وأصحاب الحرف حيث تنشط الحركة التجارية وتتنوع بها السلع القادمة من مختلف الجهات بحكم أنها عاصمة الخلافة الأموية⁽¹³⁾.

كان بالأسواق عمال يشرفون على تنظيمها ويعملون على عدم بروز الحوانيت حتى لا يعوق ذلك نظام المرور داخل السوق، كما كانوا يتولون اسيتفاء الديون واختيار الموازين و المكايل،

الرقابة على الأسواق :-

معاقبة التجار ومنع التدليس والغش في المقاييس والمكايل والموازين، قد جرت العادة أن يوكل أمر المراقبة إلى المحتسب فيها، مهما يكون نوع هذه المهنة، سواء كان طبيباً أو معلماً، الواقع أن المحتسب برغم مراقبة الأسواق لم يكن يحق له تسعير البضائع ولا إلزام الباعة بسعر محدد امتثالاً لما كان يفعله رسول الله (ﷺ) إلا أنه كان ينبغي عليه محاربة الغلاء والاحتكار، لأن الاحتكار حرام في الإسلام قد قال رسول الله (ﷺ) (الجالب مرزوق والمحتكر ملعون) وقال أيضاً (لا يحتكر إلا الخاطيء) .

كما كان المحتسب يحارب وسائل المخادعة والغش في التجارة ويمنع التجار من شراء بضاعة القوافل وهي خارج البلد قبل وصولها إلى السوق إلا أنه لم تظهر صورة عمل على المحتسب واضحة إلا في نهاية العصر الأموي. وكان الخليفة الوليد بن عبد الملك يمر في سوق البقالين و يسأل عن ثمن حزمة البقل ثم يقول : (زد فيها فإنك تربح) وربما فعل الخليفة ذلك مع مختلف الباعة . ورقابة الأسعار حتى لا ترتفع عما يناسب دخل الرعية كما كان هشام عبد الملك يقف بباب القصاب فيسأله عن سعر اللحم، ورأى رجلاً من خاصته يبتاع لحمًا فغمزه فأتاه فسأله : بكم يشتري ؟ فقال : بدرهم . قال هشام : أحسنت و أكثر من هذا السوق ، كما كان يقف بباب البقال و يسأله بكم يبيع الحزمة من كان و كذا فيقول له البقال : بفلسين، فيقول هشام له زد فيها فإنها تستحق أكثر من ذلك⁽¹⁴⁾ ولربما كان الخلفاء يتدخلون في تخفيض الأسعار يؤكد ذلك أن رجلاً قال للخليفة عمر بن عبد العزيز (ما بال الأسعار غالية في زمانك، وكانت في زمان من قبلك رخيصة؟ قال : إن الذين كانوا قبلي يكلفون أهل الذمة فوق طاقتهم، فلم يكونوا يجدون بدأ من أن يبيعوا أو يكسر ما في أيديهم . وأنا لا أكلف أحداً إلا طاقته، فباع الرجل كيف شاء، فقال : لو إنك سعرت لنا - قال ليس إلينا من ذلك شيء إنما السعر لله.⁽¹⁵⁾

أسلوب التعامل في أسواق بلاد الشام (النظام النقدي):

كان استخدام النقد البيزنطي والفراس العملة الثابتة، فيما بعد الدينار العربي النقي والمستقر إلى حد بعيد، فقد لعب بدوره كاملاً مساعداً للتجارة . أما المتعاملون على الأطعمة فعليهم التقاضي في المجلس اختلف جنس المبيع والمشتري أم لم يختلف فلا يكون البيع لوقت مؤجل وهكذا يتبين أن التعامل النقدي مع تجارة الأطعمة ينبغي أن يتم البيع والشراء في وقته فلا يؤجل دفع المبلغ إلى وقت آخر ويضاف إلى زيادة في المال . إلا أن منع الربا كان عاملاً معيقاً للأعمال سلباً على نشاط التجار يضعف من حركة التجارة ولكن في الواقع كان ممكناً، حيث أن أهل الذمة من المسيحيين هم الذين كانوا

يقومون بأعمال الصيرفة وإقراض المال وبجميع المعاملات المالية. إن بعض التجار المسلمين كانوا يلجأون في تقديم القروض إلى أسلوب فيه تحايل على الشرع، بحيث إن هذا الأمر كأن يتم على الشكل التالي: فقد كان المدين يبيع السلعة إلى الدائن بقيمة القرض المتفق عليه، ثم يعود الدائن فيبيع السلعة المدين بقيمة القرض مضافاً إليه أو الفائض بهذه الطريقة كان يتوفر الحل، فيستمر البيع. المؤجل يعتبر من مخاطر التجارة بتعريض التاجر إلى فقدان أموالهم، وقد كان أسلوباً متبعاً عند غالبية التجار مما يوضح ذلك أن أحد التجار قد تخلى عن مهنة التجارة بسبب اعتماد البيع المؤجل⁽¹⁶⁾. ويؤكد على ذلك البيع المؤجل كان طريقة شبة سائدة في العمل التجاري وكان التجار يقومون بتأسيسه في سبيل زيادة فعالية التجارة حيث كانوا يساهمون فيها بما لديهم من أموال نقدية أو بفروض استدانوا، قد تكون المساهمة في الشركة بتقديم المال و ممارسة العمل كذلك أو بواحد منهما⁽¹⁷⁾.

يقوم صاحب المال على تقديم ماله لآخر ليتاجر به لقاء حصة من الربح يتفق عليها وسمي بالمضاربة ويتضمن هذا الاتفاق شروطاً يفرضها صاحب المال على المضارب وهي تجديد أنواع السلع التي يدب المتاجرة بها، وأن يتحمل أي خسارة تلحق بالتجارة وبرأس المال. أما الالتزامات التي تقع على عاتق صاحب المال، فهي تأدية نفقه للمضارب في طعامه ومسكنه وكسوته، باع بالإضافة إلى دفع أجور النقل أما في معاملات الاستدانة في العصر الأموي فكانت تستخدم رسمياً وتتضمن شروطاً والتزامات من نوع الضمانات القوية الواضحة⁽¹⁸⁾.

وحدات الكيل والوزن والقياس :

تناول الإسلام أمور الاقتصاد في الحياة لموضوع النقود، والمكاييل والموازين، وأكد على إقامة المكاييل والموازين بالضبط وعدم الطغيان والتطيف فيها قال تعالى: (وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ، الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ)⁽¹⁹⁾ ودعا الرسول (ﷺ) للمدينة في مدها وصاعهم قال: المكيال مكيال المدينة، والميزان ميزان مكة اتخذ الرسول (ﷺ) الصاع مكيالاً شرعياً علق به بعض الأحكام

العبادات مثل صدقة الفطر، صار الوحدة الأساسية في تقدير المكايل الأخرى . من مكايل الشام المدى، وبعضها من مكايل مصر من الوبية والأردن، وقد تم تجديد وزن الصاع النبوي والمحافظة عليه، على أن يكون وحدة كيل أساسية . تواصلت الدولة بالمحافظة على الصاع من التغيير زيادة أو نقصان ففي خلافة معاوية قام أمير المدينة مروان بن الحكم بجمع الصاعات وعند قام عبد الملك بن مروان جاء صلاح النقود فحص عن المكايل والأوزان أيضا وقام الحجاج بن يوسف باتخاذ القفيز في العراق و جعله كمثال الصاع النبوي وقد عرف بالمختوم الحجاجي، عرف بالمختوم الحجاج في نسبة إلى الحجاج أما المختوم فلانا الحجاج والأمراء من بعدي كان يجعلون من أعلاه خاتماً مطبوعاً لئلا يزيد فيه ولا ينقص منه.⁽²⁰⁾

التجارة الخارجية

عرفت بلاد الشام منذ عصور سحيقة بأهميتها التجارية سواء كان ذلك فيها تنتجه تلك البلاد وتصدره إلى بلاد أخرى، أو ما كان تتمتع به من موقع يجعلها جسراً لطريق التجارة المار عبر الشرق والغرب والشمال والجنوب لمرور قوافل وسفت التجارة العالمية، فقد ازدهرت دمشق لمركز تجاري عند ملتقى طرق القوافل الصحراوية، كما كانت تدمر مركزاً مهماً للقوافل التجارية بين العراق والشام. ولعبت بها المدن الشامية دوراً كبيراً في ترويح البضائع خاصة الحرير.⁽²¹⁾

ازدهرت التجارة الخارجية في العصر الأموي خاصة في عهد معاوية بن أبي سفيان وابنه وهناك عدة عوامل ساهمت في ازدهار التجارة مع الدولة البيزنطية منها:

1. كثرة الاضطرابات والحروب في المنطقة الشرقية من الدولة الأموية، مما خفض من حجم المبادلات التجارية بينها وبين دول المشرق ولو بشكل جزئي، وبالتالي زيادة حجم المبادلات التجارية مع دولة بيزنطة بالغرب .
2. الاستقرار الأمني في الدولة الأموية، دفع بكثير من رؤوس الأموال

للهجرة من مناطق التوتر في الشرق إلى إقليم الشام، بحثاً عن فرص استثمار تجارية آمنة .

3. الاعتماد الكلي لكل الدولتين على الأخرى في مجال هام وحيوي بنسبة لها، فكلما كانت الدولة البيزنطية تعتمد كلياً على أوراق البردي، كانت الدولة الأموية تعتمد كلياً على أوراق البردي، كانت الدولة الأموية تعتمد كلياً على حجم النقد الذهبي داخلها على ما يريدها من الدولة البيزنطية⁽²²⁾.

وأيضاً من العلامات التي تدل على ازدهار التجارة بين الطرفين في عهده معاوية ومن بعده لمائة دنانير الذهبية البيزنطية التي كانت موجودة في داخل الدولة الأموية وتتم بها عمليات التداول الداخلية، وتعدد الطرق ساعد على نمو التجارة منها .

أ - الطرق البرية :

وعرف العرب منذ الجاهلية التجارة بين اليمن والشام، فكانت لقريش رحلتا الشتاء والصيف، حيث كانت رحلة الشتاء إلى اليمن ورحلة الصيف إلى الشام .

ومقرها بصدى من أرض الشام، ولقد لعبت بصدى عدة أدوار مهمة في تجارة القوافل فهي مفتاح الطريق إلى دمشق⁽²³⁾ .

ومع إطلاقة فجر الإسلام على بلاد الشام واستقرار كثير من العرب فيها بعد الفتح الإسلامي ازدادت التجارة أشعاعاً، ذلك أنه قد توفرت للعرب المسلمين في بلاد الشام فرصتين ذهبيتين معاً فأولهما : حبهم ومعرفتهم للتجارة وأساليبها .

والثانية : مركزها الرئيسي في بلاد الشام وما بها من خيرات وإضافة إلى موقعها المهم للتجارة العالمية، وقد تعددت الطرق المارة ببلاد الشام لنقل المتاجر إليها من جميع الجهات، فقد كان هناك طريق للقوافل يجعل تجارة اليمن والحجاز بمحاذاة البحر الأحمر⁽²⁴⁾، وهذا الطريق هو الذي كانت تسلكه قريش إذا أرادت الشام، وهو الطريق الذي سلكته قافلة قريش القادمة من

الشام والتي اعترضها فيه المسلمون فكانت غزوة بدر الكبرى⁽²⁵⁾ وقد ذكر بن الأثير ان أهم تجار قريش كانت الفضة⁽²⁶⁾.

وأما البضائع الهند وفارس كانت تنتقل برا عن طريق عمان والعراق إلى البادية، حتى ينتهي بها المطاف إلى البلاد الشام⁽²⁷⁾.

ومن أهم الطرق التي اهتم بها المسلمون هو طريق الحج الشامي فقد كان الراكب يخرج من المدينة دمشق حيث يجتمع الحجاج في هذه المدينة حيث يتجهون إلى قرية تسمى (الكوة) تنزل بها القوافل فتتزوّد منها بالماء لوفرة الأنهار بها⁽²⁸⁾، ومنها إلى الضمين وهي قرية في أوائل حوران ومنها إلى بصدى وهي أول المدن التي أفتتحها المسلمون في بلاد الشام⁽²⁹⁾، ويسير الراكب متجهاً إلى أبله وهي آخر مدن الحجاز وأول الشام على ساحل البحر الأحمر فيجتمع بها حجاج الشام وحجاج مصر⁽³⁰⁾ ثم إلى تبوك في اتجاههم إلى المدينة ثم إلى مكة، كما كان لهذا الطريق أهميته في الفتوحات الإسلامية حيث عبر أبو عبيدة طريقه إلى بلاد الشام، فاعترضته قافلة إلى قريش محملة بالسكر والفواكه المجففة فاستولت عليها.

ولقد كان هذا الطريق أهميته التجارية حيث كانت تصل قوافل التجارة تصل إلى المدينة ومنها تجارة عبد الرحمن بن عوف⁽³¹⁾.

وكان هنالك طريق آخر لتجارة الصين والشرق ومروراً بأوسط آسيا وإيران وبلاد العراق، ومنها عبر البلقاء إلى تدمير ثم إلى عدن فلسطين وموانئها ولقد كان لطريق تدمير أهمية كبيرة في نقل التجارة العالمية من الشرق والغرب قبل الإسلام، وإذا كان هذا الطريق قد فقد كثيراً من أهميته بعد سقوط تدمير، إلا أنه ما لبث ان استعاد هذه الأهمية بعد اتخاذ الأمويين إلى بلاد الشام لخلافتهم.

وأما تجارة دمشق وطرق القوافل بها، ظل الطريق التجاري بها قائماً بدون تغيير في عهد الخلفاء الراشدين والأمويين، فقد كانت سياسة الأمويين تقوم على العمل على تسهيل نقل التجارة لما في ذلك من أهمية في إنعاش الحركة التجارية في بلاد الشام⁽³²⁾، فقد كان القوافل تصل إلى دمشق عن

طريقين : إحداهما : طريق يحاذي الطريق النهري عبر الفرات، ثم تنطلق إلى دمشق، والطريق الثاني : يبدأ من اليمن ويجتاز بلاد الحجاز إلى بصدى ثم إلى دمشق عبر البادية الشام .

عني الأمويين بتسيير سبل التجارة، فنشروا الأمن والطمأنينة في أنحاء دولتهم، وأقاموا المحطات والآبار في طرق القوافل الحج موضوع العناية الخلفاء⁽³³⁾، فمن ذلك ما حدث في سنة 70 هـ في خلافة عبد الملك بن مروان حيث تضرر الناس في القرى الموصلة إلى مكة من جراء الأمطار فاهتم بذلك عبد الملك وأرسل إلى عاملة الأموال ليقسمها على كل من تضرر، كما اهتم الوليد بن عبد الملك فكتب إلى عامله على المدينة المنورة عمر بن عبد العزيز تسهل الثانية وحفر الآبار في البلدان⁽³⁴⁾، وفي سنة 61 هـ حج الوليد واهتم بطريق الحج وقسم الأموال والدقيق⁽³⁵⁾، وفي عهد عمر بن عبد العزيز اهتم بطرق الحجيج وحفر الآبار في مناطق مختلفة في طريق الركب الشامي⁽³⁶⁾.

وقد كان لهذه الطرق التجارية والموسمية المهمة العناية بطرق ومنازل المارين بها، كما كان يوجد في دمشق فنادق أشبه بالأسواق الكبيرة ينزل بها التجار القادمون إليها، فيضعون بضائعهم في أسفلها، وينامون في أعلاها، وأنه كان يطلق على هذه الأسواق اسم المخازن أو الفندق، وكانت (الكسوة) أول منزل تنزله القوافل إذا خرجت من دمشق متجهة إلى الحجاز أول إلى مصر⁽³⁷⁾.

ب - الطرق البحرية :

إذا نظرنا إلى بلاد الشام من ناحية موقعها البحرية والبرية على التوالي، وجدنا أنها تتميز بموقع فريد، ذلك أن موقعها الجغرافي جعلها مركزاً هاماً لالتقاء التجارة العالمية وتفرعها منها وأليها، حيث تلقى بتجارة العالمية وتفرعها منها وأليها، حيث تلتقي بتجار الشرق الأقصى، وتجارة الجنوب العربي، وتجار أفريقية وأرويا عبر موانئ رئيسية هامة وخطوط ملاحية لعبت دوراً هاماً في التجارة العالمية البحرية إلى بلاد الشام عبر طريقين :

الطريق الأول : هو الخليج العربي، من أهم الطرق الملاحية الناقلة لتجار الشرق الأقصى والعين إلى بلاد الشام، فكانت التجارة تصل إلى موانئ

الخليج العربي، ثم تنقل بحراً عن طريق نهر الفرات⁽³⁸⁾، ومنه عبر بادية الشام إلى مدن الشام وموانئه الرئيسية، ومنها عبر البحر الأبيض المتوسط إلى أوربا⁽³⁹⁾ ويبدو ان صحاري وهو م أقدم موانئ عمان - كان لها دور كبير في هذه التجارة فقد ذكر الحميري بأنه كان يقصدها التجار، وأليها تجلب بضائع اليمن، ويتجهز منها أنواع التجارات، وتسافر منها مراكب العين⁽⁴⁰⁾ . هذا وقد ازدادت أهمية الدور الذي يلعبه طريق الخليج العربي في حركة التجارة العالمية بين الشرق والغرب بعد أن قامت الخلافة العباسية وأصبح العراق مركز الدولة الإسلامية، بل ازدادت أهمية الطريق أكثر بعد أن قام التجار والمسلمون برحلاتهم لبحرية إلى الشرق الأقصى ووصلوا إلى سواحل الصين⁽⁴¹⁾ .

الطريق الثاني وهو طريق البحر الأحمر : وعن هذا الطريق كان يعتبر ميناء أيلة (العقبة) باب لبلد الشامية على المحيط الهندي وأفريقية والشرق الأقصى . ومن هنا جاءت أهمية التجارية والإستراتيجية، أضف إلى ذلك أن موقعها في فم رأس الخليج الذي جعلها تتحكم أيضاً في طرق المواصلات البرية، التي تربط مصر والشمال الأفريقي بالحجاز وجنوب الجزيرة العربية إلى بلاد الشامي⁽⁴²⁾ .

وقبل الإسلام كانت الحرب سجالاتاً بين البيزنطية والحبشة من، والفرس من جهة أخرى السيطرة على تجارة البحر الأحمر، حتى أشرقت شمس الإسلام، فدخل تاريخ تجار لبحر الأحمر مع هذه الإشراقة في طور جديد كان العرب فيه سادت البحر، وفي العصر الأموي ازدهرت تجار البحر الأحمر، والمحيط الهندي، واهم الخلفاء الأمويين بتجار الشرق، وعملوا على إنشاء محطات تجارية على الساحل الشرقي الأفريقي، لتأمين هذه التجارة، ويشهد على ذلك قد قام الخليفة بن عبد الملك بن مروان (65 - 86) هـ من إرسال قوات في سنة 75هـ إلى ساحل افريقية الشرقي حيث اتخذت هذه القوات قاعدة لها في جزيرة لامو الواقعة في المياه الساحلية ما بين الصومال وكينيا - هذا وقد قام الأمويين عقب نزول قواتهم في ارخيللامو بإنشاء عدد كبير من

المواني التجارية على الساحل الأفريقي الشرقي لحماية تجار الشرق في مياه المحيط الهندي⁽⁴³⁾، وحظيت ارويا من هذين الطريقين إلى بلاد الشام بسلع وبضائع الشرق الأقصى وشرق أفريقية، وجنوب الجزيرة العربية، وكان لتجار اليهود الرادنية، دور في هذه التجارة، فقد ذكر ابن خرداذية: أن تجار اليهود كانوا يملكون ثلاثة طرق: الأول: طريق البحر من فرنسا إلى سوريا، ومن هناك العراق والخليج العربي حتى الهند والعين.

والثاني: عبر اسبانيا وبعد العبور مضيق جبل طارق إلى الساحل الشمالي الأفريقية حتى مصر فبالبحر الأحمر إلى الهند، الثالث عبر وسط أوربا إلى أرض الخرز (الأتراك الذين يعيشون حول بحر فزوين)، ومنها يعبر اليهود إلى داخل آسيا حتى يصلوا إلى الهند⁽⁴⁴⁾، كما ذكر الحميري أن القسطنطينية وخليجها المشهود وهو الداخل من بحر الشام في البحيرة التي تتصل بالقسطنطينية يصل إليها التجار المختلفون من العراق والشام⁽⁴⁵⁾. ويستدل من الدراسات التاريخية عن بعض المدن الشام الساحلية مثل طرطوس وانياسوالاذقية، أنها كانت من العصر الأموي مراكز دفاعية بحرية، وأنه لم يكن لها أية أهمية اقتصادية أو سياسية أما المدن الساحلية التي اشتهرت في العصر الأموي بأهميتها السياسية والاقتصادية والتجارية، فهي صور وصيد وطرابلس، صور كانت المركز السياسي والإداري وعاصمة لجنوب لبنان وأحدى القواعد البحرية في العصر الأموي، بينما كانت صيدا ذات أهمية تجارية وكانت من أشهر أسواق العطور⁽⁴⁶⁾

أما طرابلس فقد أصبحت أكثر المدن أهمية في الساحل السوري في العصر الإسلامي، وكانت لها أهمية اقتصادية وحرية منذ عهد بعيد إذا أنها تعتبر المنفذ الرئيسي للطرق التجارية التي تصلها بأهم مدن الشام حلب دمشق وتدمير، وكذلك بالعراق والخليج العربي، ولقربها من غابات الأرز، أصبحت قاعدة لبضاعة السفن، وقد اهتم بها الخلفاء الراشدون والأمويين لكونها الميناء الطبيعي لمدينتي دمشق وحمص⁽⁴⁷⁾.

ج - صادرات بلاد الشام :

كان من أهم صادرات البلاد الشام القمح والدقيق والزيت⁽⁴⁸⁾، كما اشتهرت بتجفيف المشمش والفريك بالشمس⁽⁴⁹⁾ وكان ذلك من صادراتها الرئيسية لكثرة هذه المحاصيل بها، ومن الصادرات المشهورة في بلاد الشام أيضاً الفاكهة اليابسة (المجففة) والفسق واللوز والكعك⁽⁵⁰⁾ . وكانت دمشق تصدر المنسوجات إلبالقسطنطينية ومصر وارمينية، وبقية جهات سورية، وكانت لها تجارة واسعة مع منطقة حوران في زراعة الحنطة، كما كانت تصدر كل سنة جانباً كبيراً من الطحين إلى بيروت⁽⁵¹⁾، وكذلك العسل والسمن والملح والكبريت⁽⁵²⁾.

ومن المدن التي تشتهر بتصدير محاصيلها الزراعية معرة النعمان التي كانت تصدر التين والفسق إلى مصر⁽⁵³⁾، وكانت فلسطين تصدر الزيت والحروب والصابون والتفاح والقطن والنيلىة والتمور والحبوب والخضر والمنسوجات القسطنطينية والحريية، كما اشتهرت قرى الشام بصاراتها من الشام بصاراتها منذ عهد قديمة نظراً لخصوبة الأرض والكثرة، أراض رعى، الماشية⁽⁵⁴⁾، ومن صادراتها الصناعية التي اشتهرت بها أيضاً منذ العهود القديمة السيوف والزجاج والأدوات المطلية بالميناء، والفراء⁽⁵⁵⁾.

واردات بلاد الشام :

تعدت المصادر والمراجع في تصنيف الواردات القادمة إلى العالم الإسلامي بصفة عامة، فإذا كانت بلاد الشام ودمشق خاصة مقر الخلفاء بني أمية، فلا يستغرب أن تكون جميع هذه الموارد قد وصلت إلى بلاد الشام وأهمها العطور والطيبون التي عشقها العرب وعرفوها منذ القدم، إضافة إلى أن كثير من هذه الواردات التي انتقلت بضاعتها بعد ذلك إلى بلاد الشام، ومنها الحريية على سبيل، فمن وأرادت دمشق الأواني وأدوات الغزل والمنسوجات الحريية والصوفية والقطنية⁽⁵⁶⁾، والكتانية والنيلىة والأرز والسكر، والجلود المدبوغة، وكانت السيوف تستورد من الهند إلى بلدة الخط في عمان وتسمى الخطيبة⁽⁵⁷⁾، وقد عدت الغزوتين وواردات بلاد الشام من الشرق والجنوب،

فذكر أن سليمان بن عبد الملك كان يبحث إلى مهرة - بأرض اليمن - يشتري النجائب المهدية⁽⁵⁸⁾، كما ذكر أن تجار المسلمين كانوا يجلبون القرنفل من الجزيرة بريطاييل⁽⁵⁹⁾، وجلبون من سقطري الصبر⁽⁶⁰⁾ ودم الأخوين، والفلفل من مليار، ويجلبون من قرص اللادت الجيد والزواج والقرص، الزواج الذهبي ومعدن التوتيا من كرمان، كما وصف القزوين مدينة عدن على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن . أنها مرفأً مراكب الهند وبلده التجارة ومرابح الهند، وبها مغاص اللؤلؤ .

فمن التجارات الواردة إليها من الجنوب، وكان يجلب من سرنديب الحرير والياقوت بجميع ألوانه والبلور وأنواع كثيرة من العطر⁽⁶¹⁾، وكان يجلب القطران من القيارة، على مقربة من دجلة فيصل إلى الشام ومكة وإلى جميع البلاد البحرية، وكان العنبر الجيد يستخرج من البحر الأحمر، كما كانت قوافل الحجاز تنقل إلى فلسطين الجلد المدبوغ وبعض النباتات الطيبة والزيت الطائفي أحياناً ومن اليمن الروائح و العطور وبعض المنسوجات مثل الثياب النجرانية والسيوف إيمانية، ومن أفريقية الذهب والعاج والأنبوبي وريش النعام، كما كان المسك والعنبر القادم من فارس له أهمية كبرى في واردات بلاد الشام، أن يزيد بن عبد الملك يجب الخيل، فكان الناس يتنافسون في إهداء أفضلها إليه، وكان هشام بن عبد الملك يجب الثياب ونفائس اللباس، وكان الناس يتبارون في تجارتها.⁽⁶²⁾

الخاتمة

كانت بلاد الشام من أقدم العصور مهذاً للديانات السماوية ومعبراً لأهم طرق التجارة بين الشرق والغرب ونقلت التجارة عبرها إلى جميع أنحاء البلاد واهتم خلفاء الدولة الأموية بتنمية موارد الدولة والعناية بطرق الري وإصلاح الأراضي وبذلك توفرت الخامات الزراعية الهامة التي ساعدت على التصنيع وبالتالي وفرت مواد التصنيع في بلاد الشام، وحصلت على مورد آخر وهو مورد التجارة التي تنقطع عبر الطرق التجارية القديمة والمستحدثة منها

خلال الحكم الأموي وفي الختام توصلت الدراسة جملة من النتائج أهمها :

النتائج :

- 1) موقع بلاد الشام الجغرافي ساعد في عملية التبادل التجاري مما أدى إلى زيادة دخل الدولة .
- 2) نجاح الأمويين في تحقيق الازدهار الاقتصادي في بلاد الشام.
- 3) انتعاش الحركة التجارية الخارجية والداخلية في بلاد الشام وأثر ذلك على الحياة الاقتصادية.
- 4) استقرار الأوضاع الاقتصادية وازدهارها نتيجة للإصلاحات المالية التي قام بها الخلفاء الأمويون.

التوصيات :

توصي الباحثة بعدد من التوصيات من أهمها:

1. توصي بضرورة إجراء مزيد من الدراسات المستقبلية التي تكشف لنا الجوانب التي مازالت مغمورة.
2. إجراء مسح ميداني وحصص البحوث والرسائل الجامعية التي تم إنجازها في هذا المجال بهدف تقويمها واستنباط موضوعات دراسية مستقبلية.
3. الاهتمام والاستفادة من الجوانب الاقتصادية في بلاد الشام في العصر الأموي في بناء الحاضر.

فهرسة:

- (1) السايح، احمد عبد الرحيم، أضواء على الحضارة الإسلامية مركز الكتاب للنشر، ط1، 2001م، 1422هـ، ص 109.
- (2) فليب حتى تاريخ سويا و لبنان فلسطين، ج (و - ت)، ص389.
- (3) دلو، برهان الدين، مساهمة في إعادة كتابة التاريخ العربي الإسلامي، دار الفارابي للنشر، بيروت، 1985م، ص 113.
- (4) الجوهري، يسري عبد الرازق، دراسات في جغرافية المارد الاقتصادية، دار المعارف للنشر، ج3، 1973م، ص123.
- (5) حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، ط6، 1465 هـ، ج2، ص126.
- (6) ابن خلدون، العبر و ديوان المبتدأ الخبر، دار الكتاب اللبناني بيروت، ط1967، ج3، ص67.
- (7) رحال، عاطف، تاريخ بلاد الشام الاقتصادي في العصر الإسلامي ط1، بيان للنشر و التوزيع، بيروت، 2000م ص 164
- (8) رحال، عاطف، المرجع السابق، ص167.
- (9) الحموي، ياقوت، ت: 626 هـ، معجم البلدان، ج3 طبعة دار صادر، بيروت، 1399هـ\ 1979م، ص 465
- (10) رحال، عاطف، المرجع السابق، ص 183 ..
- (11) علي، محمد كرد، الإسلام الحضارة العربية، مطبعة لجنة التأليف، الترجمة النشر، القاهرة، ط3 1968م، ص 32 .
- (12) ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1 ص 303 .
- (13) عبد الرحمن، عفاف، عمرو بن العاص ودوره السياسي في الدولة الإسلامية (8هـ - 629م (43هـ\ 664م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النيلين، 1428هـ\ 2007م) ص 54 ..
- (14) حسن، حسن إبراهيم، المرجع السابق ص 128
- (15) ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص201
- (16) محمد أمين صالح، النظام المالي والاقتصادي في الإسلام، مكتبة نهضة الشرق القاهرة، 1984م، ص 93 - 94.

- (17) رحال، عاطف، المرجع السابق، ص 170
- (18) بسيوني، سعيد أبو الفتوح محمد، الحرية الاقتصادية في الإسلام وأثرها في التنمية، دار الوفاء للنشر، ط1، 1908هـ - 1988م، ص 591.
- (19) سورة المطففين، الآيات 1 - 2.
- (20) الحضري، عصام الدين هاشم، التطور الاقتصادي في العصر الأموي، دن، ص 196 .
- (21) السالم، السد عبد العزيز، المرجع السابق، ص 24
- (22) الصلابي، علي محمد، أمير المؤمنين معاوية، المرجع السابق، ج2، ص 305 .
- (23) ابن الأثير، المصدر السابق، ج2، ص 409 .
- (24) احمد، موسى عبد الغفار، المرجع السابق، ص 59 .
- (25) الطبري، المصدر السابق، ج2، ص 422.
- (26) ابن الأثير، ج2، ص 145.
- (27) الأفغاني، سعيد، المرجع السابق، ص 15 - 16 .
- (28) ياقوت المصدر نفسه، ج 4 ص 4 ص 465 .
- (29) ابن الأثير، المصدر السابق، ج2، ص409،، عاطف رحال، المرجع السابق،.
- (30) رحال، عاطف، المرجع السابق .
- (31) بن كثير، المصدر السابق، ج 7، ص 164 .
- (32) عبد الرؤوف، عصام الدين، المرجع السابق، ص 55.
- (33) ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 196 .
- (34) البلازري، المصدر السابق، ص 65 .
- (35) الطبري، المصدر السابق، ج6، ص 437 .
- (36) ابن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص 555 .
- (37) الأفغاني، المصدر السابق، ج 17، ص 167 .
- (38) رحال، عاطف، المرجع السابق، ص 165 .
- (39) احمد، موسى عبد الغفار، المرجع السابق، ص 59
- (40) الأفغاني، سعيد، المرجع السابق، ص 15 .
- (41) الأفغاني، سعيد، المرجع السابق، ص 15 .

- (42) القوص، عطية، المرجع السابق، ص 19 .
- (43) القومي، عطبة، المرجع نفسه، ص 22 .
- (44) ابن خرداذية، المصدر السابق، ص 153 .
- (45) الحميري، الروض المعطار، تحقيق احسان عباس، مكتبة لبنان، ط2، 1984، ص 48 .
- (46) الأفغاني، سعيد، المرجع السابق، ط3، ص 25 .
- (47) عاطف رحال، المرجع السابق، 168 .
- (48) بن كثير، المصدر السابق، ج7، ص 162 .
- (49) حسن، محمد، المدينة المنورة في العصر الأموي، مكتبة دار التراث، بيروت، ط1، 1404 هـ - 1984م، ص 332 .
- (50) ابن كثير، المصدر السابق، ج7، ص 164 .
- (51) علي، محمد كرد، المرجع السابق، ص 28 .
- (52) ابن عساكر، المرجع السابق، ص 164 .
- (53) ابن بطوطة، المصر السابق، ص 52 .
- (54) البلازي، المصدر السابق، ص 175 .
- (55) رحال، عاطف، المرجع السابق، ص 210 .
- (56) عاطف، رحال، المرجع السابق، ص 211 .
- (57) الحمودي، ياقوت، المصدر السابق، ج 2، ص 211 .
- (58) القزوتي، ص 122 .
- (59) برطاييل، جزيرة، قريبة من الجزيرة الزانج في حدود العين، المصدر نفسه ص 82 .
- (60) دم الأخوين، وهو خشب نباتي يصنع به، المصدر نفسه، المصدر نفسه.
- (61) الحميري، المصدر السابق، ص 212 .
- (62) العبادي، أحمد مختار، الحياة الاقتصادية في الدولة الإسلامية، مطبوعات ذات السلاسل، الكويت، 1405هـ - 1985م، ص 341 .

المصادر والمراجع: أولاً المصادر

- (1) القران الكريم
- (2) ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخير دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط3، 1967، ص76.
- (3) ابن كثير، (ت: 774هـ)، البداية و النهاية مكتبة المعارف، بيروت، ج9، 1405 هـ / 1985 م ص، 165
- (4) ابن كثير، (ت: 630 هـ)، الكامل في التايخ دار بيروت للطباعة و النشر، 1385هـ، 1965م، ج2، ص 145
- (5) الاصفهاني، علي الحسين 356هـ / 969م الأغاني (د - ط)، ج 6 القاهر للنشر، 1936م، 183 .
- (6) البلاذري (ت: 379هـ) فتوح البلدان، مراجعة وتعليق محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1298هـ، 1978م، ص170.
- (7) الحمودي، ياقوت (ت : 626هـ) معجم البلدان، ج 2، مطبعة دار، صادر، بيروت، 1399هـ، 1979 م، ص 449
- (8) الحمودي، ياقوت، ت: 626هـ، معجم البلدان، ج4، دار الصادر للنشر، بيروت، 1399هـ، 1979م، ص456.
- (9) الطبري (ت: 310هـ، تاريخ الرسول، الملوك، تحقيق محمد ابوالفضل، دار النشر المعارف، مصر، ط2، ج7، 1961م، ص240.
- (10) الكبرى، ابن مسعد الطبقات، دار صادر في بيروت 1405 هـ / 1985م، ج5، ص349

ثانياً المراجع

- (1) بسيوني، سعيد أبو الفتوح محمد، الحرية الاقتصادية في الإسلام وأثرها في التنمية، دار الوفاء للنشر، ط1، 1908هـ - 1988م، ص591.
- (2) بطانية، محمد حنيف الله، دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، 338هـ
- (3) الجوهرى، يسري عبد الرازق، دراسات في جغرافية الموارد الاقتصادية دار المعارف للنشر، ج3، 1973 م، 123
- (4) حركات، إبراهيم، السياسة و المجتمع في العصر الأموي، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب ط1، 1410 هـ / 1990م، ص227
- (5) حسن، حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي، مكتبة النهضة، العربية للنشر، القاهرة، ط6، 1465 هـ، ج2، ص 126
- (6) حسن، قليب، تاريخ سوريا و لبنان و فلسطين، ج1 (د - ت)، ص 389 .
- (7) حسن، محمد، المدينة المنورة في العصر الأمي، مكتبة دار التراث بيروت، ط1، 1404هـ 1984م ص 332

- (8) الحضري، عصام الدين هاشم، التطور الاقتصادي في العصر الأموي، د ن،
دت، ص 196 .
- (9) دلو، برهان الدين، مساهمة في إعادة كتابة التاريخ، العربي الإسلامي، دار
الفارابي للنشر بيروت، 1985 م، ص113
- (10) رحال، عاطف، تاريخ بلاد الشام الاقتصادي في العصر الأموي، ط1،
بينان للنشر و التوزيع، بيروت، 2000م، ص164
- (11) زيادة، نقولا، التطور الإداري لبلاد الشام بين بيزنطة و العرب، عمان
للنشر، 1404هـ، 183، ص3
- (12) السايح، أحمد عبد الرحيم، أضواء على الحضارة الإسلامية، مركز
الكتاب للنشر، ط1، 2001، 1422، ص109
- (13) صالح، محمد أمين النظام المالي والاقتصادي في الإسلام، مكتبة نهضة
الشرق القاهرة، 1984م، ص 93 - 94.
- (14) الصلابي، محمد علي، الدولة الأموية، دار الأندلس للنشر، ط 1، 1429هـ
/ 2008م، ص280
- (15) العبادي، أحمد مختار، الحياة الاقتصادية في الدولة الإسلامية، مطبوعات
ذات السلاسل، الكويت، 1405هـ - 1985م، ص 341.
- (16) عبد الرؤوف، عصام الدين، الحواضر الإسلامية الكبرى، دار الفكر
العربي، ط2، 1976 ص 32
- (17) علي، محمد كرد، الإسلام و الحضارة العربية، مطبعة لجنه التأليف، و
الترجمة النشر، القاهرة، ط3، 1968 م، ص32
- (18) القومي، عطية، مذكرات في الحضارة العربية الإسلامية، جامعة القاهرة،
فرع الخرطوم 1981م 1998، ص22
- (19) موسى، عبد الغفار أحمد، الأحوال الاجتماعية و الاقتصادية للنشر،
1399هـ / 1979، ص59
- (20) نافع، عبد المنعم صالح، الحياة السياسية و مظاهر الحضارة الإسلامية
في النشر الإسلامي في عهد الخليفة هشام، القاهرة للنشر، 1972 م، ص136 .
- ثالثاً الرسائل**
- (1) عبد الرحمن، عفاف، عمرو بن العاص و دوره السياسي في الدولة الإسلامية،
(8 هـ 629م) (43هـ - 664م)، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة النيلين،
1428هـ، 2007م ص54

الدور البريطاني في ترسيم الحدود السعودية العراقية (1340-1351 هـ / 1921-1932 م)

باحثة

أ. نجود حمد فالح الشهراني

المستخلص:

تهدف الدراسة إلى إيضاح الطريقة التي تمكن بها الملك عبد العزيز رحمه الله من تسوية الحدود الشمالية لمملكته، والنتائج المستخلصة من ذلك. كما تهدف أيضاً إلى تتبع مراحل الدور البريطاني في ترسيم الحدود بين السعودية والعراق خلال الفترة من (1340-1351 هـ / 1921-1932 م)، تنبع أهمية الدراسة من كونها تعمل على تسليط الضوء على الدور البريطاني في ترسيم الحدود بين السعودية والعراق من خلال تتبع سكان العشائر الحدود ومشكلاتها ثم المؤتمرات التي عقدت بالطرفين السعودي والعراقي من أجل الوصول لتسوية هذا الشأن وقد تعددت المؤتمرات لحسم قضية الحدود بين الطرفين فكانت مؤتمرات المحمدة (1341هـ/1922م) وما نتج عنه من توصيات، ثم مؤتمر العقير (1341هـ/1922م)، ثم مؤتمر الكويت (1341هـ/1922-1923م)، ثم مؤتمر جدة (1346هـ/1927م) وغيرها من المؤتمرات والمعاهدات التي كانت تهدف في مجملها الوصول لحل لمشكلة الحدود بين الجانبين. انتهجت الدراسة المنهج التاريخي الوصفي التحليلي من خلال الوثائق والمصادر والمراجع بغية الوصول إلى نتائج والتي ومنها: محاولات بريطانيا المستمرة للوصول لحل لمشكلة الحدود بين السعودية والعراق، تعددت المؤتمرات بين الجانبين السعودي والعراقي بغرض حسم قضية الحدود.

Abstract:

The study aims to clarify how King Abdulaziz was able to settle the northern border of his kingdom, and the results of this also to follow the stages of the British role in the demarcation of the border between Saudi Arabia and Iraq during the period (1340-1351 H) (1921-1932-), the importance of the study stems from the fact that it works to highlight the British role in the demarcation of the border between Saudi Arabia and Iraq by tracking the tribes people of the border and its problems and then conferences held

by the Saudi and Iraqi parties in order to reach a settlement of this The conferences of Al-Muhammada (1341 Ah/1922)‘ the resulting recommendations‘ the Aqir Conference (1341Ah/1922)‘ kuwait conference (1341H/1922- 1923)‘ jeddah conference (1346 H/1927) and other conferences and treaties aimed at resolving the border problem were all aimed at resolving the border problem. The study adopted the historical descriptive analytical approach through documents‘ sources and references in order to reach results‘ including: Britain’s continuous attempts to reach a solution to the problem of the border between Saudi Arabia and Iraq‘ numerous conferences between the Saudi and Iraqi sides in order to resolve the border issue.

مقدمة :

كان لبريطانيا حضورها الفعّال والمؤثر في الأحداث التاريخية التي وقعت في الشرق الأوسط خلال تاريخنا الحديث والمعاصر، فقد كانت صاحبة الهيمنة والنفوذ في هذه المنطقة فاستطاعت أن توجد لها موطئ قدم في كل بقعة من بقاع هذه المنطقة ، وكانت تسيطر على مفاتيح البحار ومناجم الأنهار ومراسي السفن، وكل ما هو متميز واستراتيجي في موقعه بهذه المنطقة، لهذا كان لزاماً عليها بذل كافة جهودها من أجل حل وتسوية كل المشكلات التي تطرأ في منطقة الشرق الأوسط، وذلك من باب حرصها على استمرار مصالحها وتنمية ثروتها الاقتصادية في المنطقة .

وكان في مقدمة هذه المعضلات: مشكلة ترسيم الحدود السياسية لهذه الكيانات السياسية، التي برزت بشكل واضح عقب الحرب العالمية الأولى (-1914م) وما تخللتها من أحداث وخيمة أدت إلى سقوط الخلافة الإسلامية.

أسباب مشكلات الحدود السعودية العراقية:

مشكلة الحدود واحدة من أهم المشاكل التي تعيق تطور العلاقات بين البلدان، وهي في حقيقتها صنعة أوربية اقتضتها مرحلة تاريخية من فترات الاستعمار وتقسيم أملاكها خارج أوربا ولم تكن الدول العربية بعيدة عن الأطماع الأوربية وتحديداً بريطانيا التي انتهجت سياسة تقسيم المنطقة العربية إلى أجزاء فظهرت الحدود السعودية العراقية والتي أصبحت واقعاً بعد ذلك حسبما هو متعارف عليه بين جميع دول العالم وأصبحت الحدود أحد رموز سيادة الدول.

هناك أسباب تقف وراء مشكلات الحدود السعودية العراقية، وتثار هذِهِ المشكلة بين فترة وأخرى، ولعل من أهم تلك الأسباب ما يلي:
تنقلات العشائر بين حدود البلدين:

لقد كان انتقال القبائل والعشائر من وإلى نجد أحد أسباب توتر العلاقات بين البلدين ونشوب الحروب الخاطفة بينهما، حيث لم تكن هناك حدود سياسية بالمعنى المتعارف عَلَيهِ حديثًا بين العراق التابع للدولة العثمانية ونجد، لذلك كانت القبائل تنتقل بين القطرين دون عوائق إلا تلك التي تفرضها القبيلة المتنقلة أو المقرب من موطنها، وهو القَانُون القبلي السائد داخل القطر ذاته، وقد غيرت الحرب العالمية الأولى ما كان سائدًا قبلها؛ فقد انتهى الحكم العثماني من العراق وحل محله الاحتلال البريطاني، وفي عام 1340هـ/1921م وصل فيصل بن الحسين إلى حكم العراق تحت النفوذ البريطاني، وكانت علاقة والده ملك الحجاز حينذاك بالسلطان عبد العزيز ليست على ما يرام،⁽¹⁾ وزاد من تعقيدها ضم السلطان عبد العزيز⁽²⁾ لإمارة جبل شمر، حيث استسلم أميرهم مُحَمَّد بن طلال عام (1340هـ / 1921م)⁽³⁾ بعد أن دامت 91 عامًا⁽⁴⁾، وبسقوط إمارة آل الرّشيد ازداد الخطر على الهاشميين في العراق، وشرق الأردن على حد سواء؛ لأن الحاجز بينهم وبين السلطان عبدالعزيز قد أزيل من ناحية وتفرغ لهم السلطان عبد العزيز من ناحية ثانية، حيث نزحت بعض قبائل حائل إلى داخل الحدود العراقية،⁽⁵⁾ وقد رحبت العشائر العراقية المعادية لعشائر نجد بهذِهِ القبائل وشجعتها على غزو الأراضي النجدية؛ مما أدى إلى سخط الحكومة النجدية الشديد؛ فكتب السلطان عبد العزيز إلى الحكومة العراقية يطلب منها ردع هذِهِ الاعتداءات ورد المنهوبات التي نهبت من عشائره، وبالرغم من تحذيرات الحكومة العراقية لتلك القبائل المقيمة في الأراضي العراقية إلا أنها لم تستجب لهذِهِ التحذيرات، واستمرت في اعتداءاتها على العشائر النجدية،⁽⁶⁾ وقد لعبت هذه التحركات القبلية بين نجد والعراق دوراً مهماً في تأزّم العلاقة بين الطرفين ، ولذلك نجد السلطان عبد العزيز لا يدخر جهداً في محاربة الخارجين عليه بل ومن يعاونهم أيضاً كما حدث في عام 1340هـ / 1921م حيث هاجم الأخوان عشيرة العجيب العراقية النازلة في البادية شر هزيمة وتبعوهم حتى نهر الفرات، ثم هاجموا في الشهر نفسه عشائر الزيادة المقيمة في البادية وكبدوها خسائر جسيمة ، وذلك كله بسبب تعاونهم مع شمر، وهاجموا في عام 1340هـ / 1921م عشيرة الجوابر العراقية ونهبوا منها الكثير، وفي عام 1341هـ / 1922م غزا الإخوان بعض شمر الموجودين بين السماوة والنجف وكبدوها خسائر جسيمة،⁽⁷⁾ وتعددت

الغارات وتنوعت وكانت تضعف وتشتد تبعاً للتطورات السياسية والتجاوب الحكومي معها على أن أعظمها شأنًا تلك التي حدثت ليلة 12 ربيع أول / مارس سنة 1341هـ / 1922 م أي بعد انقضاء سبعة أشهر من ولاية الملك فيصل بن الحسين على العراق، فقد فتك الإخوان⁽⁸⁾ بالكثير من رجال القبائل العراقية في موقع أبي غار وهزموها؛⁽⁹⁾ عندئذ كان لا بد من أن تظهر على الساحة السياسية مشكلات عده منها: مشكلة الحدود وتبعية القبائل المنتشرة. ترسيم الحدود السعودية العراقية:

مؤتمر المحمرة⁽¹⁰⁾ 1341هـ / 1922م:

قررت بريطانيا بعد أن شعرت بالخطر على مصالحها في العراق أن تصفي جو العلاقات الملبد بالغيوم بين البلدين، وأن تهدئ من غضب الرأي العام العراقي الذي يتهم الحكومة البريطانية بميلها تجاه السلطان عبد العزيز، فأرسل المندوب السامي السير برسي كوكس (Percy Cox) Sir برقية احتجاج إلى السلطان عبد العزيز على تهديد القبائل العراقية الأمانة، واقترح السير كوكس إعلان حدود مؤقتة، ودعا السلطان عبد العزيز إلى مؤتمر لحل المشكلات الحدودية ومنع تكرارها مستقبلاً،⁽¹¹⁾ وصلت برقيه السير برسي كوكس إلى السلطان عبدالعزيز فوافق على أن يعقد المؤتمر في المحمرة بجوار البصرة باعتبارها منطقة محايدة، وقد حضر اللقاء صبيح نشأت وزير المواصلات والأشغال العراقية نيابة عن الملك فيصل الأول ملك العراق، وعبد الله الثنيان⁽¹²⁾ نيابة عن السلطان عبد العزيز، وبورديلون (Burdilun) نيابة عن المندوب السامي في العراق، واجتمعت الأطراف الثلاثة في 7 رمضان 1341هـ / 5 مايو 1922م⁽¹³⁾.

وقد بحث المؤتمر عدة نقاط أهمها:

1. تتعهد الحكومتان العراقية والنجدية بأن يمنعا تعديات عشائرها، وتأديبهما إن حدثت تعديات على الطرف الآخر، وإذا الأحوال لم تساعدهما للتأديب فالحكومتان تتذاكران لاتخاذ التدابير المشتركة طبقاً لحسن المناسبات بينهما⁽¹⁴⁾.
2. تشكيل لجنة من أهل الخبرة ولكل حكومة شخصان تحت رئاسة أحد رجال حكومة بريطانيا المنتخب من قبل المندوب السامي، وتجتمع اللجنة في بغداد تسن الحدود القطعية ويقبلها الطرفان دون اعتراض.
3. أن تتعهد الحكومتان العراقية والسعودية ببذل قصارى جهدهما من أجل حماية تأمين طريق الحج من المعتدين،⁽¹⁵⁾ والهدف من ذلك تحسين الصلات بين العراق ونجد خشية تأزم الوضع بينهما بسبب تعرض الإخوان للحجاج خاصة العراقيين.⁽¹⁶⁾

4. اتفقت الحكومتان على حرية التجول في ممالك الطرفين بقصد الزيارة أو التجارة بشرط أن يكونوا حاملين للوثائق الرسمية (جوازات السفر) من قبل حكوماتهم. هذه المعاهدة لا تكون معمول بها إلا بعد توقيع جلالة ملكي الطرفين، كما تعهد مندوب الحكومة النجدية ألا يتجاوز أحد من عشائر نجد على عشائر العراق⁽¹⁷⁾.

انتهى المؤتمر بالفشل؛ وذلك بسبب رفض السلطان عبد العزيز هذه الاتفاقية؛ لأن ممثله تجاوز الأوامر المعطاة إليه، ولأن المعاهدة لم تتضمن حقوق الرعي المكتسبة منذ عهد بعيد للقبائل النجدية النازلة في المنطقة التي ألحقت بالعراق، كما احتج السلطان عبد العزيز بأن هذه الاتفاقية لم تحل المشكلات القائمة بين الدولتين وأن الاتفاقية سلبته حقوقاً موروثه⁽¹⁸⁾.

مؤتمر العقير⁽¹⁹⁾ 1341هـ/1922م:

رأت الحكومة البريطانية أنه لا بد من استمالة السلطان عبد العزيز لإقرار حدود ثابتة بين العراق ووجدت هذه المبادرة احترام كل الأطراف، فمهدت لعقد مؤتمر العقير بحضر السلطان عبد العزيز بنفسه في يوم 28 ذو القعدة / تشرين الثاني 1341هـ / 1922م⁽²⁰⁾، والسيد صبيح نشأت ممثلاً عن العراق والسير برسي كوكس (Sir Percy Cox) ممثلاً لبريطانيا، وقد نجح هذا المؤتمر بفضل حنكة برسي كوكس السياسية فصدق السلطان عبد العزيز على معاهدة المحمرة وملحقين سميا «بروتوكولي العقير»⁽²¹⁾ وتم تحديد خط الحدود بين العراق ونجد وتنظيم قواعد التبادل التجاري بين البلدين وتأمين طريق الحج، وتقسيم العشائر⁽²²⁾.

وكان من أهم نتائج بروتوكول العقير الأول والثاني ما يلي:

1. بما أن كثيراً من الآبار قد دخلت داخل الحدود العراقية وبقيت الجهة النجدية محرومة منها فعليه تتعهد الحكومة العراقية بأن لا تتعرض لعشائر نجد القاطنة على أطراف البلاد إذا اقتضت الضرورة لاستيرادهم الماء من الآبار الموجودة في الأراضي العراقية إذا كانت أقرب لهم من الموجودة داخل الحدود النجدية.
 2. تتعهد الحكومتان بالألا تستخدم المياه الموجودة على الحدود لأي غرض حربي مثل بناء القلاع أو وضع الجنود عليها⁽²³⁾.
 3. ومع التطورات الجديدة في المنطقة العربية وقبول مبدأ الحدود على الأرض العربية، وتأسيس منطقة محايدة بين العراق ونجد، لكن العراق لم يحترم بنود هذه الاتفاقية وخصوصاً بناء المخافر على أطراف البلاد⁽²⁴⁾.
- غير أن نتائج العقير المثمرة لم تكن كافية البتة لحل مشكلات البلدين لتأخذ المفاوضات فصلاً جديداً من فصول التفاوض بين الدولتين.

مؤتمر الكويت 1342هـ-1343هـ/1923م - 1924م:

لم ينجح مؤتمر العقير في فرض السّلام والهدوء على الحدود النّجدية العراقية، ولم يعالج المؤتمر المشكلة الأساسية، وهي عدم اطمئنان نجد لجيرانها الثلاثة العراق والأردن والحجاز،⁽²⁵⁾ كما طالبت نجد بتفعيل اتفاقية المحمرة، وخاصة إعادة القبائل اللاجئة للعراق إلى نجد، وتلكأ العراق في تنفيذ التسليم؛ مما أدى لوقوع الغارات على الحدود من الجانبين،⁽²⁶⁾ وظل البريطانيون يدرسون الأمر في محاولة لحل الخلاف الذي استحكم بين الدولتين؛ فهداهم تفكيرهم إلى فكرة عقد مؤتمر في بلد محايد ووقع اختيارهم على الكويت لتحضن المحادثات والمفاوضات بين البلدين،⁽²⁷⁾ وقد وجهت الدّعوة للسّلطان عبد العزيز لحضور المؤتمر، وذلك لحل الخلافات بين الممالك المتجاورة، وافق السّلطان عبد العزيز على الدّعوة؛ لكنه اشترط أن تجرى المفاوضات بين الوفد النّجدي، وكل وفد من الوفود على حدة، ولا يتدخل مندوب حكومة ما في مفاوضات مع حكومة أخرى، ويعتبر هذا الشرط من الملك عبد العزيز غاية في الدهاء السياسي وذلك لأنه في حال تجمع الهاشميون فإنه من الوارد القيام بتكتل ضد الملك عبد العزيز، وقد وافق الكولونيل نوكس⁽²⁸⁾ (KolonelKnox) على الشّروط، ثم أرسل نوكس إلى الشّريف حسين بن علي فجاء رده رافضاً الاشتراك في المؤتمر بحجة ضيق الوقت وإهمال استشارته سلفاً، أما الملك فيصل في العراق فقد وافق على الاشتراك في المؤتمر وقد كلف صبيح نشأت مندوباً عنه في المؤتمر⁽²⁹⁾، وأرسل السّلطان عبد العزيز وفداً برئاسة حمزة غوث، وعضوية كل من عبد الله دملوجي، وحافظ وهبة، وعبد العزيز بن حسن القصيبي، وهاشم بن أحمد الرّفاعي، من أجل التباحث مع مندوبي الدّول بالمؤتمر⁽³⁰⁾، وتم عقد المؤتمر في 7 جمادى الأولى/مايو 1342هـ/ 1923م⁽³¹⁾، وكانت من أهم الطّلبات التي طرحت على طاولة المفاوضات إن لم يكن أهمها هو قضية قبيلة شمر التي كانت سبباً للصراعات بين البلدين، فطالب الوفد النّجدي بطردهم من العراق وتسليمهم للنّجديين،⁽³²⁾ لكن الوفد العراقي اعتبرهم ضيوفاً، وبالتالي رفض المطلب النّجدي.

ويمكن أن يكون رفض الوفد العراقي تسليم قبيلة شمر وغيرها من الفارين من الأراضي السعودية لاستخدامهم كورقة ضغط ضد الملك عبد العزيز. وفي نهاية اليوم تم الاتفاق بين حكومة نجد والعراق على عدة أمور من بينها:

1. معاقبة الذين يشنون الغارات في أطراف الدولتين وكيفية معاقبتهم والمراسلات بينهم.

2. تسليم المجرمين الذين تثبت جرائمهم غير السياسية أمام محاكم محايدة⁽³³⁾ -3 كما تم الاتفاق على أنه لا يحق لقوات العراق أو نجد أن تجتاز الحدود لتعقب المجرمين إلا بإذن الطرفين -4 كما تم الاتفاق على عقد اتفاقية في المستقبل لتسليم المجرمين،⁽³⁴⁾ ولم يكتب للمؤتمر النجاح والخروج إلى حيز التنفيذ؛ وذلك لأن مندوب العراق ربط التنفيذ بعقد لقاء بين نجد والحجاز، ولكن الشريف حسين ملك الحجاز رفض الحضور، وكاد المؤتمر أن يفشل،⁽³⁵⁾ إلا أن بريطانيا أقنعت العراق بالتنازل عن شرطه لحين حل الخلاف بين العراق ونجد، وأما حالة التوتر التي تسود المؤتمر فقد تقرر تأجيل المؤتمر لحين مراجعة كل وفد مع حكومته فيما اختلف عليه من أمور، وقبل أن يستأنف المؤتمر أعماله قام الإخوان بقيادة فيصل الدويش في 14 مارس 1343هـ/1924م بالإغارة على الحدود العراقية والقيام بأعمال السلب والنهب والقتل⁽³⁶⁾، فترتب على هذه الغارة توتر الأجواء وإلغاء المؤتمر؛ وبذلك فشل مؤتمر الكويت فشلاً ذريعاً⁽³⁷⁾

مؤتمر بحرة⁽³⁸⁾ 1344هـ/1925م

نتيجة لفشل مؤتمر الكويت وزحف القوات السعودية لضم الحجاز وما قامت به الحكومة العراقية من نشر دعايات سيئة ضد النجديين ودفن رعاياها من عشائر شمر للهجوم على القبائل التابعة لنجد تدهورت العلاقات السعودية العراقية،⁽³⁹⁾ مما دفع مجلس الوزراء العراقي في عام 1343 هـ/1924م إلى التصريح بأن التوسع السعودي على حساب الأراضي الحجازية سيؤدي إلى عدم التمكن من أداء فريضة الحج، وقد تضرر العشائر العراقية القاطنة ما بين سوريا والعراق إلى اعتناق المذهب الوهابي⁽⁴⁰⁾ تخلصاً من الإخوان وتعدياتهم؛ الأمر الذي يهدد سلامة المواصلات بين العراق وسوريا وفلسطين،⁽⁴¹⁾ ومن الجانب الآخر فقد استمر الإخوان بالغزوات المتكررة على العراق، فأرسلت بريطانيا إلى السلطان عبد العزيز تقترح عليه عقد مؤتمر للنظر في أسباب الخلاف بين البلدين العراق ونجد فوافق على عقد المؤتمر، وكان في يوم الأحد 14 ربيع الآخر 1344هـ، الموافق للأول من نوفمبر 1925م، وانتدبت الحكومة البريطانية للتفاوض مع السلطان عبد العزيز السير جلبرت كلايتون⁽⁴²⁾ (Sir Gilbert Clayton)، وحضر السلطان عبد العزيز نفسه عن الجانب النجدي يرافقه الشيخ حافظ وهبة المستشار الخاص ويوسف ياسين،⁽⁴³⁾ ومن الجانب العراقي السيد توفيق بك السويدي⁽⁴⁴⁾ ولقد وضعت اتفاقية بحرة أسساً جديدة لحل الخلافات بين نجد والعراق، وحلت هذه الاتفاقية كثيراً من المشكلات الخاصة بمعاملة القبائل المتنقلة، ونتج عن ذلك توقف حركة الغزو خلال عام 1345هـ/1926م،⁽⁴⁵⁾ حتى إنها وصفت سنة 1345هـ/1926م، وهي السنة التي أعقبت اتفاقية بحرة بأنها سنة التعاون بين العراق ونجد لكبح جماح الغزاة ونشر الأمن والهدوء على جانبي الحدود⁽⁴⁶⁾

مؤتمر جدة 1346هـ / 1927م:

تأزمت العلاقات العراقية النجدية عندما بدأت غارات الإخوان تتجدد على الحدود العراقية، حين عمدت الحكومة العراقية إلى إنشاء المخافر الثابتة في البادية للشرطة وعلى رأسها مخفر بصية الذي أطلق عليه الإخوان اسم الحصن لأجل توفير الأمن لعشائر البادية، وصد العشائر النجدية عن غزو العشائر العراقية،⁽⁴⁷⁾ خلافاً لما اتفق عليه في مؤتمر العقير؛ مما أدى إلى إثارة الشعور العام لدى القبائل النجدية ضد العراق، وقد اعتبر السعوديون إنشاء المخافر عملاً عدائياً ضدهم،⁽⁴⁸⁾ فقام الإخوان بالهجوم على مخفر بصية عام 1346هـ / 1927م؛ وقتلوا رجاله، مما زاد التوتر بين البلدين، وهكذا قامت الحاجة إلى عقد مؤتمر جديد يهدف إلى توضيح المقاصد وإبراز حسن النوايا وتخفيف العداء ومناقشة المسائل المختلف عليها، وبخاصة مشكلة المخافر، فكان مؤتمر جدة⁽⁴⁹⁾ الذي انعقد على مرحلتين الأولى في مايو عام 1346هـ / 1927م⁽⁵⁰⁾ والثانية في أغسطس عام 1346هـ / 1927م،⁽⁵¹⁾ ومن أهم المسائل التي بحثت في المؤتمر مسألة المخافر، ومسألة تسليم المجرمين، ومعاهدة حسن الجوار ومسألة العشائر المختلفة في تابعيتها،⁽⁵²⁾ ولكن المرحلتين باءتا بالفشل، فقد أصر الجانب السعودي على تهديم المخافر وحظر بنائها، بينما أصر الوفد العراقي يسانده الوفد البريطاني على بقاء هذه المخافر باعتبارها حقاً طبيعياً من حقوق السيادة العراقية، كما أن إقامتها لا يناقض المعاهدات والاتفاقيات العراقية النجدية نصاً وروحاً، وأدى فشل مؤتمر جدة إلى مضي الإخوان في الغزو ومهاجمة العشائر العراقية، ثم توقف الغزو بسبب سوء علاقة الإخوان بالملك عبد العزيز؛ مما دفعهم إلى التمرد على سلطانهم عندما امتنع عن تلبية مطالبهم وإشباع طموحهم الشخصي بإعطائهم مناصب الإمارة،⁽⁵³⁾ ولكن هذا التمرد باء بالفشل نتيجة ثبات الملك عبد العزيز وحكمته وحسن تصرفه، وقد تعاونت السلطات العراقية والبريطانية في البادية معه بعد أن قبضت الشرطة العراقية على زعيم الإخوان فيصل الدويش وقامت بتسليمه للملك عبد العزيز⁽⁵⁴⁾. وأثمر هذا التعاون العراقي النجدي في طي صفحات جديدة من المودة والاخاء تجسدت في عقد مؤتمر لوبن بين العاهلين عام 1349هـ / 1930م.⁽⁵⁵⁾

مؤتمر لوبن (Lupin) 1349هـ / 1930م:

جرت مباحثات بين الحكومتين العراقية والنجدية، وكانت المباحثات تمهيداً لعقد قمة مرتقبة بين الملك فيصل ملك العراق والملك عبد العزيز تحت رعاية المندوب السامي البريطاني السير

فرنسيس همفريز (Francis Humphries)⁽⁵⁶⁾ الذي دعا إلى عقد مؤتمر على متن الباخرة البريطانية لوبن (Lupin) بمياه الخليج العربي،⁽⁵⁷⁾ فتمت الموافقة على ذلك من قبل الزعميين العربيين، وتقرر أن يسبق المؤتمر الملكي مؤتمر تمهيدي على مستوى وزراء البلدين لوضع ورقة عمل للمؤتمر الملكي، ثم يكون الحضور للملكين من أجل التوقيع بناء على اقتراح من الملك عبدالعزيز، وقد مثل حكومة مملكة الحجاز ونجد في المؤتمر التمهيدي حافظ وهبة وفؤاد حمزة؛⁽⁵⁸⁾ بالإضافة إلى إبراهيم ابن معمر،⁽⁵⁹⁾ وممثل العراق ناجي السويدي⁽⁶⁰⁾ وزير الداخلية وخليل إسماعيل مدير البلديات،⁽⁶¹⁾ وكان اجتماع المندوبين في الكويت،⁽⁶²⁾ وتطرق الفريقان إلى بعض القضايا المتعلقة مثل: قضية قبيلة شمر وإرجاع المنهوبات، كما تناول قضية بناء المخافر التي أقامتها الحكومة العراقية، وتسليم المجرمين، ومشروع لمعاهدة صداقة وحسن جوار، وتبادل الممثلين السياسيين،⁽⁶³⁾ لكن الوفدين لم يتوصلا إلى اتفاق نهائي؛ لأن مندوبي العراق لم يكونوا مزودين بالتفويض الكامل للبت في القضايا المبحوث فيها، فتركت الأمور إلى حين حضور الملكين، حيث حضر الملك فيصل ومعه ناجي السويدي رئيس الوزراء⁽⁶⁴⁾ ومستشار وزارة الداخلية السير كنهان كورنواليس (Sir Kinahan Cornwallis)، والشيخ عبد الله المضيافي من مساعدي الملك فيصل مستقلين باخرة عراقية يطلق عليها نرجس، بينما حضر الملك عبد العزيز بالباخرة الهندية باتريك ستيفورت (Batrik Stywart) ومعه فؤاد حمزة وكيل الشؤون الخارجية، وحافظ وهبة مستشار الملك عبد العزيز، ويوسف ياسين سكرتير الملك عبد العزيز الخاص، وعبد العزيز القصيبي وكيل الملك عبد العزيز في الإحساء،⁽⁶⁵⁾ كما وصلت البارجة لوبن (Lupin) وهي تحمل السير فرنسيس همفريز (Francis Humphries) وحاشيته وهي ترفع ثلاثة أعلام (العراقي والنجدي والبريطاني)، وكان الأولان متلاصقين دليلاً للتصافي والتآخي والتعاون،⁽⁶⁶⁾ وتوسطت الباخرتان المقلتان للعاهلين العربيين، وكان باستقبال الملك عبد العزيز السير همفريز Francis Humphrie) والاثنان استقبلا الملك فيصل؛ حيث تقابل الملكان على ظهر الباخرة البريطانية لوبن (Lupin) وتعانقا وتبادلا عبارات الترحيب، وكانت هذِهِ اللحظات حاسمة لفتح صفحة جديدة بين خصمين طال خصامهما، وبعد أن استمرت المفاوضات يومين انتهت بالموافقة على أربع نقاط عالجت المسائل المتعلقة وكان أهمها:

1. عقد معاهدة الصداقة وحسن الجوار بين البلدين وقبول التمثيل الخارجي، والتعهد بمنع الغزو والتعدي بين عشائر الطرفين وتسليم المجرمين.

2. بالنسبة لقضية المنهوبات فقد تم الاتفاق على حل الأمر ودياً وإنشاء محكمة مكونة من خمسة أفراد، فردين نيابة عن الحكومة النجديّة، ونيابة عن الحكومة العراقية، وفرد نيابة عن بريطانيا.
 3. بالنسبة للمخافر يتم حل أمرها في خلال ستة أشهر وإلا أُحيلت إلى هيئة تحكيم وتكون قراراتها نافذة.
 4. صدور قرار عفو من الملك عبد العزيز عن بعض الفارين إلى العراق كابن مشهور وأتباعه بشرط أن تطلق الحكومة العراقية سراحهم⁽⁶⁷⁾.
- كما ذكرنا سابقاً في الخلافات الحدودية بين الدولتين العراقيّة والسعودية ووضعنا الموقف البريطاني من الخلافات حيث سعت بريطانيا إلى تحقيق المصالحة بين البلاد التي ترتبط بمصالح معها ولكن المصالحات والمعاهدات كانت بشرط ألا تتعارض مع المصالح البريطانيّة وأن تكون المصالحات تحت رعايتها .
- وكانت بريطانيا تلعب الدور الأبرز في التوسط بين الدولتين وكانت المراسلات بين البريطانيين الموجودين بنجد والعراق وبين حكوماتهم الموجودة بلندن لا تتوقف لتوضيح التطورات في الأراضي العربيّة ، فمثلاً عندما اقترحت حكومة العراق أن لا يكون الاتفاق بينه وبين الوفد النجدي ملزماً ما لم يتم الاتفاق بين السلطان عبد العزيز و الحكومة الحجازية ، فقام الوفد النجدي برفض التوقيع باعتبار ان الحكومة العراقيّة والحجازية تشكل جبهة واحدة ضده⁽⁶⁸⁾ ، أرسل الكولونيل نوكس إلى الحكومة اللندنية برقية أن الخلاف الموجود لا يمكن حله دون وجود الوفد الحجازي وبناء على ذلك تم تعليق المؤتمر وارجاء المفاوضات للعام التالي ثم أعلن الكولونيل نوكس عن استئناف المؤتمر والمفاوضات في 1343هـ / 1924م⁽⁶⁹⁾ ، ولم يقف أمر المعاهدات عند أمر الرعاية البريطانيّة فحسب بل كانت تضع الحكومة البريطانيّة بندا في المعاهدات بانه إذا حصل خصام بين احدي الحكومتين وبريطانيا العظمى تكون هذه المعاهدة منسوخة⁽⁷⁰⁾.

النتائج المترتبة على تسوية الحدود:

أولاً: اتفاق مكة المكرمة عام 1350هـ / 1931م:

طبقاً لما تم الاتفاق علىّيه في مؤتمر لوبن أوفدت الحكومة السّعودية إلى بغداد الشّيخ حافظ وهبة مستشار الملك عبد العزيز للمفاوضة في وضع صيغ الاتفاقيات التي تقرر عقدها؛ فدارت مباحثات تم فيها الاتفاق على الصّيغ المطلوبة⁽⁷¹⁾، وفي تلك الأثناء استقالت وزارة توفيق السّويدي، وحلت محلها وزارة برئاسة الجنرال نوري السّعيد⁽⁷²⁾، حيث غادر نوري باشا من بغداد إلى مكة

المكرمة، وفي الثامن من إبريل سنة 1350هـ/1931م تم التوقيع على ثلاث معاهدات، الأولى معاهدة الصداقة وحسن الجوار والثانية بروتوكول⁽⁷³⁾ تحكيم والثالثة تضمنت مسألة تسليم المجرمين وبأن تلتزم كل دولة من الدولتين بتسليم من يفرون من وجه العدالة إلى أختها،⁽⁷⁴⁾ كما تم التفاهم بين الحكومتين على الدخول في مفاوضات من أجل أوقف الحرمين الشريفين في العراق، ولعقد اتفاقيات تتعلق بجوازات السفر بين المملكتين، وبالرسوم الجمركية على منتوجات البلدين، وبالتعاون على ما فيه مصلحة المملكتين من الوجهة العلمية والفنية⁽⁷⁵⁾، وهي كالتالي:

1- معاهدة الصداقة وحسن الجوار 1350هـ / 1931م

نظرًا لأهمية معاهدة الصداقة وحسن الجوار هـذِهِ وباعتبارها الثمرة الأولى من ثمار مؤتمر لوبن وأول معاهدة صداقة توقع بين بلدين عربيين جارين مضى على عداتهما فترة طويلة من الزمن،⁽⁷⁶⁾ تضمنت هـذِهِ الاتفاقية ست عشرة مادة، تضمنت قيام سلام دائم وصداقة بين البلدين، والتعهد بحل الخلافات سلمًا، وأن تؤسس بين المملكتين علاقات التمثيل السياسي والقنصلي، والتعهد بحفظ الأمن ومعاينة المعتدين والإبلاغ عنهما ومنع تجاوزات الحدود، والسماح لعشائر الطرفين بحرية التنقل في أراضي المملكتين بقصد الرعي والمسابلة، وعدم استخدام رعايا الطرفين لأعمال عسكرية، وتشكيل لجنة دائمة للحدود قوامها اثنان من كل طرف تجتمع مرة واحدة كل ستة أشهر، مهمتها تسهيل تنفيذ أحكام المعاهدة، كما نصت على الرغبة في دخول مفاوضات من أجل عقد اتفاقيات خاصة بالأموال الاقتصادية والقنصلية والإقامة والجنسية وعلى حل الخلافات بموجب البروتوكول المرفق بهـذِهِ المعاهدة، وأن يعمل بهـا من لحظة تبادل النسخ المكتوبة باللغة العربية، وكانت تلك المعاهدة بموادها الستة عشرة على جانب كبير من الأهمية للعلاقات بين البلدين؛ لاهتمامها بكافة العناصر التي من شأنها أن تثير المشكلات بين الجانبين سواء من جانب الحدود أو تنقل القبائل،⁽⁷⁷⁾ وتعتبر هـذِهِ أول معاهدة صداقة تعقدها مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها مع دولة عربية، إضافة إلى أنها أول معاهدة يوقعها العراق دون أن يظهر على اسم أي ممثل عن بريطانيا⁽⁷⁸⁾.

2- إعلان بروتوكول التحكيم سنة 1350هـ / 1931م:

بناء على الرغبة التي أظهرها الفريقان المملكة العراقية والمملكة النجدية بشأن إحالة الخلافات الناشئة عن أحكام المعاهدات والاتفاقيات المبرمة بينهما والتي لا يمكن حلها بالطرق السياسية تم توقيع البروتوكول الخاص بالتحكيم في 20 ذي القعدة 1350هـ الموافق 7 من إبريل 1931م، وجاءت

أغلب المواد لتتناول كَيْفِيَّة حل الصّراعات أو القضايا المستقبلية الّتي تتعلق بالبلدين، وتطرقت إلى كَيْفِيَّة التحكيم المستقبلي بين البلدين، وكَيْفِيَّة اختيار المحكمين واتفقوا على اختيار أعضاء اللجنة وعددهم، كما تطرق البروتوكول إلى أنه يجب على البلدين تقديم كافة المساعدات والتسهيلات الّتي تساعد اللجنة لحل القضية، أما إذا رغب أحد الطّرفين في رفع القضية إلى جهة معينة؛ فعليه أن يظهر رغبته للفريق الآخر، ويعلمه بذلك، ويوضح أسماء محكميه، وعلى الفريق الآخر أن يوضح للفريق الأول أسماء محكميه أيضاً، وعلى الطّرف الرّاعب في التحكيم أن يرسل مذكرة يوضح فيها أسبابه للطرف الآخر، ولرئيس المحكمة، وعلى هذِهِ الهيئة أن تصدر قرارها خلال ثلاثة أشهر⁽⁷⁹⁾. وفيما يلي عرض لأهم نقاط البروتوكول :

1. يجب التحكيم بواسطة محكمين لا يتجاوز عددهم ستة محكمين برئاسة شخص يتفق المحكمين على انتخابه من وقت لآخر.
2. إذا رغب أحد الفريقين في أن يحيل إلى التحكيم أية قضية من القضايا التي يجب احوالها وفق أحكام البروتوكول يجب أن يعلم الطرف الآخر.
3. على كل من الفريقين أن يرسل إلى الطرف الآخر وإلى رئيس هيئة التحكيم مذكرة يوضح فيها حججه التي يستند إليها والفريق المرسله إليه المذكرة يجب أن يرد على المذكرة في خلال ستة أشهر.
4. يجتمع المحكمون في المحل الذي تتفق عليه الحكومتين وعلى الهيئة أن تصدر قرارها خلال ثلاثة أشهر.
5. لكل فريق من الفريقين الساميين أن يعين شخصا أو أكثر لبسط وجهة نظرهم أمام المحكمة في المسألة المختلف عليها.
6. يتعهد الفريقان تعهدا قطعيا بقبول وتنفيذ القرارات التي يصدرها المحكمون في المسألة المسندة إليهم.
7. تدفع كل من الحكومتين رواتب ونفقات المحكمين المعينين من قبلها ، ونصف رواتب ونفقات الرئيس وكتبة الأسرار، وغيرهم ممن يحتاج المحكمون إلى مساعدتهم⁽⁸⁰⁾.

3- اتفاقية تسليم المجرمين 1350هـ/1931م

لم تكن اتفاقية تسليم المجرمين الموقعة في 1350هـ / 1931م هي أولى الاتفاقيات والمؤتمرات الّتي تناولت أمر المجرمين وتسليمهم والحد من خطورتهم وضرورة محاربتهم والقضاء عليهم، وفيما يلي عرض موجز لأهم المؤتمرات والاتفاقيات الّتي تناولت تسليم المجرمين ومحاربتهم:

1- مؤتمر الكويت عام 1342-1343هـ / 1923-1924م:

كما ذكرنا من قبل أن هَذَا المؤتمر كان برعاية بريطانية، وقد نص المؤتمر عَلَى أن تعقد بين الطرفين اتفاقية منفردة بإعادة تسليم المجرمين الَّذِينَ تثبت عليهم الجرائم⁽⁸¹⁾، أما فِي حالة حدوث غزو أو قتل فيكون شيخ القبيلة هُوَ المسؤول؛ لأنه منوط بِهِ الحفاظ عَلَى الأمن والسيطرة عَلَى قبيلته، كما نصت المعاهدة عَلَى عدم مطاردة قوات أي من البلدين خارج حدودها⁽⁸²⁾.

2- مؤتمر بحرة عام 1344هـ / 1925م:

جرت المفاوضات بين الجانبين العراقي والسعودي التي أكد خلالها السُّلطان عبد العزيز عقد اتفاقية لتسليم المجرمين؛ حتى يعم الأمن فِي المنطقة، لكن الوفد العراقي برئاسة توفيق السُّويدي لم يكن لديه استعداد لمناقشة مسائل غير الَّتِي اتفق الجميع عَلَيْهَا فِي مؤتمر الكويت، وبذَلِكَ لم ينجح الطرفان فِي التوصل لاتفاق بشأن تسليم المجرمين⁽⁸³⁾.

3- مؤتمر جدة 1346هـ / 1927م:

بعد أن نجحت المساعي البريطانية فِي جمع الطرفين مرة أخرى فِي مؤتمر جدة، الذي ناقشوا فِيهِ العديد من الأمور، منها قضية تسليم المجرمين، ومن الجدير ذكره هنا أن أمر تسليم المجرمين لم يأخذ الاهتمام الكافي فِي قضايا المؤتمر، ولم تكن لَهُ الصُّدارة من بين القضايا الَّتِي تم طرحها بالمؤتمر فِي النِّهاية.

أما اتفاقية تسليم المجرمين عام 1350هـ / 1931م التي كانت مثار خلاف بين الحكومتين؛ فقد استوجبت تبادل الآراء لتوضيح مقاصد الطرفين خاصة، وكان العراق مصراً عَلَى استثناء المجرمين السُّياسيين من الاتفاق عَلَى عكس موقف نجد الَّتِي ترى أن العشائر لا تعرف معنى الجرائم السُّياسية وبعد مفاوضات بين البلدين العراقي برئاسة نوري السُّعيد والسعودي برئاسة يوسف ياسين، خيّر الملك عبد العزيز الوفد العراقي عَلَى اختيار واحد من ثلاثة:

- استثناء رجال البادية جميعهم من الجرائم السُّياسية واعتبارها كلها جرائم عادية.
- عدم اعتبار جرائم الغزو وأعمال الاعتداء والقوة وقطع الطُّريق والنهب والسلب والسرقة والقتل من الجرائم السُّياسية، وكذلك كل تحرك ضد شخصي ملكي البلدين أو أفراد عائلتيهما لا تعتبر من الجرائم السُّياسية.
- إن لم يقبل الوفد العراقي أحد الأمرين السُّابقين فإن حكومة نجد تقبل اقتراح نوري السُّعيد باستثناء المجرمين السُّياسيين من التسليم، شريطة أن يكتب لَهَا كتاباً رسمياً يفيد أن الجرائم الَّتِي يرتكبها رجال البادية لا تعتبر جرائم سياسية، وإنما يجب تسليم هؤلاء فِيهَا كلها، وبغير ذَلِكَ لا تستطيع حكومة نجد أن تتعهد بالسلم عَلَى حدودها⁽⁸⁴⁾.

فوافق نوري السعيد على طلب الملك عبد العزيز الأخير وتم تقديم رد رسمي باسم الحكومة العراقية ذكر فيه أن الجرائم التي يرتكبها البدو، وهي الاعتداء بعنف والسلب والنهب وقطع الطريق والسرقة بأنواعها أو القتل سواء ارتكبها شخص أو أكثر ضد فرد أو جماعة تدخل ضمن معاهدة تسليم المجرمين⁽⁸⁵⁾.

وقد جاءت هذه المعاهدة في ثمانين مواد، وكما هو واضح من اسمها فهي خاصة بمسألة الأفراد الذين يرتكبون الجرائم، وقد تطرقت الاتفاقية الموقعة من الجانبين إلى عدة أمور كان من أهمها:

- مسألة تسليم المجرمين (المجرمين الموجودين لدى أي من الطرفين)، كما ذكرت الاتفاقية أنه لا يسمح بتسليم المجرمين السياسيين.
- الجرائم التي يجب تسليم المجرمين فيها هي: قطع الطرق أو السرقة أو السلب أو النهب أو القتل، سواء أكان المعتدي فرداً أم جماعة، وسواء أكان الجرم موجهاً ضد فرد أو جماعة.
- لا يتم تسليم أي مجرم ارتكب جريمة قبل تاريخ توقيع هذه الاتفاقية، كما أنه لا يحاكم أي مجرم إلا عن الجرم الذي طلب تسليمه من أجله.⁽⁸⁶⁾

على أي حال فقد أرست اتفاقية مكة المكرمة عام 1350هـ/1931م العلاقات بين العراق والسعودية على أسس كانت سبباً في التحسن المستمر في العلاقات السعودية العراقية،⁽⁸⁷⁾ ولم يترك العاهلان مناسبة تاريخية إلا أكدوا فيها حرصهما على استمرار التعاون والرغبة في تدعيم هذه العلاقات،⁽⁸⁸⁾ وعلى سبيل المثال ففي عام 1351هـ/1932م وعندما قام الأمير فيصل بن عبد العزيز بزيارة للعراق استقبل بحفاوة أخوية، وانتهزت الصحف العراقية فرصة قدوم الأمير السعودي، فأوضحت متانة العلاقات السعودية العراقية، وكان لذلك الترحيب صدى طيب في نفس والد الأمير الملك عبد العزيز فأبرق شاكرًا للملك فيصل والشعب العراقي على هذه الحفاوة،⁽⁸⁹⁾ وعندما أصبح العراق عضواً في عصبة الأمم المتحدة عام 1351هـ/1932م أرسل الملك عبد العزيز ببرقية تهنئة للملك فيصل بن الحسين عبر له فيها عن مشاركته إياه والشعب العراقي الفرح والسرور ورد عليه الملك فيصل بامتنان كبير لهذه المشاعر ومؤملاً استمرارها.⁽⁹⁰⁾

الخاتمة

كانت العلاقة بين إمارة نجد والعراق في أعقاب الحرب العالمية الأولى عدائية ولعبت العشائر العراقية والنجدية دوراً هاماً في زيادتها. وقد دخول بريطانيا طرفاً رئيساً في جميع المؤتمرات والمفاوضات التي كانت بين

الحكومتين السعودية والعراقية ؛ حفاظاً على مصالحها من جهة والحيلولة دون اتصالات نجدية عراقية مباشرة بلا وساطة بريطانية من جهة أخرى ليس هذا فحسب بل كانت بريطانيا تضع بندا يعطي الحق بفسخ المعاهدة واعتبارها غير ملزمة في حال حدوث خلاف بين إحدى الحكومتين وبريطانيا بالرغم من عقد المؤتمرات العديدة بين البلدين إلا أنها لم تصل الى حلول نهائية للمشاكل بين البلدين. أهمية معاهدة الصداقة وحسن الجوار باعتبارها الثمرة الأولى من ثمار مؤتمر لوبن وأول معاهدة صداقة توقع بين بلدين عربيين جارين مضى على عدائهما فترة طويلة من الزمن ، فقد كانت سبباً في التحسن المستمر في العلاقات السعودية العراقية ، إضافة إلى أنها أول معاهدة يوقعها العراق دون أن يظهر على اسم أي ممثل عن بريطانيا. وقد تم تحديد العام (1351هـ/1932م) نهاية للبحث لأنه العام الذي حصل فيه العراق على إستقلاله من بريطانيا ودخول عصبة الأمم المتحدة.

نتائج الدراسة:

خلصت لدراسة إلى عدد من لنتائج والتي من أهمها:-

- التداخل الحدودي السعودي العراقي منذ القدم.
- سعي بريطانيا لترسيم حدود السعودية العراقية وراعتها لذلك.
- تعدد مؤتمرات حسم مشكلة الحدود بين السعودية والعراق.
- سعي البلدين للوصول لحل توافقي لمشكلة الحدود بين البلدين.

التوصيات:

من توصيات الدراسة :

- دراسة الاتفاقيات والمعاهدات لترسيم الحدود عموماً والاتفاق بين السعودية والعراق بصورة تفصيلية للاستفادة منها في معرفة مراحل حل مشكلة الحدود بين البلدين.

المصادر والمراجع :

1. عبد الله صالح العثيمين : تاريخ المملكة العربية السعودية، ج2، مكتبة العبيكان، الرياض، 1431هـ/2009م، ص 260.
2. سيشار إلى الملك عبدالعزيز في هذا البحث ويلقب بالألقاب التي كان يعرف بها في مدة الدراسة، فبعد مؤتمر الرياض عام 1339هـ/1921م تقرر أن يكون لقبه سلطان نجد، وبعد ضمه عسير وحائل أصبح لقبه عظمة سلطان نجد وملحقاتها، أما لقب ملك فلم يلقب به إلا في عام (1344هـ/1926م) حيث أصبح لقبه جلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها وفي عام 1351هـ/1932م أصبح لقبه جلالة ملك المملكة العربية السعودية، خير الدين الزركلي، الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1409هـ/1988م، ص 247.
3. خير الدين الزركلي : المصدر السابق، ص 68، عبد الله صالح العثيمين : معارك الملك عبد العزيز المشهورة لتوحيد البلاد، ط3، مكتبة العبيكان، الرياض، 1419هـ/1998م، ص220.
4. صبري فالح الحمدي : سياسة عبد العزيز بن سعود الخارجية وأثرها في قيام التمثيل الدبلوماسي للمملكة العربية السعودية ومبررات الحاجة إلى مستشارين (1320هـ/1902م - 1373هـ/1953م)، مجله كلية التربية، الجامعة المستنصرية، العدد 59، 1431هـ/2009م، ص469.
5. لم يكن انتقال شمر إلى العراق وليد ظروف الصراع بين آل رشيد والسلطان عبد العزيز، بل سبق ذلك بزمان طويل عندما هاجرت جموع من شمر قبل ما يقارب خمسة قرون ولكن ما لبث أغلبها أن عاد إلى نجد، ثم نزح الكثير من شمر قبل حوالي ثلاثة قرون إلى الجزية الواقعة بين دجلة والفرات غربي الموصل برئاسة فارس الجرباء لأسباب اقتصادية، ثم جاءت الموجة الثالثة في القرن العشرين منذ 1337هـ/1918م، وازادت بعد سقوط حائل لعدة أسباب، أولها أسباب اقتصادية تمثلت في قلة الموارد مع نمو السكان وتكاثرهم، والثانية أسباب سياسية رفضهم الخضوع لآل سعود والترحيب العراقي بدخولهم إلى الأراضي العراقية، وقرب الأراضي العراقية من حائلوجبل شمر وقد وصلت هذه الأسباب مداها بعد سقوط حائل؛ فأصبح تفكير قبائل شمر المهاجرة إثارة المشكلات على الحدود، صادق حسن السوداني: العلاقات العراقية السعودية (1339-1350هـ/1920-1931)، دار الجاحظ، بغداد، {د.ت.}، ص65.
6. محمد حمد العنزي: العلاقات السياسية السعودية العراقية (1338-1365هـ/1919-1945م)، رسالة ماجستير قدمت للجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، 1428هـ/2007م، ص 13.
7. السوداني: المرجع نفسه، ص62.

8. الإخوان: مأخوذة من كلمة الأخ، وقد استعملت بمعنى الحليف أو المعاهد في أول نشأة الإسلام، والإخوان هم جيش الملك عبدالعزيز، أطلق عليهم لقب الإخوان لأنهم تأخوا في ما بينهم للجهاد في سبيل المذهب السلفي، وأول هجرة أنشئت لهم الأوطانية، واستمروا في خدمته حتى قاموا بالتمرد عليه والخروج عن طاعته حيث بدأت أطماعهم السياسية تظهر، ففضى الملك عبدالعزيز عليهم في معركة السبلة عام 1348هـ / 1929م، حافظ وهبة: جزيرة العرب في القرن العشرين، دار الآفاق العربية، القاهرة، 1422هـ / 2001م، ص 285.
9. أمين سعيد: تاريخ الدولة السعودية، ج2، دار الكاتب العربي، {د.م} {د.ت}، ص 110.
10. تقع المحمرة على شط العرب شمال الخليج العربي، وقد اختيرت لأنها إمارة محايدة وأميرها محايد، أمين سعيد، المصدر نفسه، ص 112، وللمزيد من تفاصيل المعاهدة ينظر: وزارة الخارجية: مجموعة المعاهدات من عام (1341-1350هـ / 1922-1931)، ج1، ط1، مطبعة أم القرى، مكة المكرمة، 1350هـ / 1931م، ص 3.
11. عبد الرزاق الحسني: تاريخ الوزارات العراقية في العهد الملكي، ج1، ط2، مطبعة العرفان، صيدا، 1373هـ / 1953م، ص 61.
12. ذكر السيد عبد الرزاق الحسني أن اسمه كان أحمد الثنيان، عبد الرزاق الحسني، المصدر نفسه، ج1، ص 61، كما ذكر ذلك أيضاً أمين سعيد، المصدر نفسه، ص 130.
13. وثيقة بعنوان ترجمة إلى اللغة الإنجليزية للمعاهدة المبرمة بين حكومة العراق وعبد العزيز آل سعود سلطان نجد وملحقاتها الموقعة قرب المحمرة، برقم 9490، وتاريخ، 5/5/1922م، لدى الملك عبد العزيز سيرته وفترة حكمه في الوثائق الأجنبية، الوثائق الأمريكية، مج 9، دار الدائرة، الرياض، 1420هـ / 1999م، ص 1.
14. وزارة الخارجية: المصدر السابق، ج1، ص 1.
15. وثيقة بعنوان ترجمة إلى اللغة الإنجليزية للمعاهدة المبرمة بين حكومة العراق وعبد العزيز آل سعود سلطان نجد وملحقاتها الموقعة قرب المحمرة، برقم 9490، وتاريخ، 5/5/1922م، لدى الملك عبد العزيز سيرته وفترة حكمه في الوثائق الأجنبية، الوثائق الأمريكية، مج 9، دار الدائرة، الرياض، 1420هـ / 1999م، ص 2.
16. وللمزيد عن طريق الحج العراقي النجدي ينظر: نجود حمد الشهراني: موقف الملك عبد العزيز من أزمة طريق الحج العراقي النجدي وأثرها على العلاقات السعودية العراقية (1343-1353هـ / 1924-1935م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك خالد، أبها، 1440هـ / 2019م.
17. للمزيد من بنود المعاهدة ينظر: وزارة الخارجية: المصدر السابق، ج1، المصدر السابق، ص 1؛ عبد الرزاق الحسني: المصدر السابق، ج 1، ص 86.
18. عبد الرزاق الحسني: المصدر السابق، ج1، ص 106؛ غلوب باشا: حرب في الصحراء

مذكرات غلوب باشا، ترجمه: عطية الظفيري، ط1، دار قرطاس، الكويت، 1423هـ/ 2002م، ص61.

19. العقير: ميناء في المنطقة الشرقية، يبعد عن الإحساء حوالي (85) كم، وهو اسم لقصر من القصور وجمرک من جمارک نجد في الإحساء، أهمل وقلت أهميته بعد إنشاء ميناء الدمام، ولقد اجتمع ابن سعود والسير برسي كوكس ثلاث مرات سابقة على هذا المؤتمر، الأولى سنة 1334هـ/ 1915م حين تم عقد المعاهدة البريطانية النجدية، والثانية سنة 1335هـ/ 1916م حين فترت العلاقات البريطانية السعودية، وكانت الدعوة بإيعاز من ابن سعود لخشيته من الشريف حسين، والثالثة سنة 1339هـ/ 1920م حين رجوع كوكس من طهران في طريقه إلى البصرة لتولي منصب المندوب السامي، حمد الجاسر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، ج1، دار اليمامة، الرياض، {د.ت}، ص992؛ محمد سعيد حمدان: المرجع السابق، ص150.

20. ولكنه أناب عنه السيد عبد الله سعيد الدمولوجي، للمزيد ينظر: وزارة الخارجية: المصدر السابق، ج1، ص6.

21. حافظ وهبة: خمسون عامًا في جزيرة العرب، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 1422هـ/ 2001م، ص118.

22. وزارة الخارجية: المصدر السابق، ج1 ص 10، وقد نشرت جلسات مؤتمر العقير مفصلة عند أمين الريحاني: الملك عبد العزيز آل سعود وأمين الريحاني (الرسائل المتبادلة)، ط1، دار أمواج، بيروت، 1422هـ/ 2001م، ص12-17.

23. وزارة الخارجية، مجموعة المعاهدات من عام (1341 - 1350هـ) / 1922 - (1931)، ج1، المصدر السابق، ص7، 6.

24. موزي منصور ال سعود: الملك عبد العزيز ومؤتمر الكويت 1342-1341هـ/ 1923-1924م، ط1، تهامة، جدة، 1402هـ/ 1981م، ص95.

25. كان السلطان عبد العزيز يرتاب ارتيابًا شديدًا من تولي حكام من الأشراف السلطة في الحجاز والعراق وشرق الأردن، وذكر الأديب اللبناني السيد أمين الريحاني أن ابن سعود قال: «لقد طوقني الإنجليز بأعداء» فكان يعد هذا التطويق نتيجة لمؤامرات يحوكمها الإنجليز ضده، غلوب باشا: المصدر السابق، ص61.

26. موزي منصور: المرجع السابق، ص96.

27. أمين سعيد: المصدر السابق، ص129.

28. الكولونيل نوکس: هو أول ضابط بريطاني قضائي في العراق، تعين سنة 1321هـ/ 1903م وكيلاً سياسياً لبريطانيا في الكويت، وكان يطمح لأن يقوم بحل كل المشكلات التي عجز السير برسي كوكس عن حلها سلفاً، موزي منصور: المرجع السابق، ص110.

29. محمد حمد العنزي: المرجع السابق، ص29.

30. موزي منصور : المرجع السابق، ص103.
31. أمين سعيد : المصدر السابق، ص130.
32. محمد سعيد حمدان : المرجع السابق، ص162.
33. أمين سعيد : المصدر السابق، ص 131، 132.
34. موزي منصور : المرجع السابق، ص110.
35. أحمد حطيظ: الملك عبد العزيز بن سعود، ط1، دار الفكر، لبنان، 1412هـ / 1991م، ص65.
36. عبد الرزاق الحسني: المصدر السابق، ج1، ص188.
37. كتب المعتمد البريطاني بجدة إلى حسين بن علي برقية برقم (15)، وتاريخ 29 سبتمبر 1924م، يُرجع فيها أسباب فشل مؤتمر الكويت المهمة والرئيسة إلى الحسين بن علي نفسه، منشورة عند سليمان موسى : صفحات مطوية «مفاوضات المعاهدة بين الشريف حسين وبريطانيا» 1339-1343هـ / 1920-1924م، ط1، {د. ن}، عمّان، 1397هـ / 1976م، ص184، وللمزيد من تفاصيل مؤتمر الكويت ينظر: حافظ وهبه: جزيره العرب في القرن العشرين، المصدر السابق، ص261-265، وأيضاً ينظر: موزي منصور : المرجع السابق، ص134.
38. سمي بهذا الاسم نسبة إلى مخيم بحرة بين جدة ومكة، وتقرر عقده في بحرة بالقرب من جدة؛ نظراً لانشغال الملك بحصار جدة في 21 / ربيع أول 1344هـ / 11 أكتوبر 1925م؛ حيث كان ينزل في معسكره في الرغامة قبل استسلام جدة، وقد كان يطلق عليه اسم أم القرون؛ لكن السلطان عبد العزيز فضل تسميته باسم بحرة أقرب بلدة لأم القرون؛ لأن السلطان عبد العزيز ووفده كانوا متشائمين من هذا الاسم (أم القرون)؛ لذا لا يريدون إطلاقه على هذه الاتفاقية، فهد عبدالله السماري: موسوعة تاريخ الملك عبد العزيز الدبلوماسي، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، 1419هـ / 1999م، ص 238، ولمعرفة تفاصيل هذه الاتفاقية ينظر؛ خالد بن ثنيان آل سعود : العلاقات السعودية البريطانية (1341-1351هـ / 1922-1932م) دراسة وثائقية، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1419هـ / 1998م. ص224-227.
39. فهد السماري : المرجع نفسه، ص 237.
40. الوهابية: نسبة إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وقد اعتاد كثير من المؤرخين والكتاب على استعمال مصطلح «الوهابية» عندما يتحدثون عن الدعوة السلفية التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ بل إن بعضهم يتوسع في استعمال هذا المصطلح حتى يشمل حكم الدولة السعودية في أدوارها المختلفة، وهو خطأ علمي وتاريخي؛ إذ إن الدعوة السلفية هي الجانب الديني، وهذه الدعوة حددت أحكام الدين الإسلامي وعادت به إلى ما كان عليه السلف الصالح، وأبلغ ما يقال في هذا الموضوع قول الملك عبد العزيز في إحدى خطبه في مكة: «يسموننا بالوهابيين» ويسمون مذهبنا بالوهابي، باعتبار

أنه مذهب خامس، وهذا خطأ فاحش، نشأ عن الدعايات الكاذبة التي كان يبثها أهل الأغراض، نحن لسنا أصحاب مذهب جديد، أو عقيدة جديدة، ولم يأت محمد بن عبد الوهاب بالجديد، فعقيدتنا هي عقيدة السلف الصالح التي جاءت في كتاب الله وسنة رسوله، وما كان عليه السلف الصالح»، خير الدين الزركلي: شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، ج3، دار العلم، بيروت، 1406هـ / 1985م، ص791.

41. صادق السوداني : المرجع السابق، ص200.

42. السير جلبرت كلايتون (Sir Gilbert Clayton) : من رجال الجيش البريطاني خدم حكومته في السودان ومصر قبل الحرب العالمية الأولى، عين خلال الحرب رئيساً للاستخبارات العسكرية في مصر، ثم عين مستشاراً للشؤون البلاد العربية، ثم عين سكرتيراً عاماً لحكومة فلسطين بعد احتلال القوات البريطانية، وفي عام 1344هـ / 1925م أوفدته حكومته لعقد معاهدة بحرة. وفي أواخر 1347هـ / 1928م، عين مندوباً سامياً في العراق، وتوفي في بغداد عام 1348هـ / 1929م بعد أن قضى في منصبه فيها ستة أشهر، نجدة صفوة : المرجع السابق، ج2، ص88.

43. صحيفة أم القرى : مؤتمر بحرة ونتائجه، ع45، س1، 1344هـ / 1925م.

44. سليمان توفيق بن يوسف السويدي رئيس مجلس الأعيان ولد في بغداد عام 1310هـ / 1892م، ودرس في مدرسة الأليانس والمدرسة السلطانية، ثم دخل مدرسة الحقوق البغدادية 1326هـ / عام 1908، ثم انتقل إلى إستانبول، وأتم دراسته القانونية فيها وتخرج سنه 1331هـ / 1912، وتقلد عدة مناصب، اعتقل في يوم الثورة لكن عفي عنه وأطلق سراحه عام 1381هـ / 1961، توفي في بيروت عام 1388هـ / 1968م ونقل جثمانه إلى بغداد، ينظر: مير بصري: أعلام السياسة في العراق الحديث، ج1، دار الحكمة، لندن، 1426هـ / 2005م، ص140.

45. محمد حمد العنزي : المرجع السابق، ص69.

46. صادق السوداني : المرجع السابق، ص230.

47. خير الدين الزركلي: شبه الجزيرة العربية، المصدر السابق، ج2، ص275.

48. مكتبة الملك فهد الوطنية، قسم الوثائق البريطانية، سجل 12240 / FO371، وثيقة رقم E4680، كتاب من الملك عبد العزيز الى المندوب السامي في العراق يحتج فيه على إنشاء أبنية عسكرية على الحدود العراقية مما شكل خرقاً لاتفاقية العقير، بتاريخ 1927/9/5م، ص104 .

49. عقدت الاجتماعات في الكندرة (ضاحية في جدة)، أميم سعيد: المصدر السابق، ص246.

50. مثل بريطانيا السير جلبرت كلايتون (Sir Gilbert Clayton)، ومثل العراق مستشار وزارة الداخلية العراقية المستر كورنواليس (Cornwallis) يرافقه الكابتن غلوب باشا مفتش البادية الجنوبية لخبرته في أمور البادية والعشائر ، وحضر عن الجانب

السعودي السلطان عبد العزيز يرافقه يوسف ياسين وفؤاد حمزة وحافظ وهبة وعبد الله الدموجي، ولم يتوصل الاجتماع إلى نتيجة، وعلقت أعماله بسبب انشغال الملك عبد العزيز بموسم الحج لعام 1346هـ/1927م، إلى أن استأنف أعماله في أغسطس 1346هـ / 1927م، أمين سعيد: المصدر السابق، ص 246.

51. مثل العراق في هذه المرحلة توفيق السويدي وزير المعارف يرافقه النقيب بهاء الدين نوري الضابط في الجيش العراقي بصفته خبيراً في أمور العشائر، صادق السوداني: المرجع السابق، ص 294.

52. منسي الهيتاوي : المرجع السابق، ص 27.

53. كان من أهم الأسباب التي دعت إلى تمرد الإخوان ما يلي: -1 أسباب شخصية تمثلت في رغبتهم في الحصول على مناصب في الدولة -2 التعصب الديني؛ حيث اعتبر الإخوان إدخال الملك عبد العزيز المخترعات الحديثة كالتلفون والسيارة مخالفة للدين-3 الدافع الاقتصادي تمثل في احتجاجهم على منع الملك عبد العزيز لهم من غزو البلاد المجاورة لنجد وعشائرها؛ حيث إنهم يعتمدون على الغزو، وما ينتج عنه من مكاسب، مما أربك وضعهم الاقتصادي -4 الدافع السياسي رغبتهم في التوسع على حساب الدول المجاورة لتوسيع سلطانهم وترسيخ نفوذهم، صادق السوداني: المرجع السابق، ص 304.

54. وكانت نهايتهم في نوفمبر عام 1348هـ / 1929م، بعد أن فشلوا في اللجوء عند أي دولة مجاورة، وحاول الدويش بعد هزيمته أن يلتمس العفو من الملك عبد العزيز فرفض أن يعفو عنه، على الرغم من وعده بالإبقاء على حياته، وتم إحضار الإخوان إلى الملك عبد العزيز في 10 يناير عام 1349هـ / 1930م، جوزيف كوستنر : العربية السعودية 1335-1355هـ / 1916-1936م من القبلية إلى الملكية، ترجمة: شاعر سعيد، مكتبة مدبولي، مصر، {د.ت}، ص 215.

55. إسماعيل ياغي: العلاقات السعودية العراقية (1339 - 1378هـ / 1920 - 1958م) مجلة كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود، العدد 2، الرياض 1399هـ / 1978م، ص 37.

56. فرنسيس همفريز (Francis Humphries) : تم تعيينه بدلاً من السير جلبرت كلايتون (Sir Gilbert Clayton) إثر وفاته واستمرت فترة انتدابه كمندوب سام لبريطانيا في العراق مدة ستة أشهر عام 1348هـ / 1929م، وظل همفريز في منصبه كمندوب سام من 1348هـ - 1351هـ / 1929-1932م؛ حيث أصبح أول سفير لبريطانيا في العراق إثر دخوله عصبة الأمم، محمد سعيد حمدان : المرجع السابق، ص 197.

57. كان من المقرر أن يكون موضع هذا المؤتمر في منطقة الحياض بين الحدود النجدية والعراقية، وهي المنطقة التي أطلق عليها كلمة بقلادة، ولكن جاءت برقية متأخرة من ابن سعود تقول: إن جلالته رحل من موضعه القريب من الحدود العراقية النجدية، وأنه

إذا كانت الحكومة العراقية راغبة في تنفيذ أمر المؤتمر؛ فيمكن عقده بالقرب من الحدود الكويتية النجدية؛ حيث مقر جلالته العسكري، فكانت هذه البرقية عاملاً من عوامل تأجيل عقد المؤتمر وباعثاً من بواعث تدخل الإنجليز في تعيين محل عقده، الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ج2، ص275، وقد اقترح ابن سعود تسميته بمؤتمر الائتلاف، ولكن فؤاد حمزة بين له أن العادة جرت بتسمية المؤتمر باسم المحل الذي يعقد فيه، وهكذا سمي بمؤتمر لوبن نسبة إلى البارجة، ولقد سماه بعض الصحفيين بمؤتمر الفاو؛ لأن البارجة لوبن رست على بعد 15 ميلاً من الفاو في رأس الخليج العربي، محمد سعيد حمدان: المرجع السابق، ص 197.

58. فؤاد حمزة فلسطيني الأصل وصل السعودية عام 1347هـ / 1928م، وأثبت جدارته في وزارة الخارجية السعودية كوكيل لها؛ حيث استلم منصب عبد الله الدملوجي وظل على رأس عمله حتى توفي عام 1371هـ / 1951م في بيروت، محمد سعيد حمدان، المرجع السابق، ص 176.

59. إبراهيم بن معمر: عمل في التجارة بين الهند والكويت قام بأسفار عديدة في أوروبا وبلاد العرب، ثم استقر فترة في مصر، وهناك كتب عدداً من المقالات في الصحف حول نجد والملك عبد العزيز، وقد أرسل إليه الملك عبد العزيز بعد توحيد الحجاز للعمل لديه؛ فعينه رئيساً للديوان الملكي عدة سنوات، وأوفده الملك عبد العزيز للقاء وزير الداخلية العراقي ناجي السويدي في الكويت لعقد مؤتمر لوبن عام 1349هـ / 1930م وعين وزيراً مفوضاً في العراق وقنصلاً عاماً في بغداد عام 1352هـ / 1933م حتى عام 1356هـ / 1937م كما تولى منصب وكيل وزارة الخارجية بالنيابة عام 1357هـ / 1938م، توفي في بيروت عام 1378هـ / 1958م، فهد السماري: المرجع السابق، ص 487.

60. ناجي السويدي: إبراهيم ناجي يوسف السويدي، ولد في بغداد عام 1300هـ / 1882م ودرس في مدرستها الإعدادية، ثم رحل إلى إستانبول ودرس في كلية الحقوق، تقلد عدة مناصب، وفي عام 1348هـ / 1929م، عهد إليه برئاسة الوزراء، ووزارة الخارجية، ثم في عهد وزارته التقارب العراق والمملكة العربية السعودية، وعقد مؤتمر لوبن عام 1930م، توفي عام 1949م، مير بصري، المرجع السابق، ص 135.

61. عبدالرزاق الحسني: المصدر السابق، ج2، ص 276.

62. جاءت موافقة شيخ الكويت على عقد الاجتماع في بلاده، وبهذا أدت الكويت وشيخها دوراً مهماً في تحسين الصلات بين البلدين للمرة الثانية بعد مؤتمر الكويت عام 1343هـ / 1924م، ويبدو أن حيادها أميراً وحكومة وشعباً وموقعها المتوسط بين الطرفين كانت من الدوافع الرئيسة لاختيارها كمقر للمؤتمر التمهيدي، صادق السوداني: المرجع السابق، ص 322.

63. عبد الرزاق الحسني: المصدر السابق، ج2، ص 276.

64. ومن الملاحظ كثرة تغير الوزارات منذ قيام الحكم الوطني في العراق ولا تدوم أكثر من بضعة أشهر، للمزيد ينظر، مذكرات السيد محسن أبو طبيخ 1328-1380هـ/1910-1960م، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1422هـ/ 2001م، ص306.
65. صادق السوداني: المرجع السابق، ص336.
66. منسي الهيتاوي: المرجع السابق، ص33.
67. عبدالرزاق الحسني: المصدر السابق، ج2، ص278.
68. عبد الرزاق الحسني: تاريخ الوزارات العراقية، ص188.
69. أمين الريحاني: تاريخ نجد الحديث وملحقاته، ص319.
70. وزارة الخارجية: المصدر السابق ج 1، ص3.
71. أمين سعيد، المصدر السابق، ص250.
72. الفريق نوري باشا السعيد: محمد نوري بن سعيد أفندي كاتب محاسبة الولاية من وجوه عشيرة القرة غول ولد في بغداد عام 1306هـ/ 1888، وتلقى دراسته في المدرسة الإعدادية العسكرية عام 1321هـ/ 1903م، ثم انتقل إلى إستانبول، والتحق بالمدرسة العسكرية عام 1322هـ/ 1904م وتخرج ملازمًا ثانيًا عام 1324هـ/ 1906م، وقد ألحق بالجيش التركي السادس المرابط في العراق، تقلد عدة مناصب، رافق الحكم الملكي في العراق سبعًا وثلاثين سنة، وكان أوسع رجال السياسة العربية نفوذًا وأشدهم دهاء، وعندما قامت ثورة تموز اختفى في دار محمود الإسترابازي في الكاظمية، وخرج في اليوم الثاني إلى جنوبي بغداد فلقى مصرعه وسط الجماهير عام 1378هـ/ 1958م. ينظر مير بصري: المرجع السابق، ص157.
73. كلمة اشتقت من اليونانية ومعناها في الأصل المسودة أو الصورة الأولى لمعاهدة أو وثيقة أو مكاتبة سياسية، وتطلق أحيانًا على بعض العهود والاتفاقيات الدولية، وتطلق بالأخص على الرسوم والإجراءات التي تجري عليها دولة من الدول في تنظيم علاقاتها الخارجية، سواء في إجراء المفاوضات السياسية أم في عقد المعاهدات أو مخاطبة الدول الأخرى واستقبال ممثليها أو تحرير المكاتبات الدبلوماسية، صحيفة أم القرى: المصطلح الشريف أو نظم البروتوكول في الدول الإسلامية، ع3، ص15، 1352هـ/ 1933م.
74. مصطفى حنفاوي: ابن سعود: سياسته، حروبه، مطامعه، ط1، المطبعة المصرية، {د.م.، 1353هـ/ 1934م، ص163.
75. دارة الملك عبدالعزيز، وثيقة رقم 661، التوقيع على معاهدة الصداقة وحسن الجوار وبروتوكول التحكيم بين مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها والعراق، بتاريخ 10/4/1931م،، العنزي: المرجع السابق، ص105.
76. مكتبة الملك فهد الوطنية، قسم الوثائق البريطانية، سجل FO371/15285، وثيقة رقم E2795، كتاب من المندوب السامي في العراق الى وزارة المستعمرات حول مفاوضات

- نوري السعيد بخصوص معاهدة الصداقة وحسن الجوار بين حكومة العراق وحكومة نجد والحجاز الموقعة في مكة المكرمة، بتاريخ 10/5/1931م ، ص100.
77. مكتبة الملك فهد الوطنية، قسم الوثائق البريطانية، سجل FO371/15285، وثيقة رقم E2795، كتاب من المندوب السامي في العراق الى وزارة المستعمرات حول مفاوضات نوري السعيد بخصوص معاهدة الصداقة وحسن الجوار بين حكومة العراق وحكومة نجد والحجاز الموقعة في مكة المكرمة، بتاريخ 10/5/1931م ، ص100 ؛ وزارة الخارجية: مجموعه المعاهدات (1341 - 1350هـ / 1922 - 1931م)، المصدر السابق، ص68-72.
78. دارة الملك عبد العزيز، وثيقة رقم 664، نوري السعيد يوقع على معاهدة الصداقة وحسن الجوار وعلى بروتوكول التحكيم ومعاهدة تسليم المجرمين بين مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها وبين العراق، بتاريخ 15/4/1931م.
79. مكتبة الملك فهد الوطنية، قسم الوثائق البريطانية، سجل FO371/15285، وثيقة رقم E2795 ، كتاب من المندوب السامي في العراق الى وزارة المستعمرات حول مفاوضات نوري السعيد في الحجاز الموقعة في مكة المكرمة، بتاريخ 10/5/1931م ، ص104 ؛ صحيفة أم القرى : بروتوكول تحكيم بين المملكة الحجازية والنجدية وملحقاتها وبين المملكة العراقية، ع333، س7، 1350هـ/1931م.
80. وزارة الخارجية : المصدر السابق، ج1، ص85 .
81. وزارة الخارجية، الكتاب الأخضر النجدي : مؤتمر الكويت نشر بأمر سلطان نجد، مكة المكرمة، {د.ت}، ص22، 23.
82. فتحي العفيفي : مشكلات الحدود السياسية في منطقة الخليج العربي، ط1، المركز الأكاديمي للدراسات الإستراتيجية، القاهرة، 1421هـ / 2000م، ص333.
83. أحمد عبد الغفور عطار: صقر الجزيرة، ج1، ط1 {د.ن}، جدة، 1386هـ / 1966م، ص386.
84. صادق السوداني : المرجع السابق، ص352.
85. فهد السماري : المرجع السابق، ص279.
86. مكتبة الملك فهد الوطنية، قسم الوثائق البريطانية، سجل FO371/15285، وثيقة رقم E2795، كتاب من المندوب السامي في العراق الى وزارة المستعمرات حول مفاوضات نوري السعيد بخصوص معاهدة الصداقة وحسن الجوار بين حكومة العراق وحكومة نجد والحجاز الموقعة في مكة المكرمة ، بتاريخ 10/5/1931م، ص106 ؛ وزارة الخارجية ، المصدر السابق، ج1، ص75.
87. محمد حمد العنزي : المرجع السابق، ص109.
88. وزارة الخارجية: المصدر السابق، ج1، ص66.
89. ممدوح عارف الروسان : العلاقات السعودية العراقية 1339-1360هـ / 1920-1941م، ضمن أبحاث المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبد العزيز، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، 1378هـ / 1958م، ص18.
90. وزارة الخارجية: المصدر السابق، ج1، ص67.

قائمة المصادر والمراجع أولاً/ الوثائق:

- وثيقة بعنوان ترجمة إلى اللغة الإنجليزية للمعاهدة المبرمة بين حكومة العراق وعبد العزيز آل سعود سلطان نجد وملحقاتها الموقعة قرب المحمرة، برقم 9490، وتاريخ، 5/5/1922م، لدى الملك عبد العزيز سيرته وفترة حكمه في الوثائق الأجنبية، الوثائق الأمريكية، مج 9، دار الدائرة، الرياض، 1420هـ/1999م.
- مكتبة الملك فهد الوطنية، قسم الوثائق البريطانية، سجل 12240 / FO371، وثيقة رقم E4680، كتاب من الملك عبد العزيز الى المندوب السامي في العراق يحتج فيه على إنشاء أبنية عسكرية على الحدود العراقية مما شكل خرقاً لاتفاقية العقير، بتاريخ 5/9/1927م.
- دارة الملك عبدالعزيز، قسم الوثائق، وثيقة رقم 661، التوقيع على معاهدة الصداقة وحسن الجوار وبروتوكول التحكيم بين مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها والعراق، بتاريخ 10/4/1931م.
- مكتبة الملك فهد الوطنية، قسم الوثائق البريطانية، سجل 15285 / FO371، وثيقة رقم E2795، كتاب من المندوب السامي في العراق الى وزارة المستعمرات حول مفاوضات نوري السعيد بخصوص معاهدة الصداقة وحسن الجوار بين حكومة العراق وحكومة نجد والحجاز الموقعة في مكة المكرمة، بتاريخ 10/5/1931م.
- دارة الملك عبد العزيز، وثيقة رقم 664، نوري السعيد يوقع على معاهدة الصداقة وحسن الجوار وعلى بروتوكول التحكيم ومعاهدة تسليم المجرمين بين مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها وبين العراق، بتاريخ 15/4/1931م.

ثانياً/ المصادر والمراجع العربية:

- الحسني، عبد الرزاق الحسني: تاريخ الوزارات العراقية في العهد الملكي، ج1، ط2، مطبعة العرفان، صيدا، 1373هـ/1953م.
- أحمد حطيط: الملك عبد العزيز بن سعود، ط1، دار الفكر، لبنان، 1412هـ/1991م.
- مصطفى حنفاوي: ابن سعود: سياسته، حروبه، مطامعه، ط1، المطبعة المصرية، {د.م.}، 1353هـ/1934م.
- أمين الريحاني: الملك عبد العزيز آل سعود وأمين الريحاني (الرسائل المتبادلة)، ط1، دار أمواج، بيروت، 1422هـ/2001م.
- أمين الريحاني: تاريخ نجد الحديث وملحقاته، المطبعة العلمية، بيروت، 1347هـ/1928م.
- خير الدين الزركلي: شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، ج3، دار العلم، بيروت،

- 1406هـ / 1985م.
- خير الدين الزركلي: الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1409هـ / 1988م.
- خالد بن ثنيان آل سعود : العلاقات السعودية البريطانية (1341-1351هـ / 1922-1932م) دراسة وثائقية، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1419هـ / 1998م.
- موضي منصور آل سعود : الملك عبد العزيز ومؤتمر الكويت 1342-1341هـ / 1923-1924م، ط1، تهامة، جدة، 1402هـ / 1981م.
- صادق حسن السوداني: العلاقات العراقية السعودية (1339-1350هـ / 1920-1931)، دار الجاحظ، بغداد، {د.ت.}.
- نجدة صفوة: الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية، ج1؛ ج2؛ ج5، دار الساقى، بيروت، 1417هـ / 1996م .
- عبد الله صالح العثيمين: تاريخ المملكة العربية السعودية، ج2، مكتبة العبيكان، الرياض، 1431هـ / 2009م.
- عبد الله صالح العثيمين : معارك الملك عبد العزيز المشهورة لتوحيد البلاد، ط3، مكتبة العبيكان، الرياض، 1419هـ / 1998م.
- أحمد عبد الغفور عطار: صقر الجزيرة، ج1، ط1 {د.ن.}، جدة، 1386هـ / 1966م، فتحي العفيفي : مشكلات الحدود السياسية في منطقة الخليج العربي، ط1، المركز الأكاديمي للدراسات الإستراتيجية، القاهرة، 1421هـ / 2000م .
- وزارة الخارجية : مجموعة المعاهدات من (1341-1350هـ / 1922-1931م)، ط1، مطبعة ام القرى، مكة المكرمة ، 1350هـ / 1932م.
- وزارة الخارجية: الكتاب الأخضر النجدي : مؤتمر الكويت نشر بأمر سلطان نجد، مكة المكرمة، {د.ت.}.
- وهبة، حافظ وهبة: جزيرة العرب في القرن العشرين، دار الآفاق العربية ، القاهرة، 1422هـ / 2001م .
- حافظ وهبة : خمسون عامًا في جزيرة العرب، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 1422هـ / 2001م.

المصادر والمراجع المعرّبة:

- جوزيف كوستنر: العربية السعودية 1335-1355هـ / 1916-1936م من القبلية إلى بالملكية، ترجمة: شاكر سعيد، مكتبة مدبولي، مصر، {د.ت.}.
- الموسوعات:
- مير بصري: أعلام السياسة في العراق الحديث، ج1، دار الحكمة، لندن، 1426هـ /

- 2005 م.
- فهد عبدالله السماري : موسوعة تاريخ الملك عبد العزيز الدبلوماسي، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، 1419هـ / 1999م.

الرسائل العلمية :

- نجود حمد الشهراني : موقف الملك عبد العزيز من أزمة طريق الحج العراقي النجدي وأثرها على العلاقات السعودية العراقية (1343-1353هـ / 1924-1935م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك خالد، أبها، 1440هـ / 2019م.
- محمد حمد العنزي: العلاقات السياسية السعودية العراقية (-1338 1365هـ / 1919-1945م)، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، 1428هـ / 2007م.
- منسي الهيتاوي : العلاقات العراقية السعودية (1351-1378هـ / 1932-1958)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعه بغداد، 1404هـ / 1983م.
- المذكرات الشخصية :
- غلوب باشا: حرب في الصحراء مذكرات غلوب باشا، ترجمه: عطيه الظفيري، ط1، دار قرطاس، الكويت 1423هـ / 2002م.
- حسن أبو طيبيخ: ذكرات السيد محسن أبو طيبيخ 1328-1380هـ / 1910-1960م، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1422هـ / 2001م.

الدوريات:

- صبري فالح الحمدي: سياسة عبد العزيز بن سعود الخارجية وأثرها في قيام التمثيل الدبلوماسي للمملكة العربية السعودية ومبررات الحاجة إلى مستشارين (1320هـ / 1902م - 1373هـ / 1953م)، مجله كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ع 59، 1431هـ / 2009م.
- ممدوح عارف الروسان: العلاقات السعودية العراقية 1339-1360هـ / 1920-1941م، ضمن أبحاث المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبد العزيز، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، 1378هـ / 1958م،
- إسماعيل ياغي: العلاقات السعودية العراقية (1339 - 1378هـ / 1920 - 1958م) مجلة كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود، ع 2، الرياض 1399هـ / 1978م.

الصحف: صحيفه أم القرى:

- صحيفه أم القرى : مؤتمر بحرة ونتائجه، ع 45، س 1، 1344هـ / 1925م.

- صحيفة أم القرى : بروتوكول تحكيم بين المملكة الحجازية والنجدية وملحقاتها وبين المملكة العراقية، ع333، س7، 1350هـ/1931م.
- صحيفة أم القرى :المصطلح الشريف أو نظم البروتوكول في الدول الإسلامية، ع3، س15، 1352 هـ/1933م.

سقيفة بني ساعدة (12 ربيع أول 11هـ / 7 يونيو 632م)

قسم التاريخ - كلية التربية - جامعة الزعيم الأزهرى

أ.إسراء إبراهيم بكري إبراهيم

المقدمة :

بعد وفاة الرسول ﷺ ظهرت مشكلة من أكبر المشكلات التي كادت أن تحدث فتنة وتعصف بالدولة الإسلامية وهي مشكله الخلافة إذ إن الرسول ﷺ عندما توفي كانت وفاته حدثاً جليلاً أصاب المسلمين وشتت أفكارهم أضف إلى ذلك أن الرسول ﷺ لم يعهد أو يوصي أو يعين من يخلفه في أمور الحكم ولم يرد نص صريح في القرآن يحدد أسس الانتخاب لخليفة رسول الله.

وبعد وفاته حدث جدل كبير بين المهاجرين والأنصار في سقيفة بني ساعدة (مكان يجتمع فيه الأنصار يقع في الجهة الشمالية الغربية من المسجد النبوي) وكل منهم يرى أن مكانته في الإسلام تؤهله للفوز بالخلافة وما حدث في سقيفة بني ساعدة حدث عظيم في التاريخ الإسلامي كاد أن يؤدي إلى فتنة ويغير مجري التاريخ لولا وجود عدد من الصحابة وأبو بكر الصديق الذي لولا حكمته ورجاحة عقله وإصراره على الحفاظ على إنجازات الرسول ﷺ من دين ودولة وذلك بوعدة له حين قال عند وفاته: بأبي أنت وأمى يا رسول الله طبت حياً وميتاً والذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتتين أبداً، أما الموتة التي كتبت عليك فقد متها لحدث ما لا يحمد عقباه من انشقاق ولرجعت العصبية القبلية التي أزالها الرسول ﷺ بالإسلام.

نسرده في هذه الورقة هذا الحدث العظيم الذي لا يمكن تجاوزه لأهميته في التاريخ الإسلامي ونتبع المنهج التاريخي الوصفي التحليلي.

المستخلص :

تهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على أهم وأكبر حدث بعد وفاه الرسول ص ﷺ وهو مشكلة الخلافة في سقيفة بني ساعدة. وتتمثل مشكلة الدراسة أن قضية الخلاف حول الخلافة في سقيفة بني ساعدة كادت أن تؤدي إلى فتنة تعصف بالدولة الإسلامية وإلى الانشقاق والانقسام لولا لطف الله ووجود الصحابة رضوان الله عليهم. تكمن أهمية الدراسة في سردها لهذا الحدث المهم والكبير في تاريخ الدولة الإسلامية وإظهارها لدور الصحابة رضوان الله عليهم في وأد الفتنة في مهدها والحفاظ على الدولة الإسلامية موحدة. اتبعت الدراسة المنهج

التاريخي الوصفي التحليلي في سرد الأحداث منذ وفاة الرسول ﷺ إلى حضور الأنصار أولاً إلى السقيفة ثم حضور المهاجرين والجدل الذي دار تفصيلاً إلى بيعة أبي بكر الصديق ﷺ وأرضاه. توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج والتوصيات، أهم النتائج: إن الإمامة أو الخلافة لا تقام إلا بالاختيار والشورى، الخلافة لا يتولاها إلا الأصلب والأكفأ وإدارة والأجدر والأأنفع للأمة، إضافة إلى أن الحوار وتقبل الآخر والحجة والإقناع هي الطرق المثلى لحل جميع المشكلات. وأهم التوصيات التي خرجت بها الدراسة، هي إنفاذ الشورى التي أوصى بها الرسول ﷺ وعمل بها، البعد عن العصبية القبلية والانتفاف حول مصلحه الأمة، والافتداء بالرسول ﷺ في القول والفعل.

Abstract

The objectives of this study is to illustrates further the debate took place in “SaggiffatbeniSaaeda” the most ever important and major problem in the Islamic history after the death of the Messenger Mohamed “peace be upon him”.

The problem of the study is that to what extent without the presence of the Companions “ May Allah pleased with them” the debates drive the Umma to a major strife, led to Schmitt and split the Islamic State.

The importance of this study lies in it’s narrations of this major issue among the history of Islamic State. Moreover, the study focused on the role of the Companions “ May Allah please them” who succeed in eradicating the sedition from the beginning which contributed in preserving and unifying later the Islamic State.

In this study, the researcher followed the historical, descriptive and analytical methods in narrating the events chronologically since the death of prophet Muhammad “peace be upon him” not limited to but includes the arrival of both the “Ansar” and later severally the “Mohagreen” to SaggiffatbeniSaaeda” respectively.

The study also focusses on the controversary that took place among both in details till the pledge of allegiance to the Calipha Abu Baker Alsiddig “may Allah be pleased with him and grant him”

وفاة الرسول ﷺ:

قامت في المدينة دولة الإسلام وظهرت حكومته ووضحت مهام جديدة في حياة الرسول ﷺ إلى جانب مهمته الأولى في حمل الإسلام وتبليغه تلك المهام تمثلت في رعاية الناس وتصريف أمور المسلمين وحل مشكلاتهم والفصل في منازعاتهم. وإرسال البعث واستقبال الوفود وتوجيه الغزوات والسرايا وغير ذلك من الأعمال التي تتطلبها شؤون الحكم وتقتضيها وظائف الدولة. كان الرسول ﷺ في المدينة رسولاً ونبياً يبلغ عن ربه الرسالة ويؤدي الأمانة وكان أيضاً حاكماً يطيعه الناس ويأتمرون بأمره، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوَلِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ...﴾⁽¹⁾.

1 عندما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية بعث الرسول ﷺ من ينوب عنه في تلك البلاد ويقوم فيها مقامه في الحكم بين الناس ورعاية أمورهم، وكان معاذ بن جبل* واحداً ممن بعثهم إلى تلك البلاد نائباً عنه في بلاد اليمن وعتاب بن أسيد* نائباً عنه في مكة⁽²⁾. وهكذا كان الرسول ﷺ إذا غاب أوكل من ينوب عنه ويقوم بأمور الناس حتى في قيادة الجيوش إذا لم يخرج على رأس جيش استخلف من يقوم مقامه في قيادتها وهكذا كان الرسول ﷺ في كل غياب عن أمر من الأمور يجعل خليفة ينوب عنه حتى في مرضه الأخير ﷺ استخلف في الصلاة إماماً ينوب عنه.

بعد رجوع رسول الله ﷺ من حجة الوداع في ذي الحجة في السنة العاشرة للهجرة أقام بالمدينة وبدأ بتجهيز جيش تحت قيادة أسامة بن زيد* إلى البلقاء وفلسطين رداً على ما جرى في معركة مؤتة وبينما كان الناس يستعدون للالتحاق بجيش أسامة بدأ رسول الله ﷺ يشكو من المرض الذي التحق بسببه إلى الرفيق الأعلى⁽³⁾.

واستأذن الرسول ﷺ أن يمرض في بيت عائشة فأذن له وكان ﷺ يقول: (..إن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار ذلك العبد ما عند الله..)، فبكى أبو بكر فقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: فجعنا لبيكائه، ولكننا علمنا أن رسول الله ﷺ هو المخير وكان أبو بكر أعلمنا فقال رسول الله ﷺ: (..إن أمن الناس على في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر.. ولكن أخوة الإسلام ومورثه لا يبقين في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر⁽⁴⁾).

قال الحافظ ابن حجر: وكان أبا بكر ﷺ فهم الرمز الذي أشار به النبي ﷺ من قرينة ذكره في مرضه فاستشعر منه أنه أراد نفسه فلذلك بكى⁽⁵⁾ فلما اشتد المرض بالنبي ﷺ وحضرته الصلاة فأذن بلال قال النبي ﷺ مروا أبا بكر فليصل فقبل إن أبا بكر رجل أسيف* إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس. فأعاد عليهم ما قال فأعادوا له فأعاد الثالثة⁽⁶⁾.

استمر أبوبكر يصلي بالمسلمين حتى إذا كان يوم الإثنين وهم صفوف في صلاة الفجر كشف النبي ﷺ سترة الحجرة ينظر إلى المسلمين وهم وقوف أمام ربهم وليرى كيف أثمر غرسه وكيف نشأت أمة تحافظ على الصلاة وتواظب عليها بحضرة نبيها وغيبته وإطمأن أن صلة هذه الأمة بهذا الدين وعبادة الله تعالى صله دائمة لا تقطعها وفاة نبيها. يقول الصحابة رضي الله عنهم: كشف النبي ﷺ سترة حجرة عائشة ينظر إلينا وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف ثم تبسم يضحك فكنا أن نفنتن من الفرح وظننا أن النبي ﷺ خارج إلى الصلاة فأشار إلينا أن أتموا صلاتكم ودخل الحجرة وأرعى الستر (7)

واشتد الوجع بالنبي ﷺ ودخل عليه أسامة بن زيد وقد صمت فلا يقدر على الكلام فجعل يرفع يديه إلى السماء ثم يضعها على أسامة فعرف أنه يدعو له وأخذت السيدة عائشة رسول الله ﷺ وأوسدته إلى صدرها بين سحرها ونحرها (8) فدخل عبد الرحمن بن أبي بكر ويده سواك فجعل رسول الله ينظر إليه، فقالت عائشة: أخذه لك فأشار برأسه، نعم، فأخذته من أخيها ثم مضغته وليته وناولته إياه فاستاك به كأحسن ما يكون الاستياك وكل ذلك وهو لا ينفك عن قوله: (إلى الرفيق الأعلى) (9). وكان ﷺ بجانبه ركوة ماء (وعليه ماء فيمسح بها وجهه ويقول: لا إله إلا الله. إن للموت سكرات) ثم نصب يده فجعل يقول: (إلى الرفيق الأعلى) حتى قبض ومالت يده وفي لفظ أن النبي ﷺ كان يقول: (اللهم أعني على سكرات الموت) (10). وقد ورد أن فاطمة رضي الله عنها قالت: واكرب أباه فقال لها (ليس على أبيك كرب بعد اليوم) فلما مات قالت: يا أبتاه.. أجاب ربا دعاه: يا أبتاه.. جنة الفردوس مأواه.. يا أبتاه.. إلى جبريل منفاه.. فلما دفن ﷺ قالت لأئس، كيف طابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب (11).

ولما توفي رسول الله ﷺ اضطرب المسلمون فمنهم من دهش فحولط ومنهم من أقعد فلم يطق القيام، منهم من اعتقل لسانه فلم يطق الكلام، ومنه من أنكر موته بالكلية (12).

قال القرطبي مبيناً عظم هذه المصيبة وما ترتب عليها من أمور: من أعظم المصائب المصيبة في الدين، قال رسول الله ﷺ: (إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصابه بي فإنها أعظم المصائب) (13).

وقال ابن إسحاق:

(... ولما توفى رسول الله ﷺ عظمت به مصيبة المسلمين فكانت عائشة فيما بلغني تقول: لما توفى النبي ﷺ ارتدت العرب واشربأت اليهودية والنصرانية ونجم النفاق، صار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية لفقد نبهم⁽¹⁴⁾).

وقال القاضي أبوبكر بن العربي:

(... واضطربت الحال.. فكان موت النبي ﷺ قاصمة الظهر، ومصيبة العمر. فأما على فاستخفى في بيت فاطمة، وأما عثمان فسكت، وأما عمر فأهجر، وقال: ما مات رسول الله، وإنما وأعدده ربه كما واعد موسى، وليرجعن رسول الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم⁽¹⁵⁾).

لما سمع أبوبكر الخبر أقبل على فرس من مسكنه بالسبح حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فكشف عن وجهه ﷺ ثم أكب عليه فقبله وبكى ثم قال: بأبي أنت وأمي. والله لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتى التي كتبت عليك فقد متها⁽¹⁶⁾. وخرج أبوبكر وعمر يتكلم فقال: اجلس يا عمر وهو ماض في كلامه وفي ثورة غضبه فقال أبو بكر في الناس خطيباً بعد أن حمد الله وأثنى عليه: (أما بعد فإن من كان يعبد محمداً فإن محمد قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾⁽¹⁷⁾ فنشج الناس يبكون⁽¹⁸⁾).

ظهور مشكلة الخلافة في سقيفة بني ساعدة:

توفى الرسول ﷺ سنة (11هـ) دون أن يعين من يخلفه في أمور الحكم أو يعهد أو يوصي بمن يخلفه بل ترك ذلك للجماعة الإسلامية. بادر الأنصار إلى سقيفة بني ساعدة ورشحوا لمنصب الخلافة سعد بن عبادة*، ظناً منهم أن مكانتهم في الإسلام تمكنهم من ناصية الخلافة، وكان مما قاله الأنصار واحتجوا به في سقيفة بني ساعدة أن لهم سابقة في الدين وفضيلة في الإسلام ليست لقبيلة من العرب وأن محمداً عليه السلام لبث بضع عشر سنوات في قومه إلا قليل لم يقدروا أن يمنعوا رسول الله ﷺ ولا أن يعزوا دينه ولا أن يدفعوا عن أنفسهم ضيماً، وظلوا كذلك حتى آمن الأنصار، فلما آمنوا استقامت العرب لأمر الله طوعاً وكرهاً وأثنى الله لرسوله بهم الأرض وتوفى الرسول ﷺ وهو عنهم راضٍ وبهم قريير العين، ولكن الأنصار كانوا يعلمون أن المهاجرين ليسوا من دونهم في طلب هذا الأمر - أي أمر الخلافة - فالمهاجرون أسبق منهم في مضمار الدعوة وحمل الرسالة ولذلك

قالوا عن المهاجرين (أنهم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الأولون وعشيرته وأولياؤه)، وأنهم سيطلبون الخلافة للفريقين معاً أميراً من المهاجرين وأميراً من الأنصار⁽¹⁹⁾.

ومما جاء في كلام سعد بن عبادة رئيس القوم ومرشح الأنصار للخلافة (... يا معشر الأنصار، لكم سابقة في الدين وفضيلة في الإسلام ليست لقبيلة من العرب. إن محمداً عليه السلام لبث بضع عشرة سنة في قومه يدعوهم إلى عبادة الرحمن ما كانوا يقدرون على أن يمنعوا رسول الله، ولا أن يغفروا دينه ولا أن يدفعوا عن أنفسهم ضيماً عموا به حتى إذا أراد بكم الفضيلة، ساق إليكم الكرامة وخصكم بالنعمة فرزقكم الله الإيمان به وبرسوله، والمنع له ولأصحابه الإعزاز له ولدينه والجهاد لأعدائه فكنتم أشد الناس على عدوه منكم وأثقله على عدوه من غيركم، حتى استقامت العرب لأمر الله طوعاً وكرهاً. وأعطى البعيد المقادة صاغراً داخراً، حتى أثنى الله عز وجل لرسوله بكم الأرض. ودانت بأسيا فكم له العرب وتوفاه الله وهو عنكم راضٍ وبكم قري عين. استبدوا بهذا الأمر فإنه لكم دون الناس⁽²⁰⁾، فأجابه من كان حاضراً من الأنصار أن قد وفقت في الرأي وأصبت من القول. ولكنهم عادوا وقالوا: فإن أبت مهاجرة قريش فقالوا: نحن المهاجرون وصحابة رسول الله ﷺ الأولون ونحن عشيرته وأولياؤه فعلام تنازعوننا هذا الأمر بعده، فقالت طائفة: فإننا نقول: إذا منا أمير ومنكم أمير⁽²¹⁾

ونجد أنه بعد وفاة الرسول ﷺ كان من الطبيعي أن يفكر الأنصار في أمر مدينتهم أول ما عرفوا بموت النبي ﷺ وراودتهم عدة أسئلة، ترى أیظل أمر هذه المدينة وأمر العرب إلى المهاجرين الذين أقاموا ضعاف في مكة لا مأوى لهم ولا نصير حتى أعانتهم المدينة، أم يكون الأمر لأهل هذه المدينة الذين قال فيهم الرسول ﷺ: (إنه أتاهم مكذباً فصدقوه، ومخذولاً فنصروه، وطريداً فأووه، وعائلاً فأسووه)، تحدث بعض الأنصار إلى بعض في هذا وتداعوا إلى سقيفة بني ساعدة وكان سعد بن عبادة مريضاً في داره فأخرجوه إليهم ليكون صاحب الرأي فيهم، وأصغى سعد إلى حديثهم، ثم قال لبعض بني عمه: إنني لا أقدر لشكواي أن أسمع القوم كلهم، كلامي ولكن تلق مني قولاً وأسمعهم⁽²²⁾. وإضافة إلى ما جاء في كلام سعد بن عبادة من الحجج التي احتج بها سعد في ترشيح نفسه للخلافة نيابة عن الأنصار وباسمهم فهناك سوابق كانت حاضرة في أذهان الأنصار، فقد استند الأنصار في حجتهم إلى أحاديث عن رسول الله ﷺ تفيد أن الرسول ﷺ من الأنصار وأنهم آله وعشيرته، فعن عبد الله بن زيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار ولو سلك الناس وادياً أو شعباً لسلكت وادي الأنصار وشعبها) متفق عليه⁽²³⁾.

ولذلك رأى الأنصار أن رئاسة المسلمين بعد رسول الله يجب أن تكون فيهم وحدهم، ولهذا يجب أن يولوا أميراً منهم وأن يجمعوا على زعيمهم سعد بن عبادة. ومن أهم التصريحات التي استند إليها الأنصار:

أولاً: ما ورد في بيعة العقبة الكبرى، إذ قال الرسول عليه السلام لوفد المدينة مع مصعب بن عمير* - الدم الدم - الهرم الهرم - يعني أنا منكم وأنتم مني أيها الأنصار، وهذا عندما قال الأنصار للرسول ﷺ: فهل عسيت أن نحن بايعناك وقاطعنا اليهود ثم أظهرك الله تعالى أن ترجع إلى قومك وتدعنا، فعند ذلك صرح لهم بذلك التصريح الآتف⁽²⁴⁾. ومن فضل الله تعالى على الأنصار رضوان الله عليهم أن جعل حياة رسوله ﷺ وموته عندهم ففي حديث أبي هريرة ؓ في قصة فتح مكة، قال: قالت الأنصار بعضهم لبعض: أما الرجل فأدركته رغبة في قريته ورأفته بعشيرته قال أبو هريرة: فجاء الوحي وكان إذا جاء الوحي لا يخفى علينا فإذا جاء لا يرفع أحد طرفه إلى رسول الله ﷺ حتى ينقضي الوحي، فلما انقضى قال رسول الله ﷺ يا معشر الأنصار، قالوا: لبيك يا رسول الله، قال: (كلا إنني عبد الله ورسوله) هاجرت إلى الله واليكم والمحيا والممات مما تمكم، فأقبلوا إليه ويكون ويقولون: والله ما قلنا الذي قلنا إلا الضن بالله و برسوله، فقال رسول الله ﷺ إن الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم) رواه مسلم⁽²⁵⁾.

ثانياً: ما حدث في غزوة بدر الكبرى سنة (2هـ) فقد أخذ الرسول ﷺ يستشير الناس في لقاء المكين فشاور المهاجرين فوافقوا على قتالهم وأحبوا مصادمتهم ولكن الرسول ﷺ لم يقدم على الحرب حتى استشار الأنصار فوافقوا فعند ذلك استطاع الرسول ﷺ القتال وهو مطمئن إذا كان العدد والشوكة في الأنصار وبهم كان النصر الذي كان سبباً في إلقاء هيبة المسلمين في نفوس المشركين⁽²⁶⁾.

ثالثاً: وفي فتح مكة كان الأنصار هم الذين أرغموا قريشاً على الطاعة بما لهم من العدد والسلاح فهم عضد الرسول ﷺ وساعده عند الشدائد ويوم حنين وقد غنم المسلمون غنائم كثيرة، فأعطى الرسول ﷺ ناساً رغم ما يرى منهم ضعف ونفاق وترك الأنصار، فظنوا أن ذلك لهوانهم على الرسول ﷺ. فتحدثوا وأكثروا فعلم بهم رسول الله ﷺ وحدثهم وطمأنهم⁽²⁷⁾.

طلب الرسول ﷺ من سعد بن عبادة سيد الخزرج أن يجمعهم إليه، فلما اجتمعوا قال لهم: (يا معشر الأنصار ما قاله بلغتنى عنكم، ووجدت ووجدتموها في أنفسكم، ألم تكونوا ضلالاً فهداكم الله وعالة - فقراء فأغناكم الله وأعداء فألف بين قلوبكم)، وأطرق الأنصار لما سمعوا وكان كل جوابهم.. بلي! الله ورسوله أمن وأفضل، وسألهم النبي. ألا تحببونني يا معشر الأنصار،

فظلوا مطرقين ولم يزيدوا على أن قالوا «بما نجيبك يا رسول الله؟ لله ورسوله المن والفضل» هنالك تولى محمد الجواب عنهم فقال: (أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتمو لصدقتم: أتيتنا مكذباً فصدقناك ومخذولاً فنصرناك وحرأً يداً فأويناك وعائلاً فأسيناك).

يا معشر الأنصار أن ألا ترضون يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعون برسول الله إلى رحاكم! فو الذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت أمراً من الأنصار ولو سلك الناس شعباً وسلك الأنصار شعباً لسلك شعب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار أبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار⁽²⁸⁾.

ونجد أن المسلمين انقسموا عند وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ثلاثة تكتلات أو فرق لكل منها مرشحها:

الفرق الأولى: من الأنصار الذين أيدوا اختيار سعد بن عبادة الخزرجي والفرقة الثانية من المهاجرين وقد أجمعوا في نهاية الأمر على اختيار أبي بكر، أما الفرقة الثالثة: فكانت تتألف من الهاشمية وفئة من الأمويين بالإضافة إلى طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وكانت تميل إلى اختيار علي بن أبي طالب خليفة رسول الله ﷺ⁽²⁹⁾.

حضور المهاجرين إلى السقيفة:

بينما كان الأنصار في سقيفة بني ساعدة يتداولون أمرهم بينهم يريدون أن ينفردوا بالسلطان، كان عمر بن الخطاب وأبو عبيدة عامر بن الجراح وطائفة من كبار المسلمين ومن سواهم يتحدثون بالمسجد عن وفاة الرسول ﷺ وكان أبوبكر وعلي بن أبي طالب وأهل بيت النبي ﷺ يحيطون بجثمانه الطاهر ويعدون العدة لتجهيزه ودفنه، جاءهم نبأ الأنصار واجتماعهم في سقيفة بن ساعدة، فأرسل عمر بن الخطاب إلى أبو بكر في بيت السيدة عائشة أن أخرج إلينا فأجاب أبو بكر الرسول: (إني مشغول) فرد عمر رسوله يقول لأبي بكر: (إنه قد حدث أمر لا بد لك من حضوره⁽³⁰⁾) ويقال إن أبوبكر قد فزع أشد الفزع عندما علم باجتماع الأنصار في السقيفة، فأسرع إليهم أبوبكر وأبو عبيدة عامر بن الجراح. وعبد الرحمن بن عوف* وعثمان بن عفان مع بعض من مهاجري قريش⁽³¹⁾ ومعهم جماعات أخرى سارت إلى اجتماع السقيفة مثل أسلم⁽³²⁾ وهي بطن من خزاعة كانت تسكن حول المدينة. ولكن الأشهر من الروايات تذكر أن الذين حضروا السقيفة من قريش كانوا ثلاثة، هم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة⁽³³⁾ كانت منطلقات الأنصار في قضية الترشيح للخلافة تتبع من النواحي التالية:

أنهم هم الذين نصروا الرسول ﷺ وبايعوه وأووه في ديارهم وشهدوا المعارك معه وصمدوا في أخرج اللحظات وأشد الأوقات وعلى هذا فهم أولى بالرسول ﷺ من غيرهم.

وبالمقابل كانت متطلبات المهاجرين: أنهم هم أول من آمن وأنهم تحملوا الكثير في سبيل الدعوة، فقد خرجوا من ديارهم وبذلوا النفس والنفيس في حروب الرسول صلى الله عليه وسلم ومواقف الصراع مع الشرك وكان مما قالوه إنهم من قريش والعرب لا تحسب حساباً للقبائل كما تحسب لقريش. وقد مثل وجهة نظر المتطرفين من الأنصار الحباب بن المنذر*⁽³⁴⁾ وفي السقيفة أراد عمر بن الخطاب أن يتكلم فاستمهله أبو بكر⁽³⁵⁾ قال أبو بكر: رويداً حتى أتكلم ثم أنطق بما أحببت. ويقال إن أبا بكر خشي من شدة عمر وليس الموقف موقف شدة بل موقف سياسة وحسن مدخل ونهض أبو بكر وتكلم وقال⁽³⁶⁾

(...إن الله بعث محمداً رسول الله إلى خلقه وشهيداً على أمته، ليعبدوا الله ويوحدهم وهم يعبدون من دونه آلهة شتى. ويزعمون أنها عنده شافعة ولهم نافعة. وإنما هي حجر منحوت وخشباً منجور ثم قرأ قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ...﴾⁽³⁷⁾ وقالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى...﴾⁽³⁸⁾ فعظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم. فخص الله المهاجرين الأولين من قومهم بتصديقهم. والإيمان به، والمواساة له، والصبر معه على شدة أنى قومهم لهم، وتكذيبهم إياهم وكل الناس لهم مخالف، زاد عليهم فلم يستوحشوا لقلته عددهم وشغف الناس لهم وإجماع قومهم، فهم أول من عبد الله في الأرض وأمن بالله وبالرسول ﷺ، وهم أولياؤه وعشيرته. أحق الناس في هذا الأمر من بعدهم ولا ينازعهم إلا الظالم. وأنتم يا معشر الأنصار ممن لا ينكر فضلهم في الدين ولا سابقتهم العظيمة في الإسلام، رضىكم الله أنصاراً لدينه ورسوله وجعل إليكم هجرته وفيكم جله أزواجه وأصحابه، فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا أحد بمنزلتكم فنحن الأمراء وأنتم الوزراء، لا تفتاتون بمشورة ولا تقضي دونكم الأمور...⁽³⁹⁾

ولم ينكر أبو بكر في خطبته فضل الأنصار ولم يرد للمهاجرين أن يستبدوا بالأمر دون الناس كما فعل سعد بن عبادة. بل جعل أبو بكر الأنصار وزراء وأشركهم في الأمر⁽⁴⁰⁾

كان الرسول ﷺ قد أوصى المسلمين بالأنصار فقال ﷺ: (يا معشر المهاجرين، استوصوا بالأنصار خيراً، فإن الناس يزيدون وإن الأنصار على هيئتها لا تزيد وإنهم كانوا عيني (موضع ثقتي) التي أويت إليها فأحسنوا إلى محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم) كما ذكر ابن قتيبة أن النبي ﷺ خرج من مرضه الأخير متوكئاً على علي بن أبي طالب والعباس عم النبي ﷺ فدخل المسجد واجتمع الناس إليه فقال رسول الله ﷺ: (إنه لم يمت نبي قط إلا خلف وراءه تركة وإن تركتي فيكم الأنصار رضى الله عنهم أوصيكم بتقوى

مجترئ على خلافكم لن يصدر الناس إلا عن رأيكم وأنتم ألعز والثروة وأولوا العدة والمنعة والتجربة وذوو البأس والنجدة وإنما ينظر الناس إلى ما تصنعوه فلا تختلفون فيفسد عليكم رأيكم وينتفض عليكم أمركم أي هؤلاء ما سمعتم فمن أمير ومنكم أمير. ولم يكن الحباب يفرغ من حديثه حتى نهض عمر بن الخطاب وكان أمسك قبل ذلك عن الكلام طوعاً لأبي بكر فقال: (هيهات لا يجتمع اثنان في قرن والله لا ترضى العرب أن يؤمركم ونبيهاً من غيركم ولكن العرب لا تمتنع أن تولي أمرها من كانت النبوة فيهم وولى أمورهم منها ولنا بذلك على من أبى من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين ومن ذا ينازعنا سلطان محمد وأمارته ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مدل بباطل أو متجانف لإثم أو متورط في مهلكة). وأجاب الحباب عمر: (يا معشر الأنصار! أملكوا على أيديكم ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم في هذا الأمر)⁽⁴⁵⁾، فإن أبوا عليكم ما سألتموه فأجلوهم عن هذه البلاد وتولوا عليهم هذه الأمور، فأنتم والله أحق بهذا الأمر منهم فإنه بأسيا فكم وإن لهذا الدين ما دان ممن لم يكن يدين أنا جزيها المحكك وعزيقها المرجب، أما والله وإن شتتم لنعيد لها جزعة⁽⁴⁶⁾.

أكد عمر تشرف قريش بالنبى ﷺ وقال: (لا تمتنع إن تولي أمرها من كانت النبوة منهم وولى أمرهم منهم ولنا بذلك على من أبى من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين، من ذا ينازعنا سلطان محمد وأمارته ونحن أولياؤه وعشيرته)، يقال أن النقاش كان عنيفاً بين الحباب بن المنذر وعمر بن الخطاب بل لقد ذكر الطبري أن الحباب انتفض سيفه وهو يتكلم فغضب عمر بن الخطاب وضربه في يده وسقط السيف فأخذه عمر ثم وثب على سعد بن عبادة على أن أبا عبيدة بن الجراح تدخل في الأمر وكان قد لزم الصمت، وخاطب أبو عبيدة في هذا الجو الذي شهد مناقشة أعظم مسألة من مسائل الإسلام وهي مسألة الخلافة، خاطب الأنصار قائلاً: (يا معشر الأنصار إنكم أول من نصر وأزر فلا تكونوا أول من غير وبدل...)⁽⁴⁷⁾ وكان لمقاتله هذه أثرها فقد قام بشير بن سعد أبو النعمان بن بشير الخزرمي من سادة الخزرج فقال: (.. يا معشر الأنصار أنها والله لئن كنا أولى فضيلة من بن جهاد المشركين وسابقه في هذا الدين ما أردنا به إلا رضا ربنا وطاعة نبينا والكدر لأنفسنا، فما ينبغي لنا أن نستطيل على الناس بذلك ولا ينبغي به من الدنيا عرضاً، فإن الله ولي المنة علينا بذلك. إلا أن محمداً ﷺ من قريش وقومه أحق به وأولى وأيم الله لا يراني الله أنازعهم هذا الأمر أبداً فاتقوا الله ولا تخالفوهم ولا تنازعوهم، وعندئذ أشار أبو بكر عليهم بعمر بن الخطاب أو إيا عبيدة إلا

أنهما سارعا إلى رفض هذا العرض قائلين: (لا والله لا نتولى هذا الأمر عليك، فإنك أفضل المهاجرين وثاني اثنين إذا هما في الغار وخليفة رسول الله ﷺ على الصلاة والصلاة أفضل دين المسلمين فمن ذا ينبغي له أن يتقدمك) (48)

يقال إن الرسول ﷺ أوماً بالأمر لأبي بكر فاختره دون الصحابة جميعاً بالذكر وعندما أمر في مرضه بسد أبواب المسجد أستثنى باب أبي بكر وقال يومئذ: (فإنني لو كنت متخذاً من العباد خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن صحبه وأخاً وإيمان حتى يجمع الله بيننا عنده) (49).

يقول النبي ﷺ: (ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت عنده فيه كبوة ونظر وتردد إلا ما كان من أبي بكر) (50).

فقالا عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح أبسط يدك نبايعك فلما ذهبوا ليبايعاه سبقهما إليه بشير بن سعد* فبايعه فناداه الحباب بن المنذر: يا بشير بن سعد عقتك عقاق ما أحوجك إلى ما صنعت، أنفست على ابن عمك الإمارة! فقال لا والله ولكني كرهت أن أنازع حقاً جعله الله لهم (51).

والتفت أسيد بن حضير زعيم* الأوس إلى قومه وهم ينظرون إلى ما صنع بشير بن سعد وقال لهم: (والله لئن وليتها الخزرج عليكم مرة لأزالت لهم عليكم بذلك الفضيلة ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيباً أبداً، قوموا فبايعوا أبا بكر) (52) ويقال أن بشير بن سعد بايع مدفوعاً بدافع الغيرة بسبب ترشيح سعد بن عبادة فأيد المهاجرون في حقهم ودعا قومه إلى ترك النزاع ونبذ الخلاف وعدم التناول على قريش في حق من حقوقهم فهم أحق بميراث النبي ﷺ، ويقال أن بشير بن سعد قال لقومه: (إنا والله إن كنا أولى فضيلة في جهاد المشركين وسابقه في هذا الدين ما أردنا به إلا رضا ربنا وطاعة نبينا والكبح لأنفسنا مما ينبغي لنا أن نستطيل على الناس) بذلك ولا ينبغي في الدنيا عرضاً فإن الله ولي النعمة علينا إلا أن محمداً ﷺ من قريش وقومه أحق به وأولى. وأيم الله لا يراني الله أنازعهم في هذا الأمر أبداً. فاتقوا الله ولا تخالفوهم ولا تنازعوهم (53)

فأقبل الخزرج على أثر ذلك يبايعون أبا بكر من كل جانب. وتزاحموا على البيعة حتى أوشكوا أن يطأوا زعيمهم المريض وماتت الفتنة في مهدها، وأقبلت أسلم للمبايعة حتى تضايق بهم السكك فبايعوا أبا بكر فكان عمر يقول ما أن رأيت أسلم حتى أيقنت بالنصر، وأقبل الناس من كل جانب يبايعون أبا بكر.

ثم جاءت جماعات أخرى من أطراف المدينة المنورة إلى السقيفة وفي مناقشات السقيفة عرفت الأسس التي اعتبرت سبباً لجعل الأمر في قريش (54).

ثم في المهاجرين الأولين فقد ظهر أثر العرف القبلي بالإشارة إلى شرف المهاجرين نسبهم إلى مركز مكة وقريش بين القبائل ويبدو أثر المفاهيم الإسلامية على لسان أبي بكر وعمر بالإشادة بدور المهاجرين وسابقتهم إلى الإيمان وصلتهم بالرسول عليه السلام، فهم: أولياؤه وعشيرته ولا شك أن التأكيد على قريش يقول أبي بكر وعمر لا يخلو من أثر الروح القبلية إلا أن قريشاً شرفت بالإسلام لأن الرسول منها، أما أهلية أبي بكر للخلافة فقد ظهرت حسب هذين المفهومين فأبو بكر أفضل المهاجرين لما له من الخصال السابقة في الإسلام⁽⁵⁵⁾. وهو صاحب رسول الله ﷺ في هجرته إلى المدينة، كما كان لشيوخه أبي بكر أثر مهم في انتخابه، فحين احتج على البيعة له أجاب أبو عبيدة: (يا بن عم إنك حديث السن وهؤلاء مشيخة قومك، وليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالأمور).

ويقول أرنولد: (إن انتخاب أبي بكر يتفق مع التقاليد القبلية إذا كان منصب الرئاسة في القبيلة ينتقل عند وفاة الشيخ إلى ذلك الفرد الذي يتمتع بأكبر نفوذ والذي يحترم لسنه أو لنفوذه أو لخدماته)⁽⁵⁶⁾. وبذلك تمت البيعة لأبي بكر في سقيفة بني ساعدة في اليوم الذي قبض فيه الرسول ﷺ يوم الاثنين⁽⁵⁷⁾.

تمت البيعة من قبل من حضر من المهاجرين والأنصار (الأوس والخزرج)، إلا سعد بن عبادة.

هنالك رواية تذكر أن أبا بكر خاطب سعد بقول فصل وحجة فقال: (ولقد علمت يا سعد أن رسول الله ﷺ قال: وأنت قاعد (قريش ولاة هذا الأمر فيبر الناس تبع لبرهم وفاجرهم تبع لفاجرهم، قال سعد: صدقت نحن الوزراء وأنتم الأمراء فتتابع القوم على البيعة وبايع سعد) وروى ابن الجوزي بإسناده عن السلمي، قال: (قام سعد بن عبادة يوم السقيفة فبايع). وهنالك رواية تقول إن سعداً بايع لكن بعد شيء من الممانعة والمحاورة، وأن أبا بكر والأنصار ألحوا عليه حتى بايعه⁽⁵⁸⁾.

الخاتمة

توصلنا في ختام هذه الدراسة إلى معرفة الكثير من الأحداث التي دارت في سقيفة بني ساعدة. وتعرفنا على الدور الكبير للصحابة رضوان الله عليهم في الحفاظ على الدولة الإسلامية كما أرادها الرسول ﷺ موحدة.

النتائج والتوصيات: أولاً: النتائج:

1. إن الإمامة أو الخلافة لا تقام الا بالاختيار والشورى.
2. إن الخلافة لا يتولاها الا الأصلب دينا والأكفأ إدارة والأجدر والأنفع للأمة.
3. إن الحوار والمنطق وتقبل الآخر والحجة والإقناع والحكمة هم الحل الأمثل لجميع المشاكل.

ثانياً: التوصيات:

- بناء على النتائج السابقة أوصي بالآتي:
1. بتطبيق الشورى التي أوصي بها الرسول صلي الله عليه وسلم وعمل بها.
 2. البعد عن العصبية القبلية والالتفاف حول مصلحة الأمة الإسلامية.
 3. الأقتداء بالصحابه رضوان الله عليهم في الأقوال والأفعال .

المصادر والمراجع:

- (1) سورة النساء، الآية: 59.
- (2) أبو محمد بن عبد الملك، السيرة النبوية، مطبعة البابي، القاهرة، 1955م ج4، ص 246 - 247..
- (3) ابن هشام، مصدر سابق، ج4، ص 291. البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت 256 هـ) صحيح البخاري، مطابع الشعب، القاهرة 1315م، حديث رقم (3654).
- (4) العسقلاني: الإمام حافظ أحمد بن حجر العسقلاني (ت 852هـ) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ج7، ص 16.
- (5) أسيف. من الأسف وهو شدة الحزن والمراد أنه رقيق القلب.
- (6) المرء: انهن مثل صواحب يوسف في إظهار خلاف ما في الباطن.
- (7) البخاري. مصدر سابق، ص 448.
- (8) بخيت، عبد الحميد، عصر الخلفاء الراشدين ط3، دار المعارف مصر 1967م، ص 37.
- (9) السحر: الرثة، والنحر: الثغرة في أسفل العنق.
- (10) البخاري. مصدر سابق، ص 4437.
- (11) الترمذي. محمد بن عيسى الترمذي، (ت 279هـ / 909م) سنن الترمذي (المكتبة الإسلامية 1938م) ص 978.
- (12) البخاري، مصدر سابق، ص 4462.
- (13) الثعالبي. عبد الرحمن بن محمد أبو زيد، 876هـ - 1971م، لطائف المعارف، احياء الكتب العربية، 1379هـ، ص 114.
- الصلابي، مرجع سابق، ص 11.
- (14) ابن هشام، مرجع سابق، ص 323.
- (15) ابن العربي. أبوبكر بن العربي المالكي، (ت 543هـ) العواصم من القواصم، دار الكتب الفلسفية، 1405هـ، ج1، ص 38.
- (16) البخاري، مصدر سابق، ص 4452.
- (17) سورة آل عمران، الآية: 144.
- (18) البخاري، مصدر سابق، ص 3668.
- (19) الطبري. تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك، ج3، ص 218.
- (20) محمد حسنين هيكل، الصديق أبوبكر، مطبعة مصر، ط1، ص1.
- (21) عبد الحميد بخيت، عصر الخلفاء الراشدين، ط3، دار المعارف، مصر، 1967م، ص 39 الطبري. مصدر سابق، ج3، ص 218.

- (22) ابن كثير، أبو الفداء أسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، تفسير القرآن الكريم، بيروت 1983م ج2، ص302
- (23) محمد حسنين هيكل، مرجع سابق، ص 56.
- (24) خليل إبراهيم ملا خاطر، فضائل المدينة المنورة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، ص43.
- (25) خليل إبراهيم ملا خاطر، مرجع سابق، ص 37. بخيت عبد الرحمن بخيت، مرجع سابق، ص 34.
- (26) بخيت عبد الحميد بخيت، مرجع سابق، ص 38.
- (27) المرجع نفسه، ص 39.
- (28) حمد حسنين هيكل، مرجع سابق، ص 55.
- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الدولة العربية مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ط6، 1976م، ص 154.
- (29) محمد حسنين هيكل، مرجع سابق، ص 56.
- (30) السيد عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص 157.
- (31) ابن سعد، محمد بن منيع البصري الزهري، الطبقات الكبرى، دار صادر بيروت 1376هـ، ج3، ص 182.
- الطبري، مصدر سابق، ص 202.
- البلادري، الامام أبي الحسن أحمد بن يحيى، فتوح البلدان، دار الكتب العلمية 1971م ج4، ص 581.
- (32) اليعقوبي، ج1، ص 5. سورة يونس، الآية : 18.
- (33) سورة الزمر، الآية : 3.
- (34) الطبري، مصدر سابق، ج3، ص 219 - 220.
- ابن كثير، ج2، ص203
- (35) محمد حسنين هيكل، مرجع سابق، ص 61.
- (36) الطبري، مصدر سابق، ص 219.
- (37) الطبري، مصدر سابق، ص 219.
- ابن قتيبة، مرجع سابق، ص 6-7.
- (38) صالح درادكة، محمد خريسات، احسان العمر، تاريخ صدر الإسلام، الشركة العربية المتحدة 2013م، ص 154.
- (39) الطبري، مصدر سابق، ص 219.
- (40) محمد حسنين هيكل، مرجع سابق، ص سورة يونس، الآية : 18.
- (41) سورة الزمر، الآية : 3.

- (42) الطبري، مصدر سابق، ج3، ص 219 – 220.
ابن كثير، مصدر سابق، ج2 ص203
- (43) محمد حسنين هيكل، مرجع سابق، ص السيد عبد العزيز سالم. مرجع سابق، ص 155.
- (44) سورة التوبة: الآية : 100.
- (45) محمد حسنين هيكل، مرجع سابق، ص 62.
- (46) الطبري، مصدر سابق، ج3، ص 205 – 206.
- (47) الطبري، مصدر سابق، ج3، ص 205 – 206.
- ابن قتيبة، مصدر سابق، ج1، ص 6.
- (48) الطبري. مصدر سابق، ص 288
- أبو الحسن علي بن ابي الدم، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، ط الاولى 1998م، ج2 ص192
- ابن كثير، مصدر سابق، ص203
- محمد حسنين هيكل، مرجع سابق، ص 63.
- صالح درادكة . محمد خريسات، إحسان العمر، مرجع سابق، ص 154.
- (49) الطبري. مصدر سابق، ص 228.
- محمد حسنين هيكل، مرجع سابق، ص 63
- (50) صالح درادكة، محمد خريسات، إحسان العمر، مرجع سابق، ص الطبري، مصدر سابق، ج3، ص 205 – 206.
- (51) ابن قتيبة، مصدر سابق، ج1، ص 6.
- الطبري. مصدر سابق، ص 288
- (52) أبو الحسن علي بن ابي الدم، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، ط الاولى 1998م، ج2 ص192
- ابن كثير، مصدر سابق، ص203
- صالح درادكة . محمد خريسات، إحسان العمر، مرجع سابق، ص 154.
- الطبري. مصدر سابق، ص 228.
- (53) صالح درادكة، محمد خريسات، إحسان العمر، مرجع سابق، ص الطبري. مصدر سابق، ص 289.
- محمد حسنين هيكل، مرجع سابق، ص 65.
- (54) محمد حسنين هيكل، مرجع سابق، ص 65.
- الطبري، مصدر سابق، ص 290
- السيد عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص 180.

(55)عباس محمود العقاد، عبقرية الصديق مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة
2012م، ص 22.

(56)الطبري. مصدر سابق، ص 289،، ابن قتيبة. مصدر سابق، ج1، ص 7.

(56)Arnold, Thomas. The Caliphate – London. 1967 . p 20

(57)الطبري. مصدر سابق، ص 210.

البلاذري. مصدر سابق، ص 566.

السيوطي، مصدر سابق، ص 69.

(58)الطبري مصدر سابق، ج3، ص 222-223.

ابن قتيبة. مصدر سابق، ج1، ص 10.

ابن الأثير. مصدر سابق، ج2، ص 713

الأسلوب العقائدي لمكافحة الأوبئة وتعزيز الصحة العامة (فيروس كورونا (COVID-19) نموذجاً)

قسم التاريخ والحضارة - كلية العلوم الإنسانية -
جامعة الملك خالد - المملكة العربية السعودية

د. آمال محمد سعد النور موسى

المستخلص

واجه العالم خلال القرن الحادي والعشرين كثيراً من الأوبئة التي شكّلت تهديداً كبيراً بل حصدت أرواح الناس حصداً، تاركة وراءها ما يمكن وصفه بـكوارث ديموغرافية كبرى تركت بدورها آثاراً سلبية بالغة القسوة على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي والعمراني، ومن ثم السياسي، لخطورتها صحياً وتفشيها بشكل سريع فكانت موجات متتالية من الأوبئة لا تقل تهديداً عن جائحة فيروس كورونا 2019-2020 والمعروفة أيضاً باسم جائحة فيروس كورونا، المستمرة حالياً في الانتشار عالمياً. تهدف الورقة لتسليط الضوء على الأوبئة عبر التاريخ الإنساني والتي تسببت في تهديد كبير للملايين البشر. والتي لا تزال تفرض تحدياً كبيراً على الأمن القومي للدول، بالرغم من تطور قطاع الرعاية الصحية في العديد من الدول المتقدمة والنامية. كما توضيح اهتمام الإسلام بمسألة العلاج والتداوي والجوانب الصحية والحفاظ على صحة البيئة بصورة عامة، وذلك من منطلق الحفاظ على النفس والبدن كضروريات أساسية لأجل حمايتها. ومحاربة للأمراض، والميكروبات أو الطفيليات، وأساليب الوقاية والعلاج والاستعانة بالوسائل المتاحة وذلك من خلال منهج الإسلام المنتظم والمتكامل. اتبعت الدراسة المنهج الوقائي الإسلامي ضمن طائفة من التوجيهات الإسلامية والإرشادات المتعلقة للتأكيد على صحة البيئة عامة والحفاظة عليها، من خلال الوقاية والحماية ومكافحة الأوبئة والأمراض، والعلاقة الوثيقة بين الفقه والطب. كما توصلت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها: العناية بنشر الثقافة الصحية في المجتمع من خلال الحد من انتشار الأمراض المعدية. وحث المجتمعات على تهيئة كل ما يمنع انتشار العدوى بينها، من النظافة والطهارة المعنوية والحسية للمسلم. وتخصيص مؤسسات صحية لعزل المصابين بالأمراض المعدية وذلك من خلال بمبدأ الحجر الصحي إلى حين شفائهم، والأخذ بالأسباب المتاحة للعلاج والشفاء في حالات الأمراض المعدية. وأوصت الدراسة إجراء المزيد من الدراسات والأبحاث عن الأمراض المعدية والأوبئة ومعرفة أسباب ظهورها وانتشارها في المجتمعات المختلفة، والحصول

على مزيد من المعلومات ذات الصلة بمرض الفيروس التاجي فيروس كورونا
2019-20، للوصول للقاحات الفعالة لإيقاف سرعة انتشاره وعلاجه.

Abstract

The world was confronted by many epidemics at the 21st century which were perceived and regarded as considerable threats given that they claimed lives of people and left behind profoundly felt demographic catastrophes diametrically which had ruthlessly adverse impact on the social, economic, urban and political levels for their perilous ramifications in terms of health and their rampage at hectic pace conducive to which were successive ripples of epidemics which are as dangerous as CORONA Virus (2019-2020) which is widely known as the growingly spread worldwide COVID PANADEMIC currently . Significantly enough, this paper aims at shedding light on the epidemics over the human history which resulted in considerable threat to millions of people which are still imposing great challenge on the countries national security in spite of the development of the health care at many developed and developing countries. Of relevance, importance was accorded to Islam keenness on addressing the issue of treatment and curing by medications, health aspects and preserving the health of the environment generally from the prospective of self-preservation and maintaining the body which are basic necessities for its protection, combating diseases, microbes, parasites and methods of prevention, treatment, and the use of available means through the systematic and integrated approach of Islam. Within this context the, study adopted the preventive Islamic approach within a range of Islamic guidelines of relevance to laying emphasis on the health of the environment in general and preserving it by means of prevention, protection, combating epidemics and diseases, and the intimate relationship between jurisprudence (Fqih) and medicine. Furthermore, the study also reached several results, the paramount of which are: The keenness on spreading a healthy culture in so-

ciety through reducing the spread of infectious diseases and spurring societies to take preemptive action to prevent the spread of infection by and through cleanliness, the moral and sensory purity of the Muslim and by means of the allocation of health institutions to isolate those who are contacted infectious diseases through adopting the principle of quarantine until they recover and by means of the usage of the available means for treatment and recovery in cases of infectious diseases. Eventually, the study recommended generating more studies and researches on infectious diseases and epidemics and to know the pathological causes of their emergence and rampage in different societies as well as obtaining more information related to the corona virus disease (2019-

Key words

Demography - environment health - plagues and epidemics - preventive medicine

الكلمات المفتاحية -- الطب الوقائي - البيئة في الإسلام - صحة البيئة - الطواعين والأوبئة.

المقدمة

لا يخلو عصر من العصور من الأوبئة والأمراض التي تتنوع أشكالها وطرق انتشارها، وتختلف الأمم في سبل مواجهتها، فقد شكَّلت الطواعين والأوبئة تهديداً كبيراً للحضارات الإسلامية في العصور المختلفة راح ضحيتها العديد من الناس تاركَةً وراءها ما يمكن وصفه بكوارث الدمار الكبير والآثار السلبية بالغة القسوة على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي والعمراني، ومن ثم السياسي، لخطورتها صحياً وتفشيها بشكل سريع فكانت موجات متتالية من الأوبئة. فلم يكن الحديث عن الأوبئة حديث العصر بل كانت تتواجد في عهد الرسول ﷺ ومن جاء من بعده، ولم تقل تهديداً عن جائحة فيروس كورونا 2019-2020 والمعروفة أيضاً باسم جائحة فيروس كورونا، المستمرة حالياً في الانتشار عالمياً.

فقد حرص المنهج الإسلامي على وضع منهج منظم ومتكامل للمحافظة على البيئة بالتعامل معها على أنها ملكية عامة يتوجب على المسلم

المحافظة عليها من خلال الوقاية والحماية ومكافحة الأوبئة والأمراض، كما أوضح العلاقة الوثيقة بين الفقه والطب. والتعقيم والطهارة وحارب التلوث وأشار إلى الميكروب وحث على غسل الأعضاء بالماء الطاهر (أي المعقم ليزيل الميكروب)، للحد من انتشار الأوبئة وشيوعها بين الناس والتي تفشت سابقاً كالطاعون والحمى الصفراء والأنفلونزا الإسبانية والإيدز وانفلونزا الخنازير وأيبولا والملاريا وغيرها.

كما طبقت تعليم الإسلام في عهد الإسلام المزدهرة فجعلت المجتمع الإسلامي الصحي المثالي الذي لم تصل لمستواه كثير من الدول الراقية في عصرنا الحاضر. وذلك من خلال التوعية الصحية؛ وحملات التطعيم الشاملة، وحمل النفوس على الثقة بالله، والتوكل عليه، والصبر. ولعل لهذه التعليمات المهمة الأثر الكبير في مكافحة الأمراض والأوبئة التي مر بها العالم في العصور المختلفة.

أهمية البحث:

- تسليط الضوء على طريقة الطب الإسلامي وقاية وعلاجاً؛ لتحقيق هذا الهدف بمجموعة من التعاليم والإرشادات والإجراءات؛ لوقاية الإنسان من الأمراض السارية قبل وقوعها، ومنع انتشار العدوى.
- الحث على التداوي والأخذ بالأسباب.

اهداف البحث :

1. حِزْص الطَّبِّ على النِّظَافة وتجنب الأسباب المؤذية، والبعد منها.
2. الحث على منع انتشار العدوى ونقل الميكروبات من الإنسان من المريض إلى السليم.
3. ضرورة اهتمام المجتمع بمكافحة الأوبئة والعناية بالبيئة والحفاظ عليها.
4. توضيح العلاقة الوثيقة بين الفقه والطب الوقائي في مجالات متعددة لمنع الأمراض.

منهجية البحث

اتبعت الدراسة المنهج الوقائي الإسلامي ضمن طائفة من التوجيهات الإسلامية والإرشادات المتعلقة للتأكيد على الصحة - ومن خلال حث القرآن الكريم على حماية البيئة والمحافظة عليها، وبالتعامل معها على أنها ملكية عامة. يتوجب على المسلم المحافظة على مكوناتها وثروتها ومواردها.

تمهيد:

تعريف الطواعين والأوبئة :

أ. الطَّاعُونُ: دَاءٌ وَرَمِيٌّ وبائِيٌّ سببه مكروب يصيب الفئران وتنقله البراغيث إلى فئران أخرى وإلى الإنسان والجمع: طَوَاعِين وهي عدة أمراض فيروسية معدية خطيرة مميتة.

الوباء (الجمع: أوبئة) هو انتشار مفاجئ وسريع لمرض في رقعة جغرافية ما فوق معدلاته المعتادة في المنطقة المعنية او كما يمكننا استخدام لفظ الجائحة، وجمعها جوائح بالإنجليزية (Pandemic) وتعني الوباء الذي ينتشر بين البشر في مساحة كبيرة مثل قارة مثلاً أو قد تتسع لتضم كافة أرجاء العالم.

ويمكن القول بأن علم الأوبئة كما ورد في بعض الكتب هو التعامل مع حركة الكائنات الحية وهو التعامل مع نوعين من الكائنات، أحدهما الكائنات الحية المسببة لهذه الأوبئة وهي كائنات صغيرة جداً غير محسوسة ومنظورة، أما الكائنات الأخرى فهي كانت محسوسة ومنظور أن تحل حيزاً في المكان وهم البشر ضحايا هذه الكائنات الأولى. فعلم الأوبئة يتعامل مع هذه الكائنات الحية بنوعيتها⁽¹⁾.

أولاً: تعريف الطب الوقائي:

اتفقت الهيئات الصحية العالمية على تعريف علمي حديث لكلمة «الصحة»: بأنها تحسين حالة الإنسان جسمياً، ونفسياً، وعقلياً، ومعيشياً، وليست مجرد غياب المرض، والوقاية منه، «والطب الوقائي»: هو علم المحافظة على الفرد والمجتمع في أحسن حالاته الصحية. وينهض الطب الإسلامي وقاية وعلاجاً؛ لتحقيق هذا الهدف بمجموعة من التعاليم والإرشادات والإجراءات؛ لوقاية الإنسان من الأمراض السارية والوَافدة قبل وقوعها، ومنع انتشار العدوى إذا وجدت، وأيضاً تحسين ظروف معيشة الإنسان، ومنع الحوادث وأسباب القلق والتوتر العصبي، فضلاً عن نظرة الإسلام إلى التداوي والأخذ بالأسباب؛ ذلك أن التشريع الإسلامي يتميز عن كل ما سبقه من شرائع سماوية، - بأنه جاء للدين والدنيا معاً؛ فلم يقتصر على الجانب الروحاني، أو التعبدي وحده، ولا على الجانب الدنيوي أو المادي وحده كذلك؛ ولكنّه الدين الوحيد والتشريع الإلهي الذي أقام على ظهر هذه الأرض دولة وحكومة، وهي دولة رسول الله - ﷺ - بالمدينة، ثم دولة الخلفاء الراشدين من بعده، وهكذا.⁽²⁾

ومن الحقائق الإيمانية أن التشريع الإسلامي قد نزل بكافة المبادئ والأصول الكلية، ثم المقررات العامة لإدارة هذه الدولة في نظام محكم دقيق، يقول الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ (النحل: 89)⁽³⁾. ويقول: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (الانعام: 38)⁽⁴⁾. ويقول: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (النجم: 3-4)⁽⁵⁾.

وبطبيعة الحال فقد عالج هذا النظام - المستمد أصوله من القرآن والسنة - أوجه الحياة المختلفة سياسياً، واقتصادياً، واجتماعياً، وأخلاقياً،

وصحياً. وكان - ولا يزال - له حكم أو توجيه في كل هذه المجالات وغيرها، وهذا واضح من الآية السابقة ﴿تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ (النحل: 89) (6) ومن ثمَّ يُمكن القول بأنَّ الإسلام هو الدين الوحيد الذي نظَّم مهنة الطب والعلاج، وصحة المجتمع. (7).

ثانياً - مفهوم البيئة في الإسلام:

هو مفهوم شامل فهي تعني الأرض والسماء والجبال وما قبيها من مخلوقات وعلاقات ومؤثرات وظواهر مختلفة بما فيها الإنسان وما يحيط به من دوافع وعواطف وغرائز. ويتميز مفهوم البيئة في الإسلام بشموليته، فهي تضم كل مخلوقات الله من إنس وجان والبحار والأنهار والنباتات والحيوانات والحشرات، وأن هذه المخلوقات سخرها الله سبحانه وتعالى للإنسان (8).

ثالثاً-تعريف صحة البيئة

تعتبر صحة البيئية هي العنصر الأساسي في الطب الوقائي. والمقصود بها خلق بيئة صحية لا تنفذ إليها الأمراض، ولا تستوطن فيها وذلك بفضل النظافة التامة.

ولما كانت تشمل أيضاً النظافة، فالمقصود بالنظافة هنا نظافة الناس في أجسامهم وملابسهم وعاداتهم ونظافة الشوارع والبيوت ونظافة الطعام والشراب ونظافة موارد المياه. (9). كما لم يحدث في تاريخ الإنسانية اهتمام دين سماوي أو حتى نظام أو مبدأ أرضي بخلق البيئة الصحية وجعلها جزءاً من تعاليمه الرئيسية كما اهتم الإسلام بذلك. فنجد أن أول سور القرآن تناولت العلم وأخرى تناولت النظافة كما ورد في القرآن الكريم. فإذن الإسلام هو أول مبدا عقائدي بل أول نظام علمي عرفته الإنسانية يأمر بالتعقيم. واصطلاح الطهارة: والذي يقصد به خلو الشيء من الميكروبات أو المواد الحاملة للميكروبات وأطلق على الشيء الملوث أو الحامل للميكروب كلمة نجاسة (10).

المحور الأول:

تواتر الطواعين والأوبئة عبر التاريخ وطرق وأساليب الوقاية والعلاج منها فقد شكَّلت الأوبئة تهديداً كبيراً للحضارات الإسلامية في العصور المختلفة، بل حصدت أرواح الناس حصداً، تاركَةً وراءها ما يمكن وصفه بكوارث ديموغرافية كبرى تركت بدورها آثاراً سلبية بالغة القسوة على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي والعمراني، ومن ثم السياسي في نهاية المطاف، فكانت موجات متتالية من أوبئة الطاعون قد ضربت منذ العصر البيزنطي الشرق الأوسط وصولاً إلى شمال إفريقيا، ومن ثم أوروبا حتى أنه لا يكاد يخلو قرن من القرون من هذه الأوبئة ومن آثارها المدمرة لأوجه الحياة (11).

فالتطوعين والأوبئة ليست بالظاهرة الجديدة الطارئة، بل متواتره طوال التاريخ الإسلامي، وبالرغم من العقائد المطمئنة باعتبار الطواعين ابتلاءً وامتحاناً، بل ورحمة يُرفع ضحاياها إلى مرتبة الشهداء، لكن الواقع يخالف ذلك، حيث أن مشاعر الخوف والرعب تظل مسيطرة على النفوس عند حدوث الكارثة، ولذلك من أجل مواجهة الخطر الداهم فإن الجميع يطرقون كل الأبواب لمواجهة الأوبئة⁽¹²⁾!

فكان الطب النبوي والوقائي وما جاء في وصايا الرسول الكريم -ﷺ- حفاظاً على صحة المسلم، حيث وضع الإسلام قاعدة خطيرة تُطبق أحدث ما هو في عصرنا، إذ يقول- صلى الله عليه وسلم-: (إذا سمعتم بالوباء بأرض فلا تقدموا إليه، فإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا منها تخرجوا فراراً منه)⁽¹³⁾. فقد سن مبدأ الحجر الصحي، أي عزل المريض الذي لا يُرجى شفاؤه كالمجذوم، وقوله- صلى الله عليه وسلم-: (اجعل بينك وبين المجذوم قدر رمح أو رمحين).. ويأمر الإسلام الأصحاء بعدم مخالطة المريض المعدي وعزله عن غيره من الأصحاء إلى أن تزول فترة العدوى، ويصبح غير ناقل للمرض. كما نهى الإسلام عن العطس في وجوه الناس، إذ إن ذلك ينشر بينهم بعض الأمراض الفيروسية، كالإنفلونزا والتهاب الحلق وغيرها، وكان رسول الله -ﷺ- إذا عطس غطى وجهه بكفيه أو طرف ثوبه.. كما أيضاً شدد على غسل الأيدي كأهم العوامل في نقل الميكروب ونهى الرسول الكريم -ﷺ- أن يتناوب الجماعة الشرب من إناء واحد.⁽¹⁴⁾

ونخلص مما سبق بأن تلك كانت المبادئ منهجاً وسلوكاً ملزماً للمسلم في كل شؤون حياته وليس مجرد الخوف من المرض وحده، بل أن تكون النظافة غاية لذاتها قبل أن تكون وسيلة لمنع الأمراض، وذلك لما شكته الطواعين والأوبئة من تهديد كبير للحضارات الإسلامية في العصور المختلفة، تاركة وراءها آثاراً سلبية على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي والعمراني. فلم يكن الحديث عن الأوبئة حديث العصر بل كانت تتواجد في عهد الرسول ﷺ ومن جاء من بعده، فكانت هناك بعض الطواعين المشهورة «العظام» في تاريخ الإسلام ستة أولها طاعون شيرويه بالمداين في عهد رسول الله ﷺ سنة 6هـ، والثاني طاعون عمواس سنة 18هـ في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان بالشام ومات فيه 25 ألفاً وعاش المسلمون في ظل هذا الوباء أياماً عصبية حتى كانت نهايته على يد عمرو بن العاص رضي الله عنه حيث خطب في الناس فقال «أيها الناس إن هذا الوباء إذا وقع فإنما يشتعل اشتعال النار، فتحصنوا منه في الجبال» وكأنه يعني أن حال هذا الوباء كحال النار

فإذا لم تجد النار ما تحرقها خمدت فكانت نصيحته للناس أن يتفرقوا في النواحي فترة من الزمن وبهذه النظرة السديدة ارتفع الوباء وانتهى،⁽¹⁵⁾ .

أما الوباء الثالث «الطاعون» كان بالكوفة سنة 50هـ وفيه توفي المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، والرابع في زمن خلافة عبدالله بن الزبير رضي الله عنه سنة 69هـ ومات بالطاعون في ثلاثة أيام كل يوم سبعون ألفاً ومات فيه لأنس ابن مالك ثلاثة وثمانون ولداً ومات فيه لعبد الرحمن بن عوف «أربعون» ولداً، والخامس طاعون الفتيات في شوال سنة 87هـ وسمي طاعون الفتيات لأنه بدأ في العذارى بالبصرة ووسط والشام والكوفة ويقال له أيضاً طاعون الأشراف لما مات فيه من الأشراف، والسادس طاعون سنة 131هـ في رجب واشتد في رمضان وكان يخرج في كل يوم ألف ثم خف في شوال.⁽¹⁶⁾

فماهي توجيهات الرسول ﷺ من أجل الحفاظ على الصحة من تلك الأمراض؟ إن السنة الشريفة غنية بالقيم الوقائية وهذه التوجيهات التي عرفها الطب مؤخراً أمر بها الإسلام منذ أكثر من 1400 عام وجعلها جزءاً من تعاليم ديننا وهي مرتبطة بالنظافة ولكن للأسف يجهل الكثير من المسلمين هذه التعاليم ولذا فهم يعانون من هذه الأمراض، لقد اهتم الإسلام بالنظافة الشخصية وجعل الشرط الأساسي لصحة الصلاة الوضوء، كما حث على حلق الشعر وتقليم الأظافر وقص الشارب، وأمر الرسول بنظافة الغذاء والأواني والطعام والأيدي والملابس والطريق ومصادر المياه فقال «إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا أفناءكم وساحاتكم، ولا تشبهوا باليهود يجمعون القمامة في دورهم» وقال المصطفى «بورك في طعام غسل قبله وغسل بعده»، ونهى عن النفخ أو التنفس في الإناء حتى لا يؤدي إلى انتقال الأمراض المعدية كالأنفلونزا وغيرها وتغطية الوجه أثناء العطاس والتثاؤب حتى لا ينتقل الرذاذ للآخرين وحذر الرسول من التبول في أي مكان يرتاده الناس وحذر من عدم التطهر بعد التبول، ونادى بالحجر الصحي والعزل للوقاية من الأمراض المعدية ووضع الرسول قيوداً على من كان مرضه معدياً فقال «لا توردوا الممرض على المصح»، كما حث على الصدقة «وداؤوا مرضاكم بالصدقة» وقال «واستقبلوا أمواج البلاء بالدعاء» ونصح بتناول سبع حبات من التمر في الصباح وتناول حبة البركة، كما عرف الرسول بحبه للطيب وتطيبه وتعطره وكان ﷺ يكثر التطيب وتشدد عليه الرائحة الكريهة فالطيب له تأثير في حفظ الصحة النفسية، العقلية والجسدية. إن تطبيق سنة الرسول ﷺ وتوجيهاته العام منها والخاص يسهم في الحد من مشكلة انتشار الأمراض بل والتخلص منها فنحن كمسلمين ينبغي

أن نتمسك بهذه التعاليم لأنها جزء من الدين ولثبوت فائدتها لصحة الإنسان والحفاظ على البيئة والحماية من الأمراض بإذن الله (17).

فقد خاضت البشرية غمار الصراع مع الأمراض المعدية منذ أزمنة بعيدة وسجلت أسماء الأوبئة في صفحات التاريخ، وبتناول منها بعض الأوبئة المعدية والتي ابتدأت بحمى الوادي المتصدع وحمى الضنك مروراً بأنفلونزا الطيور وأنفلونزا الخنازير ثم فيروس «كورونا» في وقتنا الحالي والذي أصاب الناس بالرعب والخوف من العدوى والموت. فقد تسببت جراثيم وبكتيريا وفيروسات، كائنات لا ترى بالعين المجردة، في إصابة وموت ملايين البشر عبر التاريخ، متفوقةً بذلك على الحروب والصراعات في حصد الأرواح، ولتكون أحد أهم المسببات في تغيير مجرى التاريخ، وتحديد مصائر وأقدار شعوب وأمم عدة. ولا يزال عدد منها منتشرًا، على مدار التاريخ، فقد دمر تفشي الأمراض البشر وغير مسار التاريخ، وأحياناً أخرى أدى إلى نهاية حضارات بأكملها. ونورد هنا عدداً من أسوأ الأوبئة والجوائح، التي بدأت من عصور ما قبل التاريخ ومن ثم في العصر الحديث. ومنها ما يلي: (18).

وباء ما قبل التاريخ قبل نحو 5 آلاف سنة، والذي قضى على قرية بأكملها في الصين. ويُطلق على الموقع الأثري الآن اسم «هامين مانغا» وهو أحد أفضل مواقع ما قبل التاريخ المحفوظة في شمال شرق الصين. وتشير الدراسات الأثرية والأنثروبولوجية إلى أن الوباء حدث بسرعة كافية بحيث لم يكن هناك وقت للدفن المناسب وكانت جثث القتلى محشوة داخل منزل تم حرقه فيما بعد، ولم يتم إنقاذ أي فئة عمرية، حيث عثر على هياكل عظمية للأحداث والشباب والكهول داخل المنزل. ثم فكان طاعون أثينا حوالي 430 قبل الميلاد، ليس بعد فترة طويلة من بدء الحرب بين أثينا وأسبرطة، ودمر شعب أثينا واستمر لمدة خمس سنوات (19). ثم وباء قبرص 250-271 ميلادي وسمي بالطاعون القبرصي، وحمل هذا الطاعون اسم أول ضحاياه، وهو «قبريانوس» أسقف قرطاج (في تونس) وكان الطاعون القبرصي يُسبب الإسهال والقيء وتقرحات الحلق والحمى وغرغرينا اليدين والقدمين. وطاعون جستنيان: 541-542 ميلادي وسمي هذا النوع من الطاعون على اسم الامبراطور البيزنطي جستنيان (حكم 527-565 م) وفي عهده وصلت الامبراطورية البيزنطية إلى أقصى ازدهارها ومرض جستنيان أيضاً بالطاعون ونجا منه، وفقدت امبراطوريته الأراضي تدريجياً في الوقت الذي ضرب فيه الطاعون الدبلي الامبراطورية البيزنطية، وكان بمثابة بداية لانهارها وتكرر الطاعون بشكل دوري. ثم الموت الأسود 1346-1353 الذي انتقل من آسيا إلى أوروبا تاركا الدمار في أعقابيه.

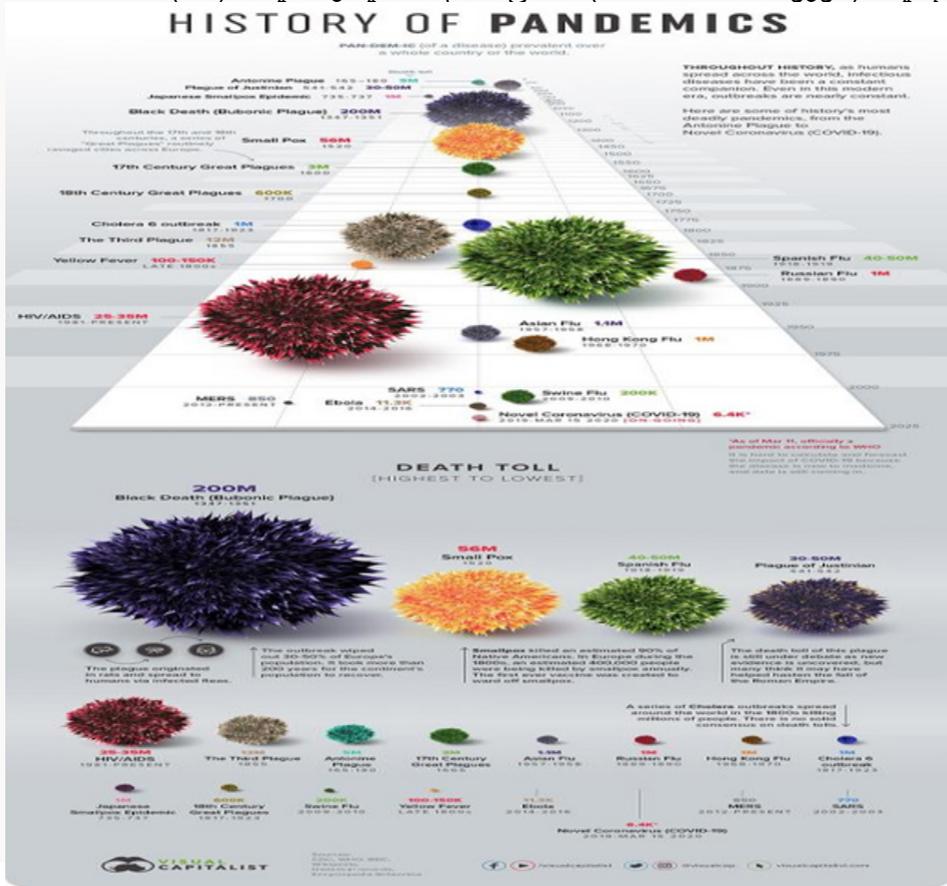
وتشير بعض التقديرات إلى أنه قضى على أكثر من نصف سكان أوروبا. ثم للأوبئة الأمريكية في القرن السادس عشر منها الطاعون الأمريكي وهو مجموعة من الأمراض الأوراسية التي جلبها المستكشفون الأوروبيون إلى الأمريكتين وساهمت هذه الأمراض، بما في ذلك الجدري، في انهيار حضارتي الإنكا والأزتيك وتشير بعض التقديرات إلى أن 90% من السكان الأصليين في نصف الكرة الغربي قتلوا.⁽²⁰⁾

وباء الحمى الصفراء في فيلادلفيا: 1793 والتي استولت على فيلادلفيا، عاصمة الولايات المتحدة في ذلك الوقت، واعتقد المسؤولون خطأً أن العبيد محصنون ونتيجة ذلك دعا مناصرو التحرر من العبودية إلى تجنيد أشخاص من أصل إفريقي لرعاية المرضى وكان المرض وينتقل بواسطة البعوض، فمات أكثر من 5000 شخص. وجائحة الإيدز 1981 والتي بدأت منذ 1981 وحتى اليوم أودى الإيدز بحياة ما يقدر بـ 35 مليون شخص، يسببه فيروس نقص المناعة البشرية، والذي انتقل من الشمبانزي الذي انتقل إلى البشر في غرب إفريقيا في العشرينيات. وانتشر حول العالم، ويعتبر الإيدز وباء أواخر القرن العشرين. وأخيراً جائحة إنفلونزا الخنازير: 2009-2010 سببتها سلالة جديدة من فيروس H1N1 نشأت في المكسيك في ربيع عام 2009 قبل أن تنتشر إلى بقية العالم. وفي عام واحد، أصاب الفيروس ما يصل إلى 1.4 مليار شخص في جميع أنحاء العالم وقتل عدد كبيراً من الناس، وفقاً لمركز السيطرة على الأمراض ورغم التقدم الطبي المذهل الذي نجح في إيقاف مد العديد من الأوبئة التي ضربت البشرية حاصدة الملايين من الأرواح، ماتزال بين الحين والآخر تظهر أجيال جديدة منها تشكل تحدياً أمام العلم، فهل نشهد ذلك اليوم الذي يتحقق فيه ذلك الحلم بإنهاء هذه المعاناة والقضاء عليها بلا رجعة⁽²¹⁾.

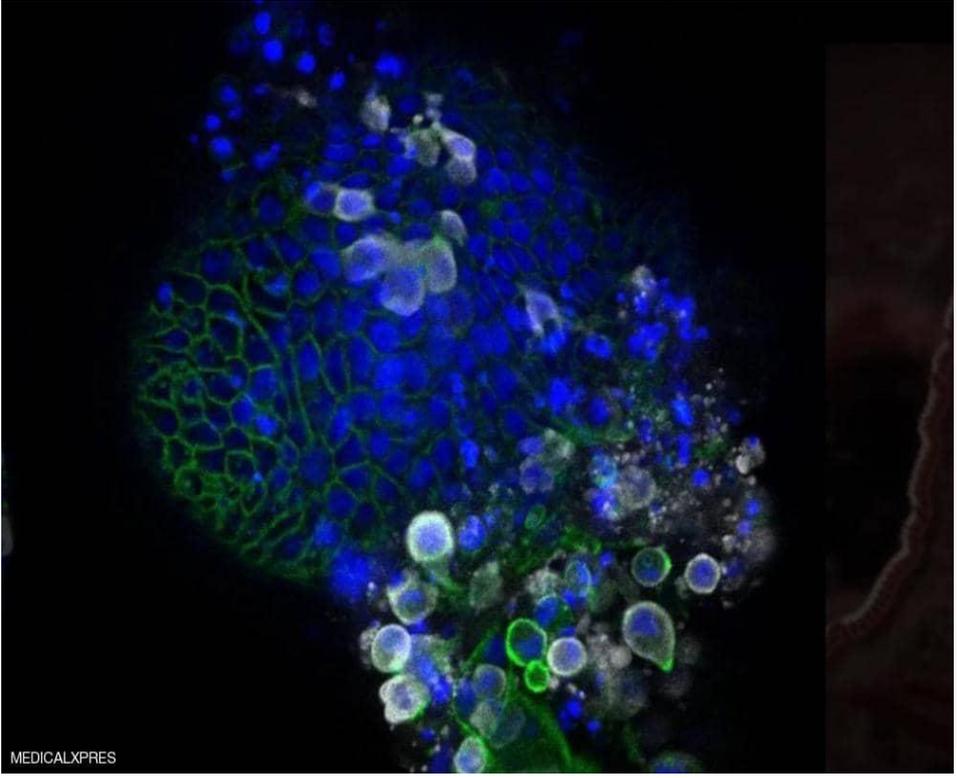
وبعد استعراضنا للأوبئة المعدية وتهديدها الكبير للبشرية في عصورها المختلفة، وما تركته من آثار سلبية، نأتي للحديث عن موقف الإسلام في التعامل مع هذه الجوائح، اهتمام الإسلام بالإنسان والطب فالإنسان في نظر الإسلام أعظم وأكرم وأشرف مخلوق على وجه الأرض وينال أجراً عظيماً من ساهم في منع انتشار الطاعون، حتى يصل هذا الأجر إلى الشهادة أي بأن من يَمُكْتُ فِي بَلَدٍ وَقَعَ فِيهِ الطَّاعُونُ صَابِرًا، يَعْلَمُ أَنَّهُ لَنْ يُصِيبَهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ، فسيكتب الله له اجر شهيد، من في فهذه قيمة عظيمة جاءت بها الحضارة التشريعية فيما يخص الطب الوقائي في الإسلام (22).

فقد جاء لإسلام بمبدأ التعقيم والطهارة وحارب التلوث وأشار إلى الميكروب وعبر عنه بالخبث أو الخطايا وإلى غسل الأعضاء بالماء الطاهر (أي

المعقم ليزيل الميكروب). فقد طبقت تعاليم الاسلام في عهود الإسلام المزدهرة فجعلت المجتمع الإسلامي الصحي المثالي الذي لم تصل لمستواه كثير من الدول الراقية في عصرنا الحاضر هذه التعاليم التي يجب أن نتبعها إيماناً منا بأهميتها ولاسيما لما حل بالبشرية اليوم من انتشار لجائحه فيروس كورونا الجديد (كورونا COVID-19) حتى تتم للسيطرة عليه. (23).



المصدر: صحيفة «ديلي ميل» البريطانية
 أول صور لشكل فيروس كورونا الحقيقي عند ظهوره / المصدر: العين الإخبارية / الإثنين 4/5/2020 م بتوقيت أبوظبي



MEDICALXPRES

فيروس كورونا المستجد (COVID-19)

تعريف مرض (فيروس كورونا):

هو مرض الفيروس التاجي 2019 المعروف اختصاراً بكوفيد 19 هو التهاب في الجهاز التنفسي بسبب فيروس تاجي جديد، وقد أعلنت منظمة الصحة العالمية رسمياً أن هذا الوباء جائحة عالمية في 11 مارس 2020م. ويظن أن الفيروس حيواني المنشأ في الأصل، ولكن الحيوان الخازن غير معروف حتى الآن بشكل مؤكد وهناك شبهات حول الخفاش وأكل النمل، وأما انتقاله من إنسان لآخر فقد ثبت أنه واسع الانتشار. وفيروسات كورونا هي مجموعة من الفيروسات التي يمكنها أن تسبب أمراضاً مثل الزكام والالتهاب التنفسي الحاد الوخيم (السارز) ومتلازمة الشرق الأوسط التنفسية (ميزز). تم اكتشاف نوع جديد من فيروسات كورونا بعد أن تم التعرف عليه كمسبب لانتشار أحد الأمراض التي بدأت في الصين في 2019. يُعرف الفيروس الآن باسم فيروس المتلازمة التنفسية الحادة الوخيمة كورونا 2 (سارز كوف 2). ويسمى المرض

الناتج عنه مرض فيروس كورونا 2019 (كوفيد 19). في مارس/آذار 2020، أعلنت منظمة الصحة العالمية أنها صنفت مرض فيروس كورونا 2019 (كوفيد 19) كجائحة. تقوم المجموعات المختصة بالصحة العامة، مثل مراكز مكافحة الأمراض والوقاية منها في الولايات المتحدة (CDC) ومنظمة الصحة العالمية (WHO)، بمراقبة الجائحة ونشر التحديثات على مواقعها على الإنترنت. كما أصدرت هذه المجموعات توصيات حول الوقاية من المرض وعلاجه. (24).

ظهور فيروس كورونا

لا يزال السؤال الذي يردده الخبراء ومعهم وسائل الإعلام الدولية عن ظهور فيروس كورونا لاسيما مع ظهور تصريحات تتحدث عن فرضية وجود إصابات قبل نهاية شهر ديسمبر/ كانون الأول الأخير، تاريخ إعلان الصين عن ظهوره، وتصب هذه الفرضيات لصالح جهات، بينها الولايات المتحدة الأمريكية، تتهم الصين بأنها أخفت حقائق مرتبطة بهذا الوباء إن هناك عدة أطراف في العالم تتهم الصين، التي أعلنت ظهور الفيروس نهاية ديسمبر/ كانون الأول، بأنها أخفت الحقيقة أو جزءاً من هذه الحقيقة، ولم تبلغ العالم بخطورة الوباء في الوقت المناسب حتى تتخذ بقية الدول احتياطاتها اللازمة. لقد بدأ تسارع التطورات المرتبطة بالفيروس خلال النصف الثاني من شهر يناير/ كانون الثاني. ففي 20 يناير/ كانون الثاني أعلن الرئيس الصيني شي جين بينغ أن فيروس كورونا مرض معد ينتقل بين البشر. وفي 21 من نفس الشهر بلغ عدد الوفيات في الصين 6، وقال متحدث باسم وزارة الخارجية الصينية، قنغ شوانغ، إن بلاده أطلعت منظمة الصحة العالمية والدول المعنية حول الوباء منذ ظهوره لأول مرة. (25) وفي 23 من يناير/ كانون الثاني، تحدثت بكين عن إصابة 614 شخصاً بالوباء، توفي إثرها 17 شخصاً، وفرضت الصين الحجر الصحي في ووهان. ومع ارتفاع عدد الضحايا، بدأت تتضح خطورة المرض، وانتاب العالم القلق والخوف من توسع انتشار الوباء، ثم الشك في المعلومات الصينية بخصوصه بينها تاريخ ظهوره. وقد أوردت صحيفة «ساترداي تلغراف» الأسترالية نشرت ملفاً، قالت فيه إن الصين كذبت على العالم بشأن تفشي فيروس كورونا وقامت «بإسكات الأطباء الذين حاولوا التحدث عن الفيروس في وقت مبكر، وتدمير الأدلة في المختبرات، ورفض تقديم عينات للعلماء الذين كانوا يسعون لإيجاد لقاح»، بعد ان حملهم العالم مسؤولية انتشار الجائحة (26).

كما يزيد لدينا من تعزيز فرضية أن الفيروس قد يكون ظهر

في الصين قبل الإعلان عنه رسمياً من قبل بكين في 20 ديسمبر/كانون الأول، وذلك لان الكثير من الرياضيين الذين شاركوا في الألعاب العسكرية العالمية في ووهان في أكتوبر/ تشرين الأول 2019، قد تعرضوا لوعكة صحية صعبة جداً. في 31 ديسمبر (كانون الأول) 2019. فكتشفت منظمة الصحة العالمية عن عدد من حالات الالتهاب الرئوي مجهول السبب في مدينة ووهان شرق الصين، التي يبلغ عدد سكانها أكثر من 11 مليون نسمة، وبعدها بأيام وتحديداً في 7 يناير (كانون الثاني)، توصل علماء صينيون، إلى أن فيروسا تاجيا جديداً من عائلة كورونا المستجد⁽²⁷⁾ قد ظهر

اعراض الإصابة بفيروس (كورونا) COVID-19

تشمل الأعراض النمطية لفيروس (كورونا): الحمى - السعال - ضيق التنفس - وأحياناً تتطور الإصابة إلى التهاب رئوي. وقد يتسبب في مضاعفات حادة لدى الأشخاص ذوي الجهاز المناعي الضعيف، والمسنين والأشخاص المصابين بأمراض مزمنة مثل: السرطان، والسكري، وأمراض الرئة المزمنة.⁽²⁸⁾

خطوات رئيسة للوقاية من (كورونا) COVID-19:

النظافة الشخصية.

اتباع آداب العطس والسعال.

تجنب المخالطة اللصيقة بشخص لديه أعراض نزلة برد أو أنفلونزا. تجنب التعامل غير الآمن مع الحيوانات، سواء كانت برية أو في المزرعة المسبب لتلك الحالات⁽²⁹⁾.



المصدر الديلي ميل البريطانية: اول صور تفصيلية تظهر شكل فيروس كورونا /
الاثنين، 4 ماي 2020 - 17:12

آداب العطاس لتقليل العدوى:

استخدم المناديل الورقية للعطاس أو السعال، والتخلص منها بأسرع وقت ممكن.

غسل اليدين بالماء الدافئ والصابون.

استخدم المرفق عن طريق ثني الذراع ((30).

المضاعفات:

على الرغم من أن أعراض معظم المصابين بكوفيد 19 تتراوح بين خفيفة إلى معتدلة، يمكن أن يسبب المرض مضاعفات طبية شديدة وأن يؤدي إلى الوفاة بالنسبة لبعض الأشخاص. إن كبار السن أو من لديهم حالات طبية مزمنة أصلاً أكثر عرضة للإصابة بحالة خطيرة من كوفيد 19.

يمكن أن تتضمن المضاعفات ما يلي:

التهاب الرئة ومشاكل التنفس.

فشل عدة أعضاء في الجسم.

مشاكل القلب.

حالة رئوية حادة تؤدي إلى انخفاض كمية الأكسجين القادمة من خلال مجرى الدم نحو أعضاءك (متلازمة الضائقة التنفسية الحادة).

الجلطات الدموية.

إصابة حادة بالكلية.

التهابات فيروسية وبكتيرية إضافية (31).

طرق الوقاية من المرض

تجنب الاقتراب من الأشخاص الذين تظهر عليهم علامات الرشح أو

الأنفلونزا، أو السعال.

غسل الأيدي باستمرار.

تجنب ملامسة العين، أو الأنف، أو الفم قبل غسل الأيدي.

تجنب التعرض للحيوانات البرية أو في المزرعة. (32).

فنحن نعيش اليوم مع انتشار فيروس كورونا، -2019 2020 ذلك

الوباء الذي اجتاح العالم بشراسة من الصين إلى الولايات المتحدة إلى أوروبا،

مستوطننا قلب روما ومتسللاً إلى العالم العربي، ومقترباً بحذر من الخليج

العربي، فكشف قدرات الكويت اللافتة للنظر في احتواء الأزمة، وفرض العزلة الإجبارية والاختيارية معا على الشعب، وكشف افتقار الجهاز التعليمي للبنى التحتية الإلكترونية والقوانين التي تجيز وتعترف بالتعليم الإلكتروني، وأماط اللثام عن الحاجة الاقتصادية لدور الدولة، وكشف الحاجة أيضا لتخصصات تم تهميشها بالماضي، ومنها علوم الفيروسات، ومن يدري لعلها أسابيع قليلة ويحتفل العالم باكتشاف عقاقير الشفاء ومصل الوقاية من كورونا. وعلى كل حال يعتبر هذا الفيروس وباء مثله مثل أنفلونزا الطيور، والسارس، وجنون البقر... وكلها أوبئة جديدة لم يكن لأحد علم بها من قبل. ولكن العلماء يؤكدون أن أي الفيروسات لديها القدرة على التطور وتغيير شكلها ومقاومة الأدوية. ولذلك كانت هذه الفيروسات وباءً حصد أرواح المليارات من البشر عبر التاريخ. وقد زعم باحثون بعد تحليل أكثر من مليون فرد. بان فيروس كورونا تحديدا من أقوى الأوبئة التي اصابت العالم في العصر الحديث نسبة سرعه انتشاره. كما اكتشف العلماء أن فيروس كورونا المستجد يمكن أن يصيب خلايا الأمعاء ويتكاثر فيها. وأوضح الباحثون أن هذه النتائج يمكن أن تفسر سبب مواجهة ما يقرب من ثلث مرضى كورونا أعراضا في الجهاز الهضمي، مثل الإسهال والغثيان (33).

ومن ناحية اخرى فان هذا الفيروس هو أحد الفيروسات الكبيرة القاتلة، إنه جندي من جنود الله تعالى سلَّطه على البشر، فالمعاصي لا يمكن أن تمر هكذا بدون عقاب في الدنيا قبل الآخرة، ومع أن حجم هذا الفيروس لا يتجاوز جزءاً من عشرة آلاف جزء من المليمتر! هذا الكائن المتناهي الصغر قادر على تدمير الاقتصاد العالمي، وقادر على قتل عشرات الملايين من البشر... إنه مجرد جندي صغير من جنود الله تعالى، القائل: (وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ) (المدثر:31) (34). والنبي ﷺ أمر باتخاذ إجراء وقائي يدل على أنه رسول من عند الله! ففي زمنه لم يكن لأحد علم بطريقة انتشار الأوبئة أو أنه من الممكن أن يحمل الإنسان هذا الفيروس ويبقى أياماً دون أن يشعر بوجوده. ولذلك فالمنطق يفرض في ذلك الوقت أن يأمر الناس أن يهربوا من الطاعون، ولكن ماذا قال عليه الصلاة والسلام. (35).

المحور الثاني: الطب والعلاج في المنهج الإسلامي

والاستعانة بوسائل العلاج المتاحة:

فقد اهتم الإسلام منذ أكثر من 1400 قرن من الزمان بمسألة العلاج والتداوي والجوانب الصحية بصورة عامة وذلك من منطلق أن الحفاظ على النفس والبدن والعقل والفكر والبيئة من الضروريات الأساسية التي جاءت الشريعة لأجل الحفاظ عليها، وحمايتها وتنميتها، في محاربة الأمراض، في وقت كان الإنسان لا يعرف فيه شيئاً ما عن الميكروب أو الطفيليات، فقد خاطب الإسلام الناس على قدر عقولهم وربط ذلك بالعبادة، وجعلها جزءاً لا يتجزأ من تعاليم العبادة والصلاة. بل جعلها جزءاً من الإيمان بالله، فلقد عني الإسلام بالنظافة والطهارة المعنوية وهي طهارة الباطن، التي هي القاعدة والأساس، أي نظافة الباطن والظاهر، (مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (المائدة:6) (36).

وقف الإسلام من الطب والمرض موقفاً عظيماً من خلال الإعجاز القرآني في مجال الإنسان والطب، فالإنسان في نظر الإسلام أعظم وأكرم وأشرف مخلوق على وجه الأرض، فالإسلام يوجب علينا بعض الأسباب الداعية للاغتسال (الاستحمام) في الإسلام ما بين واجب ومستحب على خلاف في بعضها، وأن أول خطوة للدخول في الإسلام هي الغسل، بمعنى أنه إذا أسلم الكافر وجب عليه الغسل، (37).

كما أقر منهج الإسلام الوقاية والحماية ومكافحة الأوبئة بما جاء في الطب والعلاج من خلال الإيمان بالله تعالى وبالقضاء والقدر، والصبر والمصابرة على ما أصابه كما أمر بالتداوي بالأخذ بالأسباب المتاحة للعلاج والشفاء. فقال الله تعالى (وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ) (البقرة:195) (38).

إن نظرة الإسلام إلى الأخذ بالأسباب مع تفويض الأمر لله - عز وجل - من الأصول المقررة شرعاً، وقد ربطت السنة النبوية بين الأسباب والمسببات، أو بين المرض والعلاج، وأكدت على أهمية الاستعانة بالطب والدواء، وكل وسائل العلاج المتاحة، سواء في الوقاية من الأمراض، أو في معالجتها عند حدوثها فقد اقر بعض الباحثين المعاصرين أن تعاليم معظم الشرائع السابقة على الإسلام تعتمد في معالجة المرض على الرقى، والتأميم، والأحجبة، وعلى دعوات رجال الدين

لَطَرْدُ الأرواح الشريرة، وعلى إضاءة الشموع، ودهن جسم المريض بالزيت... إلى غير ذلك من التعاليم التي أبطلها العلم الحديث. وقد كان الخطر من وراء هذه التعاليم أنها لا تعترف بالطب ولا الدواء؛ بل تعتبر أن المريض لا بد وأن يشفى بالدعاء وحده، ولا يذكر أي دين من هذه الأديان شيئاً عن الوقاية من المرض، سواء بالنظافة، أو بالعزل، أو بالبُعد عن مصدر العدوى « فإن من المبادئ التي قامت عليها حضارة الإسلام أنها جمعت بين حاجه الجسم وحاجه الروح، واعتبرت العناية بالجسم ومطالبه ضرورية لتحقيق سعادة الانسان⁽³⁹⁾. أمّا الإسلام فقد كان له موقف مغاير تماماً، حيث قال - ﷺ -: ((تداووا؛ فإنّ الله لم يَضَعْ داءً إلاّ وضع له شفاء - أو دواء - إلاّ داءً واحداً، قالوا: يا رسول الله، وما هو؟ قال: (الهرم)

وفيهما أيضاً ردُّ على من أنكر التداوي، وقال: إن كان الشفاء قد⁽⁴⁰⁾ على أنّ الإسلام في نفس الوقت لا يهمل الجانب الروحي في علاج المريض، ولا يأمر بترك الدعاء له بالشفاء، سواء كان هذا الدعاء بآيات من القرآن، أو بالصلاة، أو حتى بالتّمنيات الطّيبة؛ ولكنّه يَختلف عن غيره من الأديان في أنّه لا يرضى بإهمال العلاج على حساب الدعاء والصلاة؛ بل يجعل لكل منهما مكاناً، أو يسيراً معاً⁽⁴¹⁾.

الوصفات الطبية:

في مثل هذه الظروف يصبح البحث عن الوصفات الطبية للوقاية من المرض هو الشغل الشاغل للجميع، وهذه الوصفات من بينها عملية تطهير الهواء الفاسد وتجديد هواء محل السكن، وذلك باستعمال الكافور والسعد والصندل والمسك والعنبر، ولعل عملية تطهير الهواء هذه قريبة الشبه بما نراه اليوم من تعقيم الدول لشوارعها ومدنها وساحاتها العامة برش المبيدات والمعقمات، بقصد مكافحة فيروس كورونا ونحوه.⁽⁴²⁾

الفرار الجماعي :

بالرغم من أن موقف الفقهاء يقتضي وكإجراء وقائي بملازمة السكان للبلد المصاب والامتناع عن مغادرته من ناحية، ومن ناحية أخرى من الدخول إليه أسوة بسلوك السلف من الصحابة، كما جاء في صحيح البخاري ومسلم عن أسامة بن زيد عن النبي ﷺ أنه قال: « إِذَا سَمِعْتُمُ الطَّاعُونَ بِأَرْضٍ، فَلَا

تَدْخُلُوهَا، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضِ، وَأَنْتُمْ فِيهَا، فَلَا تَحْزُبُوا مِنْهَا»⁽⁴³⁾. إلا أن الواقع غير ذلك، فالفرار من المناطق المصابة من السلوكيات المألوفة وهو ما يؤكد عجز الطب حاليًا رغم تقدمه العلمي الكبير، كما يؤكد حالة الرعب والخوف التي تنتاب الجميع، فالفرار سلوك وقائي أملاه الخوف وحب السلامة وغريزة حفظ الذات وهذا يؤكد العلاقة المتبادلة بين الفقه و الطب يسعى جاهدا من خلال العزلة (الحجر الصحي) كما ورد في أحاديث النبي ﷺ فيجب على المريض أن يسعى جاهداً للعلاج إن كان ذلك ممكناً، ويؤثم إذا ترك ذلك، وعليه عدم نشر مرضه إلى غيره، من خلال عدم الاختلاط، وعدم الخروج إلا للضرورة، وذلك لأن إيذائه للآخر محرم وإضراره بالآخر - بأي طريق كان - إضافة إلى الأدلة الدالة على منع الضرر والإيذاء - كما سبق يجب على الشخص السليم عدم الاقتراب من المريض المصاب بمرض معد، أي توخي الحيطة والحذر دون إيذاء لمشاعره وذلك بتفعيل ما عرف بالحجر الصحي⁽⁴⁴⁾.

هذه العزلة هي أيضاً إجراء وقائي وإيمان ثابت بوجود العدوى، ويمارسها عدد كبير من سكان العالم وذلك بالامتناع عن حضور الجنائز وزيارة المصابين، وليس هذا فحسب بل تعدت ذلك لتشمل أوجهًا أخرى من الحياة العامة خاصة المواضع التي تكون ملتقى عدد كبير من الناس مثل النوادي والمقاهي والمساجد، وهذه العزلة مهما كان مستواها يخشى خطرها المسلمون بشكل عام والفقهاء بشكل خاص، وذلك تحسباً للنتائج الاجتماعية والدينية المترتبة عنها مثل قطع صلة الارحام وتعطل الصلاة في المساجد، وتعطيل الحج والعمرة (51)) ايضاً قد يلجا البعض لبعض الطرق والوسائل الاخرى لمواجهة الطواعين والأوبئة، للوقاية والتداوي، ويعتقدون في فاعليتها وناجعتها، وهي الوسائل السحرية والتي تلقى الرواج الواسع في أوساط الخاصة والعامة وهي مثل الرقي والتمايم والتعاويذ ولذلك فان النبي ﷺ حثنا بان لا نفقد الأمل مهما كانت خطورة المرض عكس ما هو الحال اليوم حيث تصنف بعض الأمراض على أنه لا شفاء لها⁽⁴⁵⁾.

فخلاصة المنهج الإسلامي في الطب والعلاج هو إن الإسلام ينطلق في مسألة العلاج والتداوي والجوانب الصحية بصورة عامة من منطلق أن الحفاظ على النفس والبدن والعقل والفكر من الضروريات الأساسية التي جاءت بها الشريعة لأجل الحفاظ عليها، وحمايتها⁽⁴⁶⁾.

اذ ان أي مرض معد قابل للانتشار بسرعة. إذن قد وضع رسول الله ﷺ أهم قاعدة في الوقاية من الأوبئة والحد من انتشارها من ذلك الحين فأصبحت كلماته تأسيساً لفكرة «الحجر الصحي» كقواعد إرشادية توصي بها كل المنظمات والهيئات الصحية المعاصرة. وفي العصور السابقة والآن تأتي كأول إجراء إرشادي أو احترازي متبع في مواجهة وباء العصر المعروف بـ«فيروس كورونا». وهذا يأمره الأطباء اليوم، بل إنهم يمنعون السفر والتنقل بين البلد الموبوء والبلدان الأخرى حرصاً على عدم انتشار الوباء. ولو تأملنا اليوم كل الإصابات التي انتشرت في أوروبا أو آسيا أو في بعض البلدان العربية، نجدها صادرة من أناس قدموا من أمريكا أو المكسيك حيث تقع بؤرة المرض (47).

ثانياً: الجانب العقدي:

وهو جانب مهم ولاسيما للمسلم وهو يجب على المريض أن يكون راضياً بقضاء الله تعالى صابراً على مرضه محتسباً لله تعالى الأجر العظيم لكل مصاب بقدر مصيبته. وأما على الشخص السليم التوكل على الله تعالى وعدم الخوف من المريض لأن هذا قضاء الله وقدره وليس للإنسان طرف في ذلك. فيجب أن تكون عقيدته صحيحة عميقة قوية يأخذ بالأسباب بلطف دون إيذاء لمشاعر الآخرين وألا نلقي بأنفسنا إلى التهلكة وأن نأخذ بالأسباب، ونتقي بما يحفظنا من الأمراض من لقاح وتطعيم وكشف صحي، وما شابه ذلك، وأن نعتني بنظافة أقينتنا ونظهرها من الحشرات مما يمكن أن يُنقل المرض عن طريقه، ثم إذا وقع المرض نصبر ونحتسب ونتوكل على الله ونسلم بالمقدور ونلتمس الدواء (48).

العلاقة بين الطب والفقہ:

لا شك أن هناك علاقة وثيقة بين الفقہ والطب في مجالات متعددة، نذكر أهمها بإيجاز شديد، أن جميع مسائل الطب تخضع في الإسلام لأحكام الشريعة من حيث الحل والحرمة، ومن حيث الالتزام بالأخلاق والآداب المطلوبة. والاهتمام بالوقاية من الأمراض بمجموعة من الضوابط والأحكام، والآداب للمعالج الذي يعالج الإنسان وفق الكتاب والسنة. أن يكون ملماً بالأحكام الشرعية الخاصة بالطب والمريض أن يتسم بالأخلاق الإسلامية الراقية. واحترام تخصصه الطبي بمزيد من الاهتمام والدراسة والبحث والاهتمام مع احترام تخصص الآخرين. الالتزام بأسرار المهنة وقيمها الأخلاقية الإنسانية التي أقرها الإسلام (49).

المحور الثالث: التَّغذية السَّليمة:

لا شك أن للتَّغذية دوراً سَليماً في مقاومة الأوبئة ولذا نظر الإسلام لهذه المسألة نظرة مهمة في المنهج الإسلامي، يُمكن النَّظر إليها من ثلاث زوايا: الأولى : تشجيع المسلم على الغذاء الطَّيب المفيد لجسمه من لحوم ونباتات، تستوي في ذلك لحوم البر والبحر وكل مشتقَّاتها، وأيضاً النَّباتات بأنواعها وثمارها، ويكفي أن نشير على أهميَّة البروتينات والمعادن، والنشويات في بناء الجسم ومدّه بالطَّاقة التي يحتاجها، ومِن فضل الله علينا أن ننوع مصادر هذه المواد اللّازمة لحياة الإنسان، وغير ذلك من الطَّيبات التي أحلَّها الله، ولها قيمة غذائيَّة، وتقي الإنسان من كثير من أمراض سوء التَّغذية كالأنيميا (فقر الدم والأمراض الجلديَّة، وما إليها. فغذاء الانسان من المواضيع الخطيرة في هذا العصر، ومن الواجب على كل مسلم ان يَعلمه وَيُعلمه. والعودة إلى إبراز دور التشريع الإسلامي في هذا المجال، أصبح من ضروريات الحياة لتحقيق الخير للبشرية وتفادي الأمراض التي تتعاظم في تأثيرها على الإنسان⁽⁵⁰⁾. أيضاً الإشارة لبعض الأطعمة كالعسل الذي استخدم في الطب الشَّعبي القديم لعلاج مختلف الأمراض، أهمها: علاج الجروح، وأمراض الجهاز الهضمي، وأمراض القلب والرئتين، وبعض أمراض الجهاز العصبي، وبعض الأمراض النَّفسيَّة، وأمراض الكلى.

ثانياً: نظام الطَّعام نفسه كمًّا وكيفًا وتوقيتًا، فمن المعروف علميًّا أن هناك عددًا كبيراً من الأمراض تصيب الإنسان؛ بسبب سوء نظام طعامه، فاختلف مواعيد الطَّعام، أو مداومة النَّوم، وعدم الحركة بعد الطَّعام يسبب أمراضاً، والإكثار من الطعام، ((عَنْ مِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (مَا مَلَأَ أَدَمِيَّ وَعَاءَ شَرَّ مِنْ بَطْنٍ ؛ بِحَسَبِ ابْنِ آدَمَ أُكْلَاتُ يُقْمَنَ صُلْبُهُ ؛ فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَتَلَّثُ لِطَعَامِهِ وَتَلَّثُ لِشَرَابِهِ وَتَلَّثُ لِنَفْسِهِ)⁽⁵¹⁾. وقال الترمذي)). والقرآن الكريم يقول: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (الأعراف: 31)⁽⁵²⁾. وتؤكد السنَّة المطهرة على الاعتدال في كل أمر من حياة المسلم بما في ذلك الطَّعام والشَّراب، ولتجعل الاستهلاك الكثير من خصائص الكفَّار. ولقد أثبت علماء التَّغذية، والطب أن الإنسان لكي يعيش عيشة صحيَّة سليمة لا بدَّ له من الموازنة في طعامه وشربه. وقايةً وعلاجاً كما جاء تحريم بعض الأصناف لما لها من خطورة على المسلم وحياته⁰ فهي كما يلي: -اولا: الميتة: من أولى المحرَّمات هي

ويتصل بالميتة - الموقوذة، (المنخنة) (المرتديّة) (النطيحة) وغيرها من الأطعمة والأشربة المحرمة شرعاً⁽⁵³⁾.

ثانياً - الدم: وهومن المحرّمات - وذلك أن الدم يقوم في جسم الكائن الحي بوظيفتين: إحداهما: نقل المواد الغذائيّة وجميع العناصر الحيويّة الضرورية الأخرى إلى أعضاء الجسم المختلفة.⁽⁵⁴⁾ . فأذن إن الإسلام يحظر على المسلم تناول أنواع معيّنّة من الأطعمة والأشربة التي وصفها بالخبائث يسبب ضررها بصحة الإنسان، كالميتة، والدم، ولحم الخنزير، والخمر⁽⁵⁵⁾. وهناك حقيقة أخيرة يجب أخذها بعين الاعتبار، بان الاسلوب العقائدي قد خلق المجتمع الصحي، وهو أسلوب أنشأه الإسلام، يقوم على ربط التعاليم الصحيّة بعقيدة الأمّة، والاستفادة من تأثير العقيدة باتباع الأوامر الصحيّة ومن ثمّ يُمكن القول بأنّ الإسلام هو الدين الوحيد الذي نظّم مهنة الطب والعلاج، وصحة المجتمع إذ إنه يؤكد على صحّة البيئة ونظافتها ومنع العدوى والتغذية السليمة والاستعانة بوسائل العلاج المتاحة⁽⁵⁶⁾.

الخاتمة:

مما سبق عرضه في هذه الدراسة نخلص إلى أولاً: حرص المنهج الإسلامي كأول نظام علمي عرفته الإنسانيّة على وضع منهجنا منتظماً ومتكاملاً للمحافظة على البيئة بالتعامل معها على أنّها ملكيّة عامّة يتوجّب على المسلم المحافظة عليها من خلال الوقاية والحماية ومكافحة الأوبئة والأمراض، ثانياً: توضيح العلاقة الوثيقة بين الفقه والطب. والتعقيم والطهارة وحارب التلوث وأشار إلى الميكروب وحث على غسل الأعضاء بالماء الطاهر (أي المعقم يزيل الميكروب)، للحد ومن ذلك من انتشار الأوبئة وشيوعها بين الناس والتي تفشت سابقاً كالطاعون والحمى الصفراء والأنفلونزا الإسبانية والإيدز وأنفلونزا الخنازير وأيبولا والملاريا وغيرها. الحرص على تطبيق تعليم الإسلام في عهده المزدهرة جعلت المجتمع الاسلامي الصحي المثالي الذي لم تصل لمستواه كثير من الدول الراقية في عصرنا الحاضر. وذلك من خلال التوعية الصحيّة؛ وحملات التّطعيم الشّاملة، حمل النفوس على الثقة بالله، والتوكل عليه، والصبر. ولعل لهذه التعليمات المهمة الأثر الكبير في مكافحة الامراض والابوئة التي مر بها العالم في العصور المختلفة.

النتائج

توصلت الدراسة للنتائج التالية:

1. التأكيد على أهمية تحديث الضوابط الصحية للحفاظ على صحة ووقاية المجتمع من الاوبئة من الأمراض المعدية.
2. العناية بنشر الثقافة الصحية في المجتمع من خلال؛ الحد من انتشار الأمراض المعدية.
3. حث الإسلام المجتمعات على تهيئة كل ما يمنع انتشار العدوى بينها، من النظافة والطهارة المعنوية والحسية للمسلم.
4. تخصيص المؤسسات الصحية لعزل المصابين بالأمراض المعدية وذلك من خلال بمبدأ الحجر الصحي إلى حين شفائهم.
5. ضرورة التداوي واخذ الأسباب المتاحة للعلاج والشفاء في حالات الأمراض المعدية.
6. إجراء المزيد من الدراسات عن الأمراض المعدية والابئة ومعرفة اسباب ظهورها وانتشارها في المجتمعات المختلفة.
7. التعريف بالمرض المنتشر بعد اعلان منظمة الصحة العالمية رسمياً له، مرض الفيروس التاجي 2019 المعروف اختصاراً بكوفيد 19.

المصادر والمراجع:

1. حمد شوقي الفنجري الطب الوقائي في الإسلام «تعاليم الإسلام الطبية في ضوء العلم الحديث، ا الهيئة المصرية العامة للكتاب للطباعة والنشر، (1991 ط3»، ص، /11.
2. انفسه / ص- 11 .
3. (النحل: 89).
4. (الأنعام: 38).
5. النجم: (3 - 4).
6. النحل: 89).
7. احمد الفنجري الطب الوقائي في الإسلام المصدر سابق - ص11.
8. احمد الفنجري الطب الوقائي في الإسلام -مصدر سابق، ص، 12.
9. احمد الفنجري الطب الوقائي في الإسلام - مصدر سابق، ص، 13، 14.
10. احمد الفنجري مصدر سابق، ص، 14، 15.
11. شلدون واتس الأوبئة والتاريخ، المرض والقوة والإمبريالية»، ترجمة وتقديم احمد محمود عبد الجواد، مراجعة صبحي، ط 1 القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2010، ص - 81.
12. الحَافِظُ أحمَدُ بنُ عليِّ بنِ حَجَرِ العَسَقَلاني تحقيق: بذل الماعون في فضل الطاعون (773 - 862 هـ)، تحقيق أحمد عصام عبد القادر الكاتب، دَارُ العَاصِمَة - الرياض، ج 1، ص 28-29.
13. أخرجه البخاري (5728)، ومسلم (2218).
14. « ابي نعيم احمد عبدالله احمد بن إسحاق الاصفهاني، موسوعة الطب النبوي، دراسة و تحقيق مصطفى خضر دونمز التركي، دار النشر بيروت لبنان / المجلد الأول، ص143-.
15. أحمد الفنجري، الطب الوقائي في الإسلام «مصدر سابق: ص 37.
16. أحمد الفنجري الطب الوقائي في الإسلام مصدر سابق / ص 38.
17. المصدر نفسه، / ص 39.
18. المصدر نفسه، / ص 39.
19. د ندى سليمان المطوع تاريخ الأوبئة العالمية: جريدها الجريدة الكويتية، مقال بتاريخ 08-4-2020.
20. د- ندى سليمان المطوع: المصدر نفسه.
21. د -ندى سليمان المطوع: المصدر نفسه.
22. د - راغب السرجاني، قصة العلوم الطبية في الحضارة الإسلامية، ط-1 القاهرة مؤسسة

اقرا للنشر والتوزيع، ص 29.

23. المرجع السابق نفسه / ص 29.

24. National Institutes of Health. <https://covid19treatment-guidelines.nih.gov/introduction/>. Accessed June 26, 2020
25. WWW.ISLAMSTORY.COM /-RAGAB ALSRGANE
26. Coronavirus disease (COVID-19) outbreak. World Health Organization. <https://www.who.int/emergencies/diseases/novel-coronavirus-2019>. Accessed April 17, 2020.
27. Ibid
28. (18-28- Coronavirus disease (COVID-19) outbreak. World Health Organization. <https://www.who.int/emergencies/diseases/novel-coronavirus-2019>. Accessed April 17, 2020
29. ibid
30. ibid
31. Coronavirus disease 2019 (COVID-19) treatment guidelines. National Institutes of Health. <https://covid19treatmentguidelines.nih.gov/introduction/>. Accessed June 26, 2020
32. National Institutes of Health. <https://covid19treatmentguidelines.nih.gov/introduction/>. Accessed June 26, 202
33. 33- ibid

34. (المدثر:31).

35. «موسوعة الطب النبوي» الاصفهاني، مصدر سابق- ص143-.

36. (المائدة: 6).

37. الأصفهاني موسوعة النبوي -مصدر سابق- ص 145.

38. البقرة:195).

39. لأصفهاني موسوعة الطب النبوي» - مصدر سابق-ص144-.

40. أخرجه أبو داود (2015، 3855) مفرقاً، الترمذي (2038)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (7553)، وابن ماجه (3436).

41. راغب السرجاني، مصدر سابق، ص29-.

42. شلدون واتس، الأوبئة والتاريخ، المرض والقوة والإمبريالية» ترجمة احمد محمود عبد

- الجواد، القاهرة المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى 2010، - ص 164.
43. أخرجه أبو داود (2015، 3855) مفرقاً، الترمذي (2038)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (7553)، وابن ماجه (3436) .
44. راغب السرجاني، مصدر سابق، ص 29-.
45. الأصفهاني موسوعة الطب النبوي» - مصدر سابق-ص144-.
46. الأصفهاني موسوعة الطب النبوي» - مصدر سابق-ص145.
47. الأوبئة والتاريخ، المرض والقوة والإمبريالية» شلدون واتس - مصدر سابق- 174.
48. الأم ط. دار المعرفة / بيروت (3/1) والمجموع للنووي ط. شركة العلماء بالقاهرة (78/1).
49. الأصفهاني موسوعة الطب النبوي» -مصدر سابق-ص 145.
50. الاصفهاني موسوعة الطب النبوي: مصدر سابق-ص141.
51. رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَهَ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَدِيثٌ حَسَنٌ.
52. (الأعراف: 31).
53. محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية: «الطب الوقائي في الإسلام » «الحلال والحرام» (المُنْحَقَّة)، الناشر: دار الهلال - بيروت، ص 43، 44 - ص 54.
54. ابن قيم الجوزية: «الطب الوقائي» ص 44، و«دراسات في الثقافة الإسلاميَّة» ص 560 مصدر سابق.
55. «الأوبئة والتاريخ، المرض والقوة والإمبريالية» شلدون واتس - مصدر سابق- ص175-.
56. ابن قيم الجوزية، الطب الوقائي في الإسلام، ص 162، 163.

موانئ البحر الأحمر وأهميتها التجارية والسياسية خلال العصور الإسلامية (ميناء باضع أنموذجاً)

جامعة الملك خالد - كلية العلوم الإنسانية -
قسم التاريخ

د. أسماء موسى عبد الله سعد

المستخلص :

يعتبر ساحل البحر الأحمر نموذجاً للسواحل العالمية لما تميز به من خلجان وجزر وموانئ ولأهمية هذه الموانئ في التجارة والملاحة الدولية وأهميتها الاستراتيجية والسياسية تأتي هذه الدراسة للتعرف على أحد أهم موانئ ساحل البحر الأحمر وأبرزها أهمية من النواحي التجارية والسياسية محلياً ودولياً على مر العصور التاريخية وهو ميناء باضع .

وقد أحتل هذا الميناء أهمية ومكانة كبيرة خلال العصور الإسلامية بحكم موقعه الاستراتيجي على الساحل الارتري وقربه من البوابة الجنوبية من مدخل باب المنذب ، حيث كان يقف قائد الموانئ التجارية المهمة على البحر الأحمر واحتلت مركزاً مرموقاً للتجارة الدولية العابرة للبحر الأحمر ، كما استخدمت الميناء منفى للخارجيين عن الطاعة خلال فترة العصور الإسلامية ، أيضاً استخدمت كقاعدة عسكرية إستراتيجية في وجه التهديد الحبشي المسيحي . وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج منها أن الموقع الاستراتيجي المهم إلى ميناء باضع جعل منها ميناءً تجارياً وكانت ملتقى التجار من كافة أنحاء العالم .

أيضاً ساعد موقعه على إقامة علاقات تجارية متميزة مع عدد من الموانئ التجارية الواقعة على ساحل البحر الأحمر ، ومن ثم أسهم مساهمة فاعلاً في تنشيط التجارة على المستوى المحلي والإقليمي والدولي خلال العصور الإسلامية . ومن أهم الأهداف التعرف على أهمية باضع كميناء تجاري لعب دوراً مهماً في النشاط التجاري على ساحل البحر الأحمر . وأيضاً معرفة الآثار التي نتجت من تلك الصلات التجارية والتي تركت بصمات واضحة في التاريخ الاقتصادي والحضاري والثقافي والسياسي في المنطقة . وإلقاء الضوء على الأهمية السياسية لميناء باضع خلال العصور الإسلامية .

منهج البحث هو المنهج التاريخي التي يتتبع عادة دراسة الأحداث والوقائع والذي من أهدافه جمع المادة من مصادرها الأصلية وتحليل الواقعة التاريخية .

ثم المنهج الوصفي التحليلي الذي يعتمد على وصف الظاهرة والحدث التاريخي وتحليله بغرض الوصول لأهداف البحث وتحقيقها . تتلخص مشكلة البحث في أن الإطار الجغرافي له له امتدادات واسعة في اتجاهات مختلفة في اختلاف المستويات الحضارية والثقافية للذين ارتبطوا بميدان الدراسة الأمر الذي بذلت فيه الباحثة جهداً للتقصي والاستنتاج لرصد الأحداث المستمرة في تتبع الأهمية التجارية والسياسية لميناء باضع . يغطي موضوع الدراسة فترة تاريخية ليست بالقصيرة وهي فترة العصور التاريخية الإسلامية خلال القرون الهجرية الأولى ، أما الإطار الجغرافي للدراسة يشمل ساحل البحر الأحمر الذي يمتد بين خطي عرض 14 - 22 شمالاً وخطي طول 24 - 38 شرقاً .

Abstract:

The Red Sea coast is considered a model for global coasts because of its bays, islands and ports and the importance of these ports in international trade and navigation and their strategic and political importance. This study comes to identify one of the most important ports of the Red Sea coast, the most prominent of which is the importance of commercial and political aspects locally and internationally throughout the historical ages, which is the port of Bada

This port occupied great importance and prestige during the Islamic ages due to its strategic location on the Eritrean coast and its proximity to the southern gate from the entrance to Bab al-Mandab, where the leader of the important commercial ports on the Red Sea was standing and occupied a prominent center for international trade crossing the Red Sea, and the port was used as exile for foreigners. Obedience during the Islamic period was also used as a strategic military base in the face of the Christian Abyssinian threat.

The study reached several conclusions, including that the important strategic location of Bada 'port made it a commercial port and it was a meeting place for merchants from all over the world.

Its location also helped establish distinguished commercial relations with a number of commercial ports located on the coast of the Red Sea, and then effectively contributed to stimulating trade at the local, regional and international levels during the Islamic eras.

One of the most important goals is to recognize the importance of Badaa as a commercial port that played an important role in commercial activity on the Red Sea coast. And also to know the effects that resulted from those trade links, which left clear imprints in the economic, civilizational, cultural and political history in the region, and to shed light on the political importance of the port of Badhia during the Islamic eras.

The research method is the historical method that usually follows the study of events and facts, and whose goals include collecting material from its original sources and analyzing the historical fact.

Then the analytical descriptive approach that depends on describing the phenomenon and the historical event and analyzing it in order to reach the goals of the research and achieve them.

The research problem is summarized in the fact that the geographical framework has wide extensions in different directions in the different civilizational and cultural levels of those associated with the field of study, which made the researcher an effort to investigate and conclude to monitor the continuing events in tracking the commercial and political importance of the port of Bada'a.

The subject of the study covers a historical period for quite some time, which is the period of Islamic historical eras during the first Hijri centuries. The geographical framework of the study includes the Red Sea east coast, which extends between latitudes 14-22 north and longitudes 24-38

المقدمة :

الموانئ هي رئة الحياة إلى أي بلد والنافذة التي تطل منها على كثير من دول العالم والثقافات فعن طريقها يتم الاتصال والاحتكاك بكثير من الحضارات والثقافات فضلاً عن أنها تمثل عصب الاقتصاد والثراء الذي يعكس مدى ازدهار النشاط التجاري لهذه الدول⁽¹⁾.

ولا شك في أهمية البحر الأحمر وموقعه الاستراتيجي المتميز وتأثيره في الملاحة الدولية وبوجه خاص كانت وما زالت موانئ ساحل البحر الأحمر بفضل موقعها الاستراتيجي مركز خطوط الملاحة الدولية وتميزت هذه الموانئ بعدة مميزات جعلت منها مشرفاً ومنظماً على حركة النقل والتجارة في البحر الأحمر وذلك بما قامت به بدور الوسيط للتجارة العالمية فضلاً عن إنها أدت دوراً مهماً في تسويق السلع والمنتجات وتصديرها إلى بلدان العالم المختلفة نتيجة لأهمية البحر الأحمر خاصة الممرات المائية العالمية المهمة ، حيث يعتبر شرياناً حيوياً مهماً للتجارة العالمين بين الشرق والغرب. ونسبه لهذه الأهمية فقد تفاقمت حدة التنافس الدولي في السعي للسيطرة عليه عبر العصور التاريخية وتبوءت موانئه في العصر الإسلامي مكانة مرموقة في عالم التجارة الدولية . كما أنها كانت همزة الوصل التي ربطت القارة الأفريقية بغيرها .

أهمية البحث :

1. تسليط الضوء على أهمية موانئ البحر الأحمر السياسية والتجارية ودورها في حلقة التبادل التجاري الدولي والمحلي .
2. أدى موقعها المتميز إلى ازدهارها بصورة كبيرة في العصر الإسلامي .
3. توضيح دور النشاط التجاري لميناء باضع باعتباره أهم المراكز التجارية التي نشأت على ساحل البحر الأحمر في العصور الإسلامية وقد احتكرت مدينة باضع تجارة شرق السودان وجنوب مصر .
4. إبراز الأهمية السياسية لميناء باضع خلال العصور الإسلامية .

أهداف البحث :

1. التعرف على أهمية باضع كميناء تجاري لعب دوراً مهماً في النشاط التجاري على ساحل البحر الأحمر .
2. معرفة الآثار التي نتجت من تلك الصلات التجارية والتي تركت بصمات واضحة في التاريخ الاقتصادي والحضاري والثقافي والسياسي في المنطقة .
3. إلقاء الضوء على الأهمية السياسية لميناء باضع خلال العصور الإسلامية .

4. توضيح دور النشاط التجاري البحري لموانئ البحر الأحمر خاصة ميناء باضع وما نتج عن ذلك من انتشار وتبادل السلع والبضائع وقيام الأسواق التجارية .

منهج البحث :

منهج البحث هو المنهج التاريخي الذي يتتبع عادة دراسة الأحداث والوقائع والذي من أهدافه جمع المادة من مصادرها الأصلية وتحليل الواقعة التاريخية . ثم المنهج الوصفي التحليلي الذي يعتمد على وصف الظاهرة والحدث التاريخي وتحليله بغرض الوصول لأهداف البحث وتحقيقها .

مشكلة البحث :

تتلخص مشكلة البحث في أن الإطار الجغرافي له امتدادات واسعة في اتجاهات مختلفة في اختلاف المستويات الحضارية والثقافية للذين ارتبطوا بميدان الدراسة الأمر الذي بذلت فيه الباحثة جهداً للتقصي والاستنتاج لرصد الأحداث المستمرة في تتبع الأهمية التجارية والسياسية لميناء باضع .

النطاق الزمني والمكاني للبحث :

يغطي موضوع الدراسة فترة تاريخية ليست بالقصيرة وهي فترة العصور التاريخية الإسلامية خلال القرون الهجرية الأولى ، أما الإطار الجغرافي للدراسة يشمل ساحل البحر الأحمر يمتد بين خطي عرض 14 - 22 شمالاً وخطي الطول 24 - 38 شرقاً .

أهمية موانئ البحر الأحمر :

يتميز البحر الأحمر بموقعه الاستراتيجي كأحد الممرات المائية العالمية المهمة كما يتميز بأنه ملتقى ثلاث قارات آسيا وأوروبا وإفريقيا . كما شكل البحر الأحمر أهم الطرق الرئيسية التي سلكها أهالي القارة الإفريقية في ترحالهم من وعلى الجزيرة العربية والبلدان الأخرى من أقدم العصور ، وظلت هذه العلاقة متبادلة وزاد من أهميتها تلك الهجرات العربية التي خرجت منذ عصر النبي صلى الله عليه وسلم ، فظهرت موانئ على ساحل البحر الأحمر كانت بمثابة همزة الوصل التي ربطت القارة الإفريقية بغيرها من البلدان وكثير من المصادر القديمة تذكر العلاقات القديمة التي سبقت ظهور الإسلام بين الساحل الإفريقي وشبه الجزيرة العربية. (2) .

وظهرت تلك الموانئ واشتهرت قبل الإسلام وكانت تتمتع بعلاقات متميزة مع العالم الخارجي كالحجاز واليمن والهند والحبشة ، حيث كانت تتبادل معها السلع المختلفة كما أسهم موقعها الجغرافي المتميز في ازدهارها بصورة كبيرة في العصر الإسلامي وظهرت أهميتها في خدمة التجارة الدولية

مما ساعد على نموها وازدهارها وتطورها كأعظم محطات ومراكز للتجارة الدولية الوافدة عبر البحر الأحمر .

وتبوءت موانئ البحر الأحمر في العصر الإسلامي مكانة مرموقة في عالم التجارة الدولية ، حيث كانت هذه المكانة موجودة منذ آلاف السنين خلال العصور التاريخية وما زالت حتى الآن وتعد هذه الموانئ الموجودة على ساحل البحر الأحمر من أهم الموانئ الموجودة في العالم وهذا يرجع لأهمية البحر الأحمر بحد ذاته .

أيضاً جاءت شهرتها لما توفرت فيها من مميزات طبيعية واقتصادية وسياسية وتجارية واستراتيجية ، كانت سبباً في ظهورها خاصة في العصور الإسلامية⁽³⁾ وبصفة خاصة ميناء باضع الذي شهد نشاطاً تجارياً وسياسياً كبيراً زاد من أهميته من بين موانئ ساحل البحر الأحمر ، ونذكر منها على سبيل المثال ميناء سواكن وعيذاب لإبراز أهميتها كموانئ متميزة على ساحل البحر الأحمر خلال العصور الإسلامية .

ميناء عيذاب : موقع ميناء عيذاب

ميناء عيذاب هو أحد الموانئ الرئيسية على البحر الأحمر يقع على بعد 23 كيلو متر شمال حلايب على خط طول 93\47 وخط عرض 19\47 وصفها كثير من الرحالة ومنهم المقرئزي قائلاً « مدينة على ساحل بحر جدة وهي من احفل مراسي الدنيا.

وهو من أهم موانئ البجة على ساحل البحر الأحمر وقد ظهر منذ عصر الفراعنة وكان له دور رئيسي في استغلال معادن الذهب والزمرد اللذين يتوفران في وادي العلاقي ، واستمرت أهميته خلال فترة حكم البطالمة والرومان والعصر البيزنطي⁽⁴⁾ .

وخلال العصر الإسلامي ازدادت أهميته وتطوره على الشاطئ الغربي للبحر الأحمر ولقد استمد شهرته من أهمية الدور الذي قام به كقاعدة بحرية تجارية لتجارة الشرق الأقصى عبر مصر إلى أوروبا وكميناء مهم في طريق قوافل الحجاز إلى الأماكن المقدمة⁽⁵⁾ .

وقد استخدم المسلمون عيذاب بصورة كبيرة بعد الفتح الإسلامي لمصر⁽⁶⁾ كما وصف كثير من المؤرخين مدينة عيذاب حيث قيل عنها « عيذاب مدينة حسنة والطريق إليها عبارة عن صحراء ليس لها طريق معروف وهي مجمع التجار براً وبحراً⁽⁷⁾ ، وقيل عنها أيضاً « هي بليدة على ضفة بحر القلزم (البحر الأحمر) وهي مرسى المراكب التي تقوم من

عدن إلى الصعيد»⁽⁸⁾ ، ومن نافلة القول أن ميناء عيذاب يعتبر نقطة الاتصال بين تجارة البحر الأحمر والنيل وكان من أعظم المرافئ في البحر الأحمر بسبب رسو المراكب التي كانت تحط فيه حاملة البضائع وتقلع منه مع مراكب الحجاج الصادرة والواردة⁽⁹⁾ .

أيضاً من موانئ البحر الأحمر المهمة والتي لعبت دوراً مهماً في العصور الإسلامية كما أنها مثلت أهم طرق قوافل الحجاج المصريين والأفارقة .

ميناء سواكن :

من أهم موانئ البحر الأحمر وقد ذكر بعض المؤرخين أن قيامه يرجع إلى عصر الفراعنة⁽¹⁰⁾ كما احتل سواكن بطليموس الثاني لإعجابه بموقعها الاستراتيجي كمنطقة لحاصلات بلاد السودان والحبشة ، اشتهرت كميناء تجاري وشاركت كل من مينائي باضع وعيذاب في خدمة التجارة في ساحل البحر الأحمر .

كما أسهم ميناء سواكن بدور كبير في الوساطة التجارية بينها وبين الدويلات المسيحية وبين ميناء باضع⁽¹¹⁾ .

وفي العصر الإسلامي تفوقت سواكن على سائر الموانئ المطلة على البحر الأحمر خاصة بعد الفتح الإسلامي لمصر وكان لها مكانة خاصة في نقل الحجيج من ضفتي البحر الأحمر⁽¹²⁾ واستمرت تلك الموانئ تتمتع بأهمية استراتيجية وسياسية وتجارية طوال العصور الإسلامية .

ميناء باضع الموقع والنشأة والسكان -

الموقع :

يعتبر من أشهر وأهم الموانئ التي نشأت على ساحل البحر الأحمر في الساحل الإريتري ولعبت دوراً مهماً في تاريخ شرق إفريقيا خلال العصور الإسلامية .

لم تحدد المصادر التاريخية موقع ميناء باضع فقد ساد الغموض حول نشأتها ونهايتها وكان لموقعها الاستراتيجي على الساحل الإريتري أكبر الأثر في أن يتبوأ مكانة بارزة خلال العصور الإسلامية المتعاقبة وتحديثت المصادر العربية عنه ، حيث أشار ياقوت الحموي إلى موقعه قائلاً « هو موضع يأهل الحجاز وأهلها يتكلمون الحبشية »⁽¹³⁾ ، ويقول عن باضع اليعقوبي « تقع باضع على ساحل البحر الأحمر بين عقيق ومصوع المحاذية لجزر دهلوك وهي تقع على مسافة يوم من دلتا بركة»⁽¹⁴⁾ إذ إن هذه المسافة تقارب المسافة بين دلتا بركة وعقيق وجزر الرياح ، كما تحدث عنها الحميري قائلاً « جزيرة باضع وهي في ساحل البجة من الحبشة وأهلها مسلمون»⁽¹⁵⁾ .

كما أشار إليها أيضاً ابن حوقل بقوله « إنها تقع على ساحل البجة وهي ميناء بركة وأن بركة تقارب جزيرة باضع وبينهما يوم وتكون على ثلاث مراحل وادي بركة يجري من بلد الحبشة ويجتاز إلى ناحية البجة ويصب بين سواكن وباضع في بحر المالح »⁽¹⁶⁾ ، ووصفها كرا وفورد أنها تقع في مكان جزيرة الريح بالقرب من عقيق⁽¹⁷⁾ ، ويذكر الشامي أن موقع ميناء باضع كان مجهولاً حتى تمكن كرا وفورد الكشف عنه وعن غيره من المواقع التي قامت فيها موانئ أو موانئ على خط الساحل السوداني جنوب سواكن⁽¹⁸⁾ .

وقد تمكن كرا وفورد في رحلته الثانية التي قام بها من استخدام طريق البحر من سواكن إلى خور نوارات فصار على الحدود السودانية الإريترية وكشف خلالها النقباب عن موقع بطليموس ثيرون ومن الوصول إلى نتائج خطيرة عن الموقع الذي قامت فيه باضع وكان وصول سفينة إلى خور نوارات ومروره بجزيرة خارجية وكوم الأحجار المعروف باسم مشتيري فاتحة خير في التعرف على موقع باضع⁽¹⁹⁾ .

نستدل من ذلك أن كرا وفورد ربط باضع بجزيرة الريح حيث ربط بين الربوة البارزة التي ظهرت له باعتبارها منطقة تسمى مشتيري (مشاتيرا) كما أنه استدل على هذا المكان من ما أورده ياقوت الحموي الذي أورد عن ذكر باضع بيتاً من السكن لأبي الفتح بن قلاقس الكندري إذ أورد فيه لفظ مشاتيري مقروناً بباضع وأن تلك الخرائب عند كوم أحجار مشتيري التي توجد قرب جزيرة الريح هي بقايا باضع وجزيرة الريح تقع بالقرب من عقيق⁽²⁰⁾ .

ويؤكد ذلك الشامي بقوله « إن الأسماء الأخرى التي أوردها الشاعر ما زالت باقية ومتداولة حتى الآن ويعني ذلك بل يؤكد أن باضع قامت على جزيرة الريح وأن تلك الخرائب والآثار والبقايا التي عثر عليها الرحالة لا علاقة لها ببقايا بطليموس شيرون وتقع جزيرة الريح على خط عرض 18 درجة و9 دقائق وخط طول 38 درجة و28 دقيقة وقريبة من خط الساحل ويكاد يربطها به لسان من الأرض غير المستوية ويدل ذلك الموقع على سلامة التقدير بالنسبة لطبيعة النمو المرجاني بحذاء الساحل»⁽²¹⁾ ، وتقع ميناء باضع داخل بلاد البجة⁽²²⁾ ويضم إقليم البجة المنطقة في رقعة شرق السودان والتي تمتد بين خطي العرض 14 - 22 شمالاً وخطي الطول 24 - 38 شرقاً وهي تلك الأرض التي تمتد من الحدود المصرية من موضع بئر الشلاتين شمال حلايب إلى ميناء باضع باريتريا في الجنوب أما من ناحية الغرب فتشمل حدود هذا الإقليم الأراضي والتلال المحاذية لنهر النيل من الشمال حتى مدينة عطبرة،

وهم من أقدم الشعوب الحامية الشرقية ويعيش البجة الآن في نفس موطنهم هذا من أقدم العصور حتى يومنا هذا (23) .

لكن رغم وضوح موقع في كتابات المؤرخين والرحالة الجغرافيين إلا إن بعض المؤرخين يضع موقع باضع في الموقع الذي تقوم فيه مدينة مصوع الآن. **باضع ومصوع:**

اختلفت الآراء بين المؤرخين والرحالة الجغرافيين في هل من الأ صوب وضع باضع في الموقع الذي تقوم فيه مدينة مصوع الحالية في اريتريا . يقول اليعقوبي في إثبات أن ميناء مصوع الحالية ليست هي باضع «إن من بين سواكن وعيذاب وسنجولة وهي جزيرة والمسافة بين سنجولة وباضع ربما يومين إذا واصلنا الرحلة نصل إلى جزيرة دهلك وباضع أربعة أيام وهذه مدة طويلة لقطع المسافة بين باضع ودهلك التي لا تتجاوز 30 ميلاً» (24) ، وهذا يبين أن باضع ليست مصوع الحالية كما يقول أيضاً باضع تقع على مسيرة يوم من دلتا البركة وهذه مسافة تقارب المسافة بين دلتا بركة وعقيق وجزر الريح إذاً أن مصوع بعيدة من مصعب خور بركة .

وهناك رأي آخر يذكره بعض المؤرخين الذين يؤكدون أن باضع هي جزيرة عيري وهم ومنهم بروفسير يوسف فضل والدكتور صلاح الدين الشامي والمستر كرا فورده والمستر اندرو بول وقسم الآثار في جامعة كمبردج الذي يقوم بالتنقيب عن الآثار في هذا الميناء .

وحول الخلاف ما إذا كانت باضع هي مصوع أو جزيرة عيري أورد المؤرخ ضرار صالح ضراري كتابه هجرة القبائل العربية لوادي النيل قائلًا : وقد أحدثت جزيرة عيري بعض النقاش حول حقيقة أمرها فقد اسماها بعض المؤرخين مثل كرا فورده باضع ويبدو أن بروف يوسف فضل و د. صلاح الدين الشامي قد قيلا هذا الاسم غير إن والسدي محمد صالح ضرار وهو من أبناء منطقة البجة الجنوبية من قرية عقيتاي التي تقع في جزيرة عيري على ساحلها أشار إلى إن باضع هو الاسم القديم لميناء مصوع وأنه لا علاقة له بجزيرة عيري (26) .

غيران الشامي يؤكد غير ذلك بقوله : اتصلت ببعض البجاة من بني عامر فذكروا إن باضع هي مصوع الحالية ومع ذلك فإنني اعتقد إنهم من فرط تعلقهم بباضع وشهرتها أطلقوا اسمها على مصوع وأن باضع خربت وانهارت وليس في تاريخ مصوع ما يوحي بأنها كانت ثم انهارت ثم عادت لتحيًا من جديد (27) .

سواء كانت باضع هي مصوع الحالية أم غير ذلك إلا أنها اشتهرت ونشأت كميناء تجاري مهم ويعتبر من أهم الموانئ التي نشأت على ساحل البحر الأحمر ، وأسهمت مجموعة من العوامل على تفوقها وتألقها على سائر الموانئ المطلة على البحر الأحمر فقد كانت من أهم المراكز التجارية التي نشأت خلال العصور الإسلامية

نشأة ميناء باضع :

ليس معروفاً متى نشأ ميناء باضع وأول إشارة إليه في المصادر العربية وردت حول التجأ فلول الأمويين إلى باضع في منتصف القرن الثامن الميلادي ويذكر البلاذري أن باضع أنشئت بأيدي عربية وأنها كانت بمثابة نقطة ارتكاز مكنت الجاليات العربية من تثبيت أقدامها في الوطن البجاوي⁽²⁸⁾ .

وهناك اختلاف بين المؤرخين حول نشأتها وكما ذكر الحاج عبد الرحمن أنه ليس معروفاً متى نشأ هذا الميناء⁽²⁹⁾ ويرجح مصطفى مسعد أن العرب هم من أسسوا ميناء باضع واتخذوها مرفأً مكنت الجماعات العربية من تثبيت أقدامها في شرق السودان⁽³⁰⁾ فاتجهت جماعات منها إلى اريتريا ويذكر يوسف فضل : ومن مرافئ مصوع وباضع تدفقت الهجرات العربية عبر بلاد البجة في اريتريا وشرق السودان وادي النيل⁽³¹⁾ .

والراجح أن باضع نشأت وازدهرت نتيجة للهجرات العربية على ساحل البحر الأحمر والتي استوطنت وكونت جماعات أسهمت في الازدهار التجاري والسياسي .

ونجد اختلافاً بين المصادر التاريخية في تاريخ نشأة وازدهار الميناء حيث يذكر المؤرخون أن ازدهار باضع كميناء تجاري مهم كان في القرن الثاني الهجري كما ذكر اليعقوبي أن ازدهارها كان في القرن الثالث الهجري مشيداً بعظمتها كما ذكرها العمراني في القرن الرابع الهجري ولكن ظلت الميناء تحت سيطرة البجة ولم تخضع لممالك المسيحية كمملكة اكسوم وظلت محافظة على استقلاليتها⁽³²⁾ .

ومن جانب آخر يشير كرا وفورد في حديثه عن نشأة الموانئ على ساحل البحر الأحمر أن أقدم المعلومات التاريخية ترجع إلى أربع فترات زمنية متعاقبة كانت الفترة الأولى في عصر البطالمة عندما كان الملاحون الأوربيون يكتشفون سواحل البحر الأحمر لأول مرة وفي هذه الفترة ظهرت ميناء بطليموس العقيق حالياً كأهم ميناء والفترة الثانية كانت خلال العصر الروماني أما الفترة الثالثة منذ قيام مملكة اكسوم وظهرت العقيق كأحد الموانئ المهمة للتجارة المحلية وقد شاركتها الأهمية ميناء أودلس ، والفترة الرابعة خلال

العصر الإسلامي ودخول العرب مصر وفي هذه الفترة ظهر ميناء باضع لأول مرة في تاريخ المنطقة ومن ثم اضمحلت العقيق في وجه ميناء باضع لشدة قرب باضع من سواحل البحر الأحمر⁽³³⁾ .

كما يشير سليمان صالح ضرار في مقال له إلى أن البطالمة عرفوا ميناء باضع منذ قديم الزمان وكانوا يستخدمونه لنقل الحيوانات الوحشية ومنها الأفيال الإفريقية التي كانت تستخدم في القتال إلى مصر واليونان ، كما عرفه الرومان⁽³⁴⁾ .

مما سبق يتضح إن هنالك اختلافاً بين المؤرخين حول متى نشأ الميناء ولكن الراجح أنه كان معروفاً عند العرب قبل ظهور الإسلام وبعد الإسلام وازدادت الهجرة العربية إلى سواحل البحر الأحمر ظهرت باضع كميناء تجاري مهم ساهم بدور كبير في الأحداث السياسية أبان العصر الإسلامي .

السكان واللغة :

لا شك في الوجود العربي المبكر والاتصال بين الجزيرة العربية وموانئ ساحل البحر الأحمر قبل الإسلام حيث كان هدفهم هو التجارة والبحث عن سبل العيش ومن ثم تدفقت موجات القبائل العربية من شبة الجزيرة العربية ومن مصر على سواحل البحر الأحمر ، حيث اختلطوا بالسكان⁽³⁵⁾ ومن هؤلاء جماعات من الحضارمة عبروا البحر الأحمر إلى ساحله الإفريقي في القرن السادس الميلادي ومن ثم اختلطوا بالبجة⁽³⁶⁾ ، وكونوا طبقة حاكمة خضع لها البجة وقد عرفوا عن العرب باسم الحدارية الذين استقروا في إقليم العتيايبي في الشمال وهم اضطروا إلى الانتقال جنوباً في القرن الخامس عشر الميلادي حيث أسسوا مملكة البلو (مملكة بني عامر) في طوكر⁽³⁷⁾ .

وقبيلة البلويين تنتمي إلى بلي بن عمرو بن الحافي بن قضاة والتي هاجرت من حضرموت إلى شرق السودان واريتريا قبل ألف عام من ظهور الإسلام وسيطرت على الجزر والمدن الساحلية لشرق السودان واريتريا مثل باضع وسواكن وعيذاب وأقامت فيها ما يعرف بممالك الحدارية⁽³⁸⁾ .

وكان ملوك البجة أبان قدوم العرب بعد فتح مصر يعرفون باسم الحدارية أو الحد ارب ومفردها الحد ربي⁽³⁹⁾ وتذكرهم بعض المصادر باسم الحدارية⁽⁴⁰⁾ ، وتشير إليهم مصادر أخرى باسم الحدرات⁽⁴¹⁾ وأطلق عليهم ابن حوقل اسم الحدربية⁽⁴²⁾ واسم الحدارية مأخوذة في الأصل من كلمة الحضارمة وهو ما يشير لأصولهم العربية وإلى جانب جماعات الحدارية كانت قبائل البجة تتكون من طوائف أخرى مثل الزنافخ ورسفه والعماعر⁽⁴³⁾ .

كما يشير محمد عبده إلى إن البلو هم فرع من الحميريين هاجروا إلى

اريتريا هجرتين مختلفتين الأولى كانت مباشرة ومن موطنهم في جنوب الجزيرة العربية إلى الساحل الاريتري وبالتحديد ميناء باضع ومنها توغلووا إلى الداخل وأصبحت باضع مقر حكمهم وذلك في ألف سنة قبل الميلاد⁽⁴⁴⁾.

ويشير سليمان ضرار إلى أن مملكة البني عامر البلويين كانت عاصمتها جزيرة عيري (باضع) وهم الذين شكلوا الطبقة الحاكمة لمملكة مروى القديمة والتي تقع في منطقة البطانة قريبة من كبوشية ولا تزال بعض جبال هذه المنطقة وقراها تحمل أسماء بجاوية وكان سكان هذه المنطقة من المتحدثين باللغة البجاوية ، كما أنه يعتقد أن الأمويين الذين فروا من باضع أقاموا مملكة الدجن في كسلا وهم الذين أسسوا بعد قرون مملكة سنار وتوجد في قبيلة البني عامر قبيلتان تنتسبان لبني أمية هما قبيلة (ولد نهو) و (ماريا)⁽⁴⁵⁾.

ولا شك أن هجرة القبائل العربية إلى موطن البجة تركت لونا من التأثير فيمن اختلطت بهم من البجة وأن بعضهم تعلم اللغة البجاوية ليسهل التعامل مع البجة.⁽⁴⁶⁾ وأن سكان باضع كانوا يتحدثون إلى جانب لغة البجة اللغة التيجرية والعربية نسبة لأنهم من قبيلة البلويين و بني عامر⁽⁴⁷⁾.

الأهمية التجارية لميناء باضع أهميتها التجارية قبل ظهور الإسلام :

كان لموانئ ساحل البحر الأحمر أكبر الأثر في النشاط التجاري قبل الإسلام ، إذ كانت تشكل حلقة التواصل للتبادل التجاري المحلي والعالمي في العصور التاريخية القديمة .

فقد مارس العرب نشاطهم التجاري في ميناء باضع قبل الإسلام⁽⁴⁸⁾ ، وكان لها علاقات تجارية قوية مع بلاد العرب خاصة اليمن والحبشة وممالك النوبة المسيحية .

بالنسبة إلى بلاد اليمن كان لها تبادل تجاري نشط مع ميناء باضع حيث تؤخذ من باضع جلود النمور وجلود الأبقار التي تصنع منها النعال كما تصدر من باضع العاج والصمغ واللبان والذهب وسن الفيل والعيبد ويأتي إليها التجار العرب من بلاد اليمن بمنتجات وخيرات الهند والصين من الروائح والأمشاط والمنسوجات والأسلحة⁽⁴⁹⁾ ، إما بلاد الحبشة فقد كانت تصدر إلى ميناء باضع سلعة سن الفيل وبيض النعام ويشترون من باضع نوع من العود يسمى القسط ونوع من الروائح يسمى الأظفار قيل أنه يشبه الظفر وكذلك الأمشاط⁽⁵⁰⁾ .

كما نشطت علاقات تجارية وصلات طيبة بين باضع والممالك النوبية المسيحية وكانت السلع المختلفة من المنتجات السودانية كسن الفيل وريش النعام والعيبد وغيرها من السلع والمنتجات المصنوعة⁽⁵¹⁾ .

ومن جانب آخر كانت أهميتها التجارية تتمثل في أن أهالي باضع كانوا وسطاء بين القوافل وتجار القوافل الواردة إليها وبين السفن الكبيرة التي تتقبلها من جنسيات مختلفة ومن جهات مختلفة وتصل إليها من مناطق بعيدة كالهند والصين وغيرها .⁽⁵²⁾ مما سبق يتضح لنا ازدهار النشاط التجاري الكبير بين ميناء باضع والدول المجاورة له ، حيث كانت مدينة باضع سوقاً تجارياً تستقبل السلع التجارية الواردة إليها كما كانت تصدر منتجاتها المحلية إلى تلك البلدان .

أهمية باضع التجارية في العصر الإسلامي :

عندما ظهر الإسلام وقامت الدولة العربية الإسلامية ازدادت هجرة القبائل العربية إلى الساحل الإفريقي واهتم العرب بالموانئ الإفريقية التي تقع على ساحل البحر الأحمر ثم هاجروا إليها لتأمين مصالحهم التجارية ولتكن لهم قاعدة ترسو فيها مراكبهم لمقاومة القرصنة الذين كانوا يشكلون تهديداً خطيراً لتجارتهم ومن أهم هذه الموانئ سواكن وعيذاب وباضع⁽⁵³⁾ ، لأجل ذلك ظل التواصل التجاري بين سواحل الجزيرة العربية وإفريقيا عبر البحر الأحمر خلال العصور الإسلامية ، وتدخلت الدولة العربية الإسلامية لحماية التجارة والسفن الإسلامية من القرصنة البحرية وكانت باضع كما ذكر البلاذري أقدم مركز مارس فيه العرب نشاطهم التجاري .⁽⁵⁴⁾

فقد نالت أهمية كبيرة خلال العصور الإسلامية باعتبارها أهم موانئ الساحل الغربي للبحر الأحمر نظراً لموقعها الاستراتيجي ولقربها من البوابة الجنوبية عند مدخل باب المندب ، كما تعتبر ميناء باضع أهم الموانئ التي شكلت حلقة وصل بين مسلمي إفريقيا وبلاد الحجاز ومناطق الجزيرة العربية الأخرى واحتلت مركزاً مرموقاً للتجارة الدولية العابرة للبحر الأحمر⁽⁵⁵⁾ ، كما كانت ذات صلات تجارية منتظمة مع دول الداخل الإفريقي يتم فيها تبادل السلع النادرة كالعاج وريش النعام⁽⁵⁶⁾ .

على أن قمة ازدهارها في النشاط التجاري كان كما ذكر المقرئزي أن ازدهار باضع كميناء تجاري مهم في القرن الثاني الهجري⁽⁵⁷⁾ ووصفها ابن حوقل بأنها جزيرة ذات خير وفير وماشية⁽⁵⁸⁾ ، كما يصفها اليعقوبي في القرن التاسع الميلادي بأنها أحد المراكز الرئيسية التي كان العرب يتعاطون فيها التجارة مع الحبشة⁽⁵⁹⁾ ، فقد كانت الميناء التجاري لأهل الحبشة يأتون إليها ببضائعهم بما يحتاجون إليه وفي ذلك يقول ياقوت الحموي : أن الأثيوبيين يحضرون العاج وقشر بيض النعام وأشياء أخرى من أرضهم ويبيعونها لأهل باضع ويشترون الدواء (القسط) والعطر (أظفار) والأمشاط⁽⁶⁰⁾ .

وقد أشار المسعودي أيضاً إلى ذلك بقوله « فمن مدن الحبشة على الساحل الزيلع والدهلك وباضع وبها خلق كثير إلا إنهم في ذمة الحبشة: (61) . كما اشتهرت كمركز لتجارة اللآلئ والتروس المصنوعة من جلود السلاحف والأسماك المجففة وريش النعام (62) ، ويشير أحمد الياس إلى أهميتها التجارية في أن الكثير من سلع الداخل كانت تتجمع في سوقها كما كانت تصل إليها السلع الآتية من الهند وبلاد اليمن (63) ، ولعل ذلك يؤكد أهميتها كمركز وسوق تجاري مهم تتجمع فيه السلع من جميع البلدان محلياً وعالمياً .

علاقتها التجارية مع مصر واليمن والسودان :

اشتهرت ميناء باضع بالبضائع والسلع التي ترد إليها من مصر واليمن إذ انه بعد امتداد النفوذ العربي على مصر عام 641م اخذ البجة على عاداتهم التحرش بصعيد مصر وفي أثناء تلك الحملات اكتشف العرب معادن الذهب والزمرد في ارض البجة وصارت تلك المعادن مصدر جذب لمعظم الهجرات العربية وكان صاحب هذا الحراك الاقتصادي الكبير تطور وازدهار الموانئ الإسلامية الثلاثة باضع وسواكن وعيذاب (64) .

فقد تميزت باضع بصادرات الذهب في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين حيث كتب اليعقوبي عن قبيلة في البجة كان تسمى بأقلين كانت أرضها تمتد من باضع على ساحل البحر الأحمر إلى حدود بركات (65) ، في حين يشير الهمزاني إلى وجود الذهب في عدة مناطق فيذكر : ومن معادن أرض النوبة والحبشة التبر وهو جيد واشدة حمرة ومن قطان التبر دهلك وباضع وسواكن (66) .

ومن ذلك يتضح لنا أن باضع كانت لها علاقات تجارية متميزة مع مصر واليمن وبلاد السودان وإنها كما ذكر ابن بطوطة قد احتكرت تجارة شرق السودان وجنوب مصر (67) .

الطرق التجارية :

كانت باضع متصلة بشبكة من الطرق التجارية منها طريق النيل مروراً بسواكن ومع إقليم التاكا مروراً بدلتا نور بركة (68) .

وطريق آخر كانت القوافل من القاهرة تمر عبر بلاد البجة وحتى باضع ومنها تنتقل إلى اليمن عبر البحر الأحمر (69) ، وكما كانت هنالك طرق تربط النيل بسواكن وباضع ودهلك وغيرها من جزائر البحر الأحمر (70) .

ولعبت هذه الطرق دوراً مهماً للازدهار التجاري لميناء باضع ومن ثم أسهمت مساهمة فعالة في الحراك الاقتصادي لموانئ البحر الأحمر ولعل كلمة باضع على لسان أهالي المنطقة جاءت من باضع تعني حمل البضائع في اللغة العربية (71) .

أهم الآثار الاقتصادية للنشاط التجاري لميناء باضع :

كان من أهم نتائج هذا الازدهار والنشاط التجاري لميناء باضع خلال العصور الإسلامية أنه أسهمت بصورة واضحة في الحراك الاقتصادي لموانئ ساحل البحر الأحمر وأدى ذلك كما ذكر الشامي إلى ثمرتين .

الثمرة الأولى : هي الاتصال الايجابي مع الأقاليم السودانية في ظهير خط ساحل البحر الأحمر وزيادة تصديق المنتجات وحجم التجارة التي تتجه إلى العالم الخارجي .

الثمرة الثانية : فتتمثل في فتح المجال أمام تسرب بعض القبائل العربية واستقرارها كما أن ظهور باضع وقيامها بخدمة النشاط التجاري كان سبباً لاختفاء بعض الموانئ القديمة على الساحل ⁽⁷²⁾ ويؤكد ذلك مصطفى مسعد بقوله واختفت بعض المدن والمواقع المهمة التي كانت تسمد مركزها في خدمة التجارة ⁽⁷³⁾ .

الأهمية السياسية لميناء باضع :

تحدثت كثير من المصادر عن الأهمية السياسية لميناء باضع وإنه كان الميناء الذي نزل فيه الصحابة في الهجرة الحبشية الأولى والثانية ، فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بالهجرة إلى الحبشة في السنة الخامسة من البعثة وقال لهم لو خرجتم إلى أرض الحبشة فأن بها ملك لا يظلم عنده احد وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم مخرجاً مما أنتم فيه ومن ثم شد المسلمون رحالهم بحراً من ميناء شعيب الواقعة بالقرب من جدة وضم وفد المهاجرين 11 رجلاً مسلماً وأربع نساء في سفينتين شرعيتين إلى الحبشة ونزلوا في ميناء باضع وهي جزيرة عيري وفق رأي عدد من المؤرخين ⁽⁷⁴⁾ .

ولم تكن هذه الهجرة هي آخر هجرة للمسلمين لأرض البني عامر، فما لبث أن وصلت إلى باضع جماعة أخرى من مهاجرين المسلمين تتكون من 83 رجلاً ومن النساء 18 وربما كان معهم عمار بن ياسر الذي شيد أول مسجد في الإسلام في أرض النجاشي في باضع ⁽⁷⁵⁾ ، ووصل المهاجرون إلى ميناء باضع في أرض الحبشة بعد أيام معدودة من ركوبهم البحر ⁽⁷⁶⁾ واستقبل أفراد قبيلة البني عامر وملكهم النجاشي اصحمة هؤلاء المهاجرين ورحبوا بهم وأعطوهم الأمان للنزول في أرض مملكتهم وبذا تكون هذه القبيلة هي أول شعب يعطي الأمان للمهاجرين خارج الجزيرة العربية ، وذلك بدخول الإسلام إلى ربوع أرضها قبل فتح مكة بسبع عشرة سنة ، وعليه فأن باضع هي أول دار للهجرة في الإسلام ، حيث حباها الله بهذا الشرف قبل أن يأذن الله لرسوله ^(ﷺ) بالهجرة النبوية إلى المدينة بتسع سنوت ⁽⁷⁷⁾ ، ويتضح من ذلك أن بعض المؤرخين من يرجح أن ميناء باضع هي دار هجرة الصحابة الأولى إلى الحبشة .

أهميتها السياسية في عصر الخلافة الراشدة :

في عصر الخلافة الراشدة استخدم ميناء باضع منفى للخارجين عن الطاعة فقد نفى إليها الخليفة عمر بن الخطاب أبا محجم الثقفي عام 13هـ - 643م ، ومن ذلك نرى أنها كانت منفى للمغضوب عليهم والخارجين عن الطاعة في عصر الخلافة الراشدة .ومن ثم نرى إنها كانت منف للمغضوب عليهم والخارجين عن الطاعة في عصر الخلافة الراشدة

أهميتها السياسية في عصر الدولتين الأموية والعباسية :

كانت الأوضاع السياسية في العالم الإسلامي منذ سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية قد تأثرت إلى حد كبير بهجرة القبائل العربية إلى أوطان البجة ، وذلك إبان هجرة جماعات من بني أمية ومواليهم إلى أوطان البجة ، فيذكر المسعودي أنه بعد مقتل مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية تفرق بنو أمية في البلاد الإسلامية هرباً من بطش العباسيين وكان من بين الهاربين أبناؤه عبد الله و عبيد الله فهربا ثم توسطأ أرض البجة ميمنة باضع وكان عددهم 400 شخص واستجار الأمويين بملك النوبة على إن يبيقيهم في بلاده لكنه رفض وطلب منهم الرحيل فاتجهوا شرقاً إلى ميناء باضع وتعرضوا للجوع والعطش فهلك عدد منهم من بينهم عبيد الله بن مروان ومضى أخوه إلى ميناء باضع على ساحل البحر الأحمر حيث عبر جدة ومنها سار إلى مكة قبض عليه وأرسل إلى بغداد حيث بقى سجيناً حتى أيام الخليفة هارون الرشيد الذي أمر بإخراجه (78) .

وان كان قد أتيح لعبد الله الهرب إلى مكة فإنه من غير المستبعد أن يكون خلف وراءه بعض الأمويين ومواليهم ومن تبعهم من العرب والموالي ببلاد النوبة وأوطان البجة والحبشة (79) ، كما أنه من المرجح أن يكون رجال البجة بالاتفاق مع النوبيين قد غدروا بهؤلاء الأمويين تقرباً للعباسيين، حيث كشفت الحفريات الأثرية الحديثة عن قبور هؤلاء الأمويين على طول الطريق الذي سلكوه من النوبة إلى ميناء باضع (80) ، ويؤكد ذلك بولس بقوله « أنه عثر على مقابر أولئك الأمويين على طول الطريق الذي سلكوه من بلاد النوبة حتى ميناء باضع» (81) ، كما يشير كروفورد أن الأبحاث الإيكولوجية أثبتت وجود جاليات في منطقة خور بنت الواقعة على بعد 70 ميلاً غربى سواكن إذ عثر على شواهد قبور غريبة يرجع تاريخها إلى القرن الثامن الميلادي 760م وهو تاريخ يتفق مع هجرة الأمويين إلى أوطان البجة مما يدعونا إلى الاعتقاد أن هذه القبور تنسب إلى أولئك الأمويين الهاربين إلى هذه الأوطان (83) ، ويبدو أن بعض من نجا من الأمويين قد استقر على ساحل البحر الأحمر قرب باضع حيث اختلطوا بالسكان المحليين وتزوجوا منهم (83) .

ويعتقد سليمان ضرار أن الأمويين الذين فروا من باضع أقاموا مملكة الدجن في كسلا وهم الذين أسسوا بعد قرون مملكة سنار وتوجد في قبيلة البني عامر قبيلتان تنسبان إلى بني أمية وهو (ولد نهو) و(مأرب) (84) .
أما في عصر الدولة العباسية فقد أصبحت باضع خاضعة للدولة الإسلامية منذ عصر الخليفة المأمون (85) .

ويذكر المقرئزي «أنه عندما كثرة غارات البجة على أسوان وكثير ايزاؤهم للمسلمين رفع ولاة الأمر خبرهم إلى المأمون فجرد لهم حملة بقيادة عبد الله بن الجهم انتهت بعقد صلح معهم وبين ملكهم كنون ومن شروطه أن يكون سهل البجة من أسوان إلى باضع ملك للخليفة العباسي» (86) .
نهاية ميناء باضع :

اختلفت الروايات التاريخية بين المؤرخين حول نهاية ميناء باضع وكيف كان دمارها وخرابها فالبعض يذكر أن تخريب ميناء باضع في القرن الحادي عشر الميلادي، حيث انتقل سكانها إلى مواقع جديدة على ساحل البحر الأحمر واتخذها قاعدة جديدة لنشاطهم التجاري (87) .

ويذكر ياقوت الحموي إنها أصبحت في أيامه خراباً (88) ، كما يشير يوسف فضل إلى سبب زوالها ونهايتها من الوجود ما بين الجماعة الشديدة أو الغزو العسكري (89) .

ويرى آخرون أن الحروب القبلية بين بطون البجة أو انتشار وباء خطير قد ساهم في هجرة السكان من باضع وخرابه (90) ، وأن تدهورها كان بسبب الجفاف الذي أصاب المنطقة ففر أهلها إلى دلتا خور بركة وخور القاش حيث تتوفر المواد الغذائية كما أن مجموعة من قبيلة البني عامر هاجمت باضع وخربوها ولعل السبب الأهم هو تحول القوافل التجارية إلى ميناء عيذاب الذي ازدهر بدلاً من ميناء باضع (91) .

كما يذكر كروفورد سببين الأول نقص الموارد الغذائية الأمر الذي ترتب عليه حدوث المجاعات ففر منها الأهالي ، أما السبب الثاني هجوم عسكري من قبيلة البني عامر على الميناء (92) .

ويرى الشامي أن هذه القبيلة نجحت في تخريبها وإنزال الأضرار بها حتى هجرها السكان كما يرى أيضاً أن نهاية باضع وتحول التجارة عنها وفرار أهلها إلى سواكن وعيذاب هو حدوث اضطرابات والفوضى فيها مما ترتب عليه عدم وصول القوافل التجارية أو عدم انتظامها ، ويرجع السبب في حدوث تلك الفوضى في أوطان البجة إلى سببين :

أولهما : طبيعة السكان في تلك المنطقة والظروف السائدة في أوطانهم .
ثانيهما : طبيعة علاقاتهم بأهل وسكان باضع الذين يراعون التجارة وأيضاً الصراع والتنافس بين القبائل المجاورة أدى إلى الفوضى وحدوث المجاعات، وكانت هناك منافسة بين باضع وعيذاب في فترة ما انتهت بانهياب باضع وتحول التجارة عنها⁽⁹³⁾ .

الخاتمة :

عرفت ميناء باضع خلال القرون الأولى من العصر الإسلامي حيث كانت تقف كأحد الموانئ التجارية المهمة على ساحل البحر الأحمر وبرزت أهميتها السياسية والاستراتيجية والتجارية حيث احتلت مركزاً مرموقاً للتجارة الدولية العابرة للبحر الأحمر نسبة لقربها من مدخل باب المندب .
كما استخدمت منفى للخارجين عن الطاعة والحكم خلال عصر الخلافة الراشدة ، كما ظهرت أهميتها السياسية خلال عصري الدولة الأموية والعباسية، فقد كانت ملاذ الهاربين من الأمويين من بطش العباسيين وقد توصلت الدراسة إلى عدة نتائج .

النتائج :

1. الأهمية الاستراتيجية والسياسية والتجارية لموانئ البحر الأحمر جعلت منها مركزاً لخطوط الملاحة الدولية والعالمية .
2. أن الموقع الاستراتيجي لميناء باضع جعل منها من أهم موانئ ساحل البحر الأحمر فقد أسهمت إسهاماً في ازدهارها التجاري على المستوى المحلي والدولي .
3. كان لهذا الموقع الاستراتيجي أكبر الأثر في أن تتبوأ مكانة بارزة في العصور الإسلامية كما لعبت دوراً مهماً في تاريخ شرق إفريقيا .
4. نشأت باضع وازدهرت نتيجة للهجرات العربية على ساحل البحر الأحمر والتي استوطنت وكونت جماعات أسهمت في الازدهار التجاري والسياسي .
5. مارس العرب نشاطهم التجاري في ميناء باضع قبل الإسلام وكانت لها علاقات تجارية قوية مع بلاد العرب خاصة اليمن والحبشة وممالك النوبة المسيحية، فازدهر النشاط التجاري معها وكانت سوقاً تصدر منتجاتها المحلية إلى تلك البلدان .
6. خلال العصور الإسلامية استمر ازدهارها التجاري وكانت حلقة وصل بين مسلمي أفريقيا وبلاد الحجاز ومناطق الجزيرة العربية الأخرى .

7. تميزت بعلاقات تجارية نشطة مع مصر واليمن والسودان خلال العصور الإسلامية وإنها احتكرت تجارة شرق السودان وجنوب مصر .
8. ارتبطت بشبكة من الطرق التجارية مع البلدان المجاورة ومن ثم ساهمت مساهمة فعالة في الحراك الاقتصادي لموانئ البحر الأحمر .
9. يرجح بعض المؤرخين أن ميناء باضع هي دار هجرة الصحابة الأولى للحبشة .
10. في عصر الخلافة الراشدة استخدمت منفى للخارجين عن الطاعة والحكم .
11. ظهرت أهميتها السياسية خلال عصر كل من الدولتين الأموية والعباسية فقد كانت ملاذ للهاربين من بطش العباسيين .
12. اختلفت الروايات حول نهايتها وكيف كان خرابها ودمارها فالبعض ذكر إن ذلك كان سبب وباء خطير كما ذكر البعض الآخر أنه بسبب الجفاف أو المجاعة أو الغزو العسكري .

التوصيات :

- موانئ البحر الأحمر من أهم الموانئ العالمية التي تلعب دوراً بارزاً في الأحداث العالمية وأوصى:
1. توسيع دائرة العلاقات السياسية والتجارية والثقافية بين موانئ البحر الأحمر .
 2. زيادة التبادل التجاري والسياسي والدبلوماسي بينها وبين بلدان العالم الإسلامي للحيلولة دون سيطرة الدول الاستعمارية .
 3. تكثيف الدراسة حول موانئ البحر الأحمر بما يحقق المصالح المشتركة بينها .
 4. دعوة كل الدول الإسلامية إلى الاشتراك في تأمين موانئ البحر الأحمر بما يحقق الأمن والأمان في المنطقة .

المصادر والمراجع :

- (1) شوقي عبد القوي ، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة العدد 151 - الكويت 1990م ص 164.
- (2) طه حسين عوض ، دور الموانئ الإفريقية في تسهيل الحج إلى الحجاز من القرن السادس إلى القرن الثامن الهجري (12م - 14م) ، ميناء زيلع نموذجاً مجلة العلوم العربية الإسلامية ، جامعة القصيم ديسمبر 2017م .
- (3) المصدر نفسه .
- (4) سالم السيد عبد العزيز ، البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي ، د ط ، مؤسسة شباب الجامعة السكندرية ، مصر 1993م في 39 - 40 .
- (5) احمد دراج عيذاب ، مقال نشرت بمجلة نهضة أفريقيا ، مجلة شهرية ، السنة الأولى ، العدوان 9--10 ص 53 .
- (6) السيد عبد العزيز سالم ، مرجع سابق ص 40 .
- (7) علي ادم محمد ، قبيلة البجة في شرق السودان من القرن الثاني إلى التاسع الهجري دراسة سياسية حضارية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، قسم التاريخ ، كلية الآداب ، جامعة عدن ص 49 ، 2000م .
- (8) سراج الدين ابن حفص ، خريدة العجائب وفريدة الغرائب ، الجامع لما هو لطرف الدهر حور ولجيد الزمان ، مطبعة مصطفى الباني الحلبي واولادة القاهرة مصر ص 45 .
- (9) المقريزي تقى الدين بن احمد بن علي المتوفى (845هـ) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار د . ط . تحقيق د.محمد زينهم ومديحه الشرقاوي ، مكتبة مريبوي القاهرة ، مصر 4 أجزاء ، ج 2 ص 136
- (10) محمد عوض ، السودان الشمالي ، سكانه وقبائله ط 5 لجنة التأليف والنشر القاهرة 1956م ص 35
- (11) عبد الرحمن حسب الله الحاج ، العلاقات بين العرب وشرق السودان منذ ظهور الإسلام حتى ظهور الفونج (1505م) رسالة ماجستير منشورة د.ط. ص 74 .
- (12) المقريزي ، مرجع سابق ج 2 ص 257 .
- (13) شهاب الدين بن عبد الله ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ج 1 دار صادر بيروت لبنان 1977م ص
- (14) احمد بن اسحق ، اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ط 2 ، دار الكتب العلمية بيروت 2004 ج 1 ص 165 .

- (15) محمد بن عبد المنعم ، الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار - تحقيق إحسان عباس ط2 مكتبة لبنان بيروت 1984م ص 332 .
- (16) أبو القاسم محمد بن حوقل ، صورة الأرض ، بيروت منشورات دار مكتبة الحياة 1992م ج1 ص48 .
- (17) Grawford ، O.G.S. the stone tombs ، of the Sudan . Kush .s . 1954.p80
- (18) صلاح الدين الشامي ، الموانئ السودانية ، دراسة في الجغرافية والتاريخية ، مكتبة مصر ، القاهرة 1961م ص 68 .
- (19) المصدر نفسه ص 68 .
- (20) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ص 226 .
- (21) الشامي ، الموانئ السودانية ص 69 .
- (22) بلاد البجة تمتد أرضهم من أسوان شمالاً حتى الأطراف الشمالية لهضبة الحبشة جنوباً ومن البحر الأحمر شرقاً حتى النيل غرباً ويعرف سكانها باسم البجاة ورد اسم البجة في احد النقوش الاكسومية القديمة التي تؤرخ إلى القرن 4 ق م وتحدث المؤرخين عن البجة وسكانهم وأصلهم (اليعقوبي) ، ذكر أنهم من النيل ولهم عدة ممالك في كل بلد ملك منفرد كما يشير إلى أن البجاة كانت لهم حياة مستقرة ويعرفون نظم الحكم الوراثي كسائر الشعوب التي حققت نوعاً من الاستقرار السياسي وللمزيد انظر مصطفى مسعد البجة والعرب - مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة العدد 21 المجلد الثاني ديسمبر 1959م ص 4 - القلقشندى صحيح الأعشى ج5 ص 273 ، تاريخ اليعقوبي ج2 ص 165 . ويقول اليعقوبي أيضاً عن ممالك البجة ومدينة المملكة يقال لها هجر ولهم قبائل وبطون والمملكة الثانية من البجة مملكة يقال لها بلقين ثم المملكة الثالثة يقال لها بازين والمملكة الرابعة لهم ملك خطير ومملكة ما بين بعد يقال له باضع والمملكة الخامسة ثم المملكة السادسة مملكة النجاشي ولم تنزل العرب تأتي إليها للتجارات - تاريخ اليعقوبي ج1 ص 165 - 166 .
- (23) أبو بكر عوض الجليل ، تطور علاقات قبائل البجة بالدولة الإسلامية من فتح مصر حتى نهاية دولة الممالك (923هـ / 1517م) رسالة دكتوراه غير منشورة ، قسم التاريخ كلية الدراسات العليا ، جامعة البحر الأحمر 2013م ص65
- (24) اليعقوبي ، احمد بن يعقوب ، تاريخ اليعقوبي ج1 ص 17 .

- (25) المصدر نفسه ص 171 .
- (26) ضرار صالح ضرار ،
- (27) الشامي - الموائى السودانية ص 69 .
- (28) البلاذري - فتوح البلدان - ص 239 .
- (29) الحاج عبد الرحمن حسب الله - العلاقات بين العرب وشرق السودان منذ ظهور الإسلام حتى ظهور الفونج ص 58 .
- (30) مسعد - مصطفى محمد - الإسلام والنوبة في العصور الوسطى ط 1 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - مصر ص 42 .
- (31) يوسف فضل - العلاقة بين الثقافة العربية والثقافات الإفريقية- تونس المنظمة العربية للتربية والعلوم 1985م - ص 53 .
- (32) عبدو محمد - موائى البحر الأحمر التاريخية - مدونة التاريخ والتراث 10 نوفمبر 2018م
- (33)33.: p522-p529 Graw ford ، O.G.S. the stone tombs ، of the Sudan . Kush .s . 1954
- (34) سليمان صالح ضرار - هجرة الحبشة (2) - صحيفة الراكوبة 11 ابريل 2015م .
- (35) الشامي - الموائى السودانية - ص 74 .
- (36) المرجع نفسه ص 74 .
- (37) المقرئزي- المواعظ والاعتبار بذكر الخط والآثار ، ، تحقيق محمد زينهم ومديحه الشرقاوي ، مكتبة مربوي القاهرة ، مصر 14 جزار ج 2 ، ص 195.
- (38) محمد سليمان ضرار - هجرة الحبشة والدور التاريخي لشرق السودان الاثنى 22 نوفمبر 2010م
- (39) ابن بطوطة ، محمد عبد الله - رحلة ابن بطوطة - تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الإسفار- ط 2 مطبعة الرسالة - بيروت لبنان ج 2 ص 49 .
- (40) المسعودي -أبو الحسن بن علي الحسين (ت 346) مروج الذهب ومعادن الجوهر تحقيق محمد محي الدين مطبعة السعادة مصر 1948م ج 2 ص 16 .
- (41) اليعقوبي - احمد بن إسحاق- كتاب البلدان طبعة مطبعة ليدن ، الهند، 1883م ج 1 ص 165 .
- (42) ابن حوقل - صورة الأرض ابن حوقل ،أبو القاسم محمد ، صورة الأرض- بيروت منشورات دار مكتبة الحياة 1992م ج 1 . ، ص 58 .

- (43) سيد احمد السر العراقي،. سواكن في العصر العثماني (1520 - 1923م) مركز التنوير المعرفي سلسلة كتاب الخرطوم الطبعة الأولى 2013م ص 172.
- (44) عمر عبده رازي - العلاقات الاريترية العربية قراءة تاريخية ورؤية مستقبلية ، 2016م ، مركز دراسات القرن الأفريقي ، 2011م // <https://stgcenter.org/%D9%83%D8%AA%D8%A8>
- (45) سليمان ضرار - هجرة الحبشة الثانية - صحيفة الراكوبة .
- (46) المقريزي ، الخطط ، ج1 ص 196 .
- (47) سليمان ضرار ، هجرة الحبشة الثانية - صحيفة الراكوبة.
- (48) مصطفى مسعد ، البجة والعرب في العصور الوسطى مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة العدد 21 المجلد الثاني ديسمبر 1959م، ص42.
- (49).عمار حامد - علاقات مصر بالدول الأفريقية في العصور الوسطى ج1 الدار العربية للكتاب - القاهرة مصر 1996م ص 28-29 .
- (50) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج1 دار صادر بيروت لبنان 1977 ص 45 .
- (51) صلاح الدين الشامي ، الموانئ السودانية ، دراسة في الجغرافية والتاريخ ، مكتبة مصر ، القاهرة 1961 ص 73 .
- (52) المصدر نفسه ص 73 .
- (53) عطية القوصي، تاريخ ميناء باضع في القرون الخمسة الهجرية، مجلة الدراسات الأفريقية ، العدد الحادي عشر ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة 1982م ص 6 .
- (54) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص 239 .
- (55) Graford - p82
- (56) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ج1 1867م ص 230 .
- (57) المقريزي ، الخطط والآثار ص 257 .
- (58) ابن حوقل ، صورة الأرض ج1 ص 47 .
- (59) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ج1 ، ص 172 .
- (60) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ج1 ص 227 .
- (61) المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ص 27 .
- (62) مركز دهلك للدراسات التاريخية .

(63) احمد الياس ،العلاقات المبكرة للمسلمين عبر المحور الشرقي ودوره في آثار الإسلام في السودان مينائي دهلك وباضع أكتوبر 2018مالعلاقات المبكرة للمسلمين عبر مينائي دهلك وباضع أكتوبر 2018م. hmed.elyas@gmail.com

(64) /stgcenter.https:/ 2013 62

العرب والقرن الأفريقي جدليةA8%D8%AA%D8%A8%D9%83%D8%AA%D8%A8
. الحوار والانتماء ، مجموعة مؤلفين ،ص 20

(65) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج 1 ص 175 .

(66) الهمزاني، أبو محمد الحسن بن محمد ، صفة جزيرة العرب ، دار الأدب ، بيروت 1983م تحقيق محمد سيد علي الاكوع ص 90 .

(67) ابن بطوطة ،ص 259 .

(68) سلامه حسن طه ، أهمية النشاط التجاري بين جنوب شرق آسيا وساحل شرق أفريقيا، كلية الإدارة/ جامعة صلاح الدين 2007م ص46.

(69) إبراهيم علي طرخان ، الإسلام والممالك الإسلامية في الحبشة ، المجلة التاريخية المصرية 1959م ص 30 .

(70) مركز دراسات القرن الإفريقي- العلاقات الاريترية العربية . .

مركز دراسات القرن الأفريقي مايو 2011م. https://stgcenter.org/%D9%83%D8%AA%D8%A8

(71) الجزيرة نت 24/ربيع ثاني 1441هـ العدد 17250 - 2019/12/21

(72) الشاطر البصيلي - معالم تاريخ السودان وادي النيل - ص 11 .

(73) مسعد مصطفى - البجة والعرب في العصور الوسطى - ص 42 ..

(74) محمد سليمان ضرار، هجرة الحبشة والدور التاريخي لشرق السودان، الاثنين 22 نوفمبر 2010م https://habab.banouta.net/t738-topic

(75) المصدر نفسه

(76) المصدر نفسه

(77) أبو الحسن صالح محمد فكاك - جريدة المدينة الأحد 16/رمضان 1403هـ 1983/6/26م .

(78) الطبري - تاريخ الرسل والملوك ج 2 ص 329 .

(79) المسعودي - التنبيه والأشراف 1976م - ص 329 .

(80) عوض خليفات - العرب والنوبة في صدر الإسلام- دراسات تاريخية جامعة دمشق 1982م ص 83 .

(81)79.Blossj – F .E . The story of suakins .s .n p .x1 y part 1936
p279 .

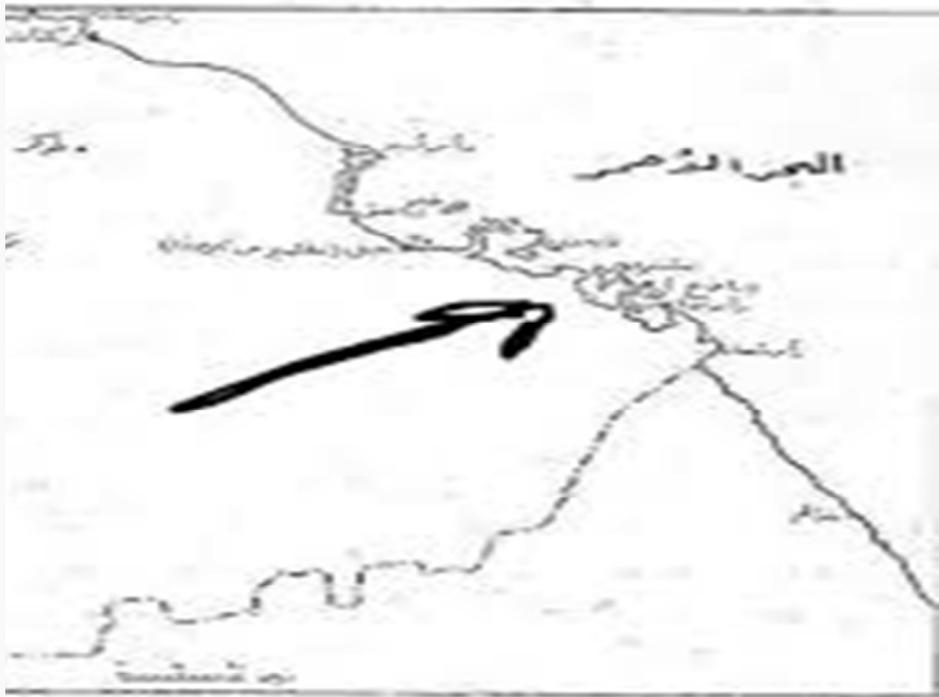
Graw ford – p 86.80(82)

- (83) مصطفى مسعد –الإسلام والنوبة ص 206 .
(84) السر سيد احمد العراقي – سواكن في العصر العثماني (1520م –
1923م) ص 54 .
(85).الشامي – الموانئ السودانية – ص 73 .
(86) المقريزي – المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ص 195 .
(87) مصطفى مسعد – البجة والعرب في العصور الوسطى ص 42 .
(88).ياقوت الحموي – معجم البلدان ص 54 .
(89) يوسف فضل ، العلاقات العربية والثقافية الأفريقية، تونس المنظمة
العربية للتربية والعلوم 1985م ص 79 .
(90) موانئ البحر الأحمر التاريخية ، ميناء باضع ، مركز دهلك للدراسات
التاريخية .
(91).الحاج عبد الرحمن حسب الله ، العلاقات بين العرب وشرق السودان
ص65 .

(92)90.Graw ford – p 513

(93) الشامي ،الموانئ السودانية ،ص 72 – 73

(شكل ٢)



موقع كيناء بطلميوس فيرون وميناء بالبع

المراجع والمصادر :

1. المقريزي ، تقي الدين بن احمد (ت 840) ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، تحقيق محمد زينهم ومديحة الشرقاوي ، مكتبة مربوي القاهرة ، مصر 14 جزا ج 2 .
2. ياقوت الحموي ، شهاب الدين عبد الله ، معجم البلدان، ج 1 دار صادر بيروت لبنان 1977 .
3. اليعقوبي ، احمد بن إسحاق، تاريخ اليعقوبي ط2 دار الكتب العلمية بيروت 2004 م .
4. ابن حوقل ،أبو القاسم محمد ، صورة الأرض- بيروت منشورات دار مكتبة الحياة 1992م ج 1 .
5. الحميري ، محمد بن عبد المنعم - الروض المعطار في خير الأقطار تحقيق إحسان عباس ط2 ،مكتبة لبنان بيروت 1984م .
6. ابن بطوطة ، محمد عبد الله ، رحلة ابن بطوطة ، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الإسفار ط2 ، مطبعة الرسالة بيروت لبنان ج 2 ص 49 .
7. المسعودي ، أبو الحسن بن علي الحسين (ن346) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محي الدين ج2 ، مطبعة السعادة مصر 1948م .
8. اليعقوبي ، احمد بن إسحاق،كتاب البلدان طبعة ليدن بمطبعة برييل 1883م .
9. البلاذري ، احمد بن يحيى بن جابر،فتوح البلدان، دار الكتب العالمية القاهرة، 1318هـ
10. الطبري ، ابوجعفر جرير، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق أبو الفضل دار سويدي ، بيروت 1964م
11. ابن خلدون ، ديوان المبتدأ والخبر ، بيروت 1971م .
12. ابن الوردي ،سراج الدين ابن حفص ،خريدة العجائب وفريدة الغرائب الجامع لما هو لطرف الدهر وحوار ولحيد الزمان ، مطبعة مصطفى البابي الحبي وأولاده، القاهرة مصر .
13. المسعودي ، التنبيه والإشراف ، طبعة ليدن ، الهند 1893م .

المراجع :

14. السيد عبد العزيز سالم، البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي ، د.ط مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية مصر 1993م .
15. شوقي عبد القوي ، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية،سلسلة عالم المعرفة العدد 151 الكويت 1990م .
16. محمد عوض ، السودان الشمالي سكانه وقبائله ط2 لجنة الأليف والنشر القاهرة 1956م .

17. صلاح الدين الشامي ،الموانئ السودانية ، دراسة في الجغرافية والتاريخ ،مكتبة مصر ، القاهرة 1961م .،
18. مصطفى مسعد ، الإسلام والنوبة في العصور الوسطى ط1 الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ، مصر .
19. يوسف فضل، العلاقات العربية والثقافية الأفريقية، تونس المنظمة العربية للتربية والعلوم 1985م .
20. احمد السر العراقي ،سواكن في العصر العثماني (1520 - 1923م)مركز التنوير المعرفي سلسلة كتاب الخرطوم الطبعة الأولى 2013م .
21. مصطفى مسعد ،البجة والعرب في العصور الوسطى ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة العدد 21 المجلد الثاني ديسمبر 1959م
22. عمار حامد ، علاقات مصر بالدولة الأفريقية في العصور الوسطى ط1 الدار العربية للكتاب ، القاهرة ، مصر 1996م .
23. الشاطر البصيلي ، معالم تاريخ السودان وادي النيل من القرن العاشر حتى القرن التاسع عشر، مطبعة أبو فاضل مصر 1955م .
24. عوض خليفات ، العرب والنوبة في صدر الإسلام، دراسات تاريخية جامعة دمشق 1982م .
25. الدوريات والمجلات :
26. طه حسين عوض ،دور الموانئ الأفريقية في تسهيل الحج إلى الحجاز في القرن السادس إلى القرن الثامن الهجري ميناء زيلع ، نموذجاً : مجلة العلوم العربية الإسلامية ، جامعة القصيم ديسمبر 2017م .
27. دراج احمد ،عيزاب، مقال نشرت بمجلة نهضة أفريقيا- مجلة شهرية السنة الأولى العددان 9-10
28. محمد صالح ضرار ،تاريخ شرق السودان ممالك البجة قبائلها وتاريخها ، مكتبة التوبة، الرياض الطبعة الأولى ،2012م.
29. سلامة حسن طه -أهمية النشاط التجاري بين جنوب شرق أسيا وساحل شرق أفريقيا- مجلة كلية العلوم الإسلامية- كلية الآداب جامعة صلاح الدين 2007م .
30. طرفان إبراهيم علي ،الإسلام والممالك الإسلامية في الحبشة ،المجلة التاريخية المصرية 1959م .
31. عطية القوصي، تاريخ ميناء باضع في القرون الخمسة الهجرية، مجلة الدراسات الأفريقية ، العدد الحادي عشر ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية ،جامعة القاهرة 1982م

الرسائل الجامعية :

1. أبو بكر - عوض الجليل - تطور علاقات قبائل البجة بالدولة الإسلامية من فتح مصر حتى نهاية دولة المماليك (923هـ / 1517م) رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي غير منشورة قسم التاريخ كلية الدراسات العليا ، جامعة البحر الأحمر 2013 .
2. أبو سيل - علي ادم محمد - قبيلة البجة في شرق السودان من القرن الثاني إلى التاسع الهجري ، دراسة سياسية حضارية رسالة ماجستير غير منشورة ، قسم التاريخ ، كلية الآداب ، جامعة عدن 2000 م .
3. الحاج - عبد الرحمن حسب الله - العلاقات بين العرب وشرق السودان منذ ظهور الاستلام حتى ظهور الفونج (1505) رسالة ماجستير غير منشورة.

المواقع الالكترونية :

1. العرب والقرن الأفريقي جدلية الحوار والانتماء ، مجموعة مؤلفين ، بيروت ، أكتوبر 2013م-<https://stgcenter.org/%D9%83%D8%AA%D8%A8>
2. الجزيرة نت 24/ ربيع ثاني / 1441هـ - العدد 1725 - 21/12/2019 م .
3. عمر عبده رازي - العلاقات الاريترية العربية ، قراءة تاريخية ورؤية مستقبلية، مركز دراسات القرن الأفريقي مايو 2011م <https://stgcenter.org/%D9%83%D8%AA%D8%A8->
4. <https://www.alrakoba.net/author/user885> سليمان صالح ضرار ، ، هجرة الحبشة ، صحيفة الراكوبة ، ابريل ، 2015م
5. مركز دهلك للدراسات التاريخية <https://www.facebook.com/dahlak4>
6. أحمد اليأس، العلاقات المبكرة للمسلمين عبر مينائي دهلك وباضع أكتوبر 2018م hmed.elyas@gmail.com
7. محمد سليمان ضرار - هجرة الحبشة والدور التاريخي لشرق السودان الاثنين 22 نوفمبر 2010م <https://habab.banouta.net/t738-topic>
8. عبده حمد - موانئ البحر الأحمر التاريخية - مدونة التاريخ والتراث 10 نوفمبر 2018م <https://www.facebook.com/frataiy2>

المراجع الانجليزية :

1. Graford ، O . G .S . The stone tom bus of the Sudan .Kush .W . S 1954 . P 80 .
2. lossj .F .E . The story of suakins .S .N .P .xlx .part .1936 .

علاقة العرب ببلاد البجة وأثرها الحضاري في صدر الإسلام

أ.د. نصر الدين جار النبي سليمان

المستخلص

نأتي أهمية البحث في أنه يطرق باب أهم علاقة بين شعبين متجاورين الا وهما العرب والبجة وذلك من قديم الزمان وحتى صدر الإسلام، ويهدف البحث إلى إبراز المعابر التي سلكها العرب في أثناء هجرتهم، إضافة إلى المعاهدات التي أبرمت بين العرب والبجة حيث نتج عنها هجرات عربية في نطاق واسع صوب بلاد البجة، كما يهدف إلى تناول حملة العمري وكيفية وصوله إلى بلاد البجة. توصلت الدراسة إلى عدة نتائج من أهمها أن القبائل العربية التي هاجرت إلى بلاد البجة كان لها دور حضاري واضح في أوساط المجتمع البجاوي كذلك أن هذه القبائل أثرت وتأثرت بالمجتمع ونتج من ذلك عنصراً بشرياً مشبعاً بالثقافتين يقطن بلاد البجة ومنصهراً في مجتمعها.

ABSTRACT

The importance of the research comes in that it touches on the field of the most important relationship between two neighboring peoples, that they are Arabs and Beja, from ancient times until the beginning of Islam. A wide range towards Beja, and the Omari campaign can also benefit from its arrival in Beja. The study reached several results, the most important of which is that the Arab tribes that migrated to the Land of Beja had a clear civilized role in the community of Beja, as well as that these tribes influenced and were affected by society, and as a result a human beings saturated with the intelligentsia residing in the Beja country and fused into society.

مقدمة:

جغرافية بلاد البجة:

استوطن البجة شرق السودان في الأرض من أسوان جنوباً إلى الأطراف الشمالية لهضبة الحبشة ومن البحر الأحمر في الشرق إلى النيل ونهر أتبرا في الغرب⁽¹⁾. والإدريسي يقول عن بلاد البجة: ((إنها تجاور أرض الحبشة من جهة الشمال، وهي بين الحبشة والنوبة وأرض الصعيد))⁽²⁾.

تختلف مظاهر التضاريس في بلاد البجة من مكان لآخر، حيث تتخللها سلاسل جبلية ممتدة من الجنوب إلى الشمال موازية وملاصقة أحياناً للبحر الأحمر، ولا تترك بينها وبين البحر سوى شريط ساحلي ضيق على طول امتدادها، هذا الشريط الساحلي يضيق كلما اتجه جنوباً، أي أنه في الأجزاء المتصلة بمصر أوسع من الأجزاء الجنوبية، وتتباين ارتفاعات هذه الجبال من منطقة إلى أخرى، وقد تتخلل هذه السلاسل الجبلية بعض الوديان الخصبة، مثل وادي العلاقي في الشمال، وخور بركة في الجنوب، فضلاً عن بعض الوديان الأخرى المتناثرة على طول الصحراء⁽³⁾.

واختلاف التضاريس من أكبر العوامل التي أثرت في حياة البجة السياسية والاقتصادية والاجتماعية فإنهم أهل بادية غير مستقرين، تنتشر بينهم روح القبالية ويعتمدون في حياتهم على الرعي، والبجة شعب ذو نزعة حربية، فهم لا يقلون عن سكان المنطقة النيلية في المهارة الحربية ويتسابقون بالخيول ويقاتلون عليها، كما أنهم يجيدون القتال على الإبل التي يدرّبونها على فن القتال وكانوا بارعين في استخدام الحراب وكانوا يستخدمون نوعاً من الحراب تسمى السباعية⁽⁴⁾.

أما عن نسبهم فقد اعتبرهم بعض مؤرخي العصور الوسطى جزءاً من النوبة أو فرع آخر من النوبيين⁽⁵⁾، لكن البجة بحكم بيئتهم وانقطاعهم عن طرق المهاجرة أصفى بشرة من النوبة⁽⁶⁾، على حين أن بقية البجة من الهدندوة وبنو عامر والأمراء والبشاريين، تسربت إليهم دماء عربية، نتيجة التزاوج والاختلاط بالعناصر العربية التي دخلت بلادهم من الشمال عن طريق مصر، مما كان له أثر واضح في تعديل صفاتهم الجسمانية، مع تمسكهم بعاداتهم وتقاليدهم ولغتهم التبدائية، وتقع في أوطان البجة أهم الموانئ الإفريقية على البحر الأحمر مثل عيذاب وسواكن ودهلك وباضع. كما تقع في أوطانهم معظم المعادن أيضاً⁽⁷⁾.

علاقة العرب ببلاد البجة قبل الاسلام :

تعتبر شبة الجزيرة العربية أقرب الأماكن لبلاد البجة لذلك هاجرت إليها قبائل عربية كثيرة من أقدم العصور حيث وصلت بعض الهجرات العربية إلى منطقة شرق إفريقيا وادي النيل وشمال إفريقيا، فقد بلغت هجرات العرب مداها في تلك المناطق في عهد مملكتي معين وسبأ قبل الميلاد بسبعة قرون، وكذلك نشطت حركة التجارة بين العرب وشرق إفريقيا وتوالت هجراتهم في عهد الدولة الحميرية نحو بلاد البجة وماجاورها⁽⁸⁾.

ولقد سلكت القبائل العربية في طريقها إلى بلاد البجة عدة معابر ومن أبرزها معبر البحر الأحمر والذي لم يكن عائقاً أمام الاتصال بين الجزيرة العربية وبلاد البجة، ومن هنا كان للبحر الأحمر دور مهم في الربط بين قارتي آسيا وإفريقيا ذلك لأنه لم يكن منطقة عازلة بين القارتين، بل كان دائماً حلقة وصل قوية منذ وجود الإنسان على ظهر الأرض، وكان إقليم الحجاز على صلة قوية بالشاطئ الإفريقي الغربي والذي يضم في طياته بلاد البجة⁽⁹⁾.

أما المعبر الثاني لبلاد البجة فهو باب المنذب لقد كان هذا المعبر يمثل مصدر تيار هجرة بشرية منذ أقدم العصور حيث انتشر سكان الجزء الجنوب الغربي لجزيرة العرب على السواحل الشرقية لإفريقيا بما فيها بلاد البجة وكونوا مراكز تجارية في مناطق متفرقة نتيجة لذلك تكونت مراكز حضارية عربية ظلت لفترة طويلة على صلة بالوطن الأم وبمرور الزمن اختلط العرب بالوطنيين الأصليين، وتشير بعض الروايات إلى قيام الحميريين بحملات عسكرية في وادي النيل الأوسط وشمال إفريقيا وأن هذه الحملات تركت جماعات عربية استقرت في بلاد النوبة وأراضي البجة وشمال إفريقيا⁽¹⁰⁾.

أما المعبر الثالث فهو برزخ السويس وشبه جزيرة سيناء، فقد كان هذا الطريق معبراً أساسياً يربط قارة آسيا بإفريقيا في جميع العصور والأزمنة الطويلة، بل هو من أهم المعابر التي عبرتها الهجرات العربية إلى إفريقيا وصولاً إلى مصر وشرق السودان ومنها إلى بقية أجزاء القارة الإفريقية، لذلك لعب هذا المعبر الدور العظيم في هجرات القبائل العربية الساكنة شمال جزيرة العرب إذ يعتبر المعبر البري الوحيد الذي يربط بين شطري الوطن العربي في آسيا وإفريقيا ومن هذا المعبر عبرت القبائل العربية مصر وسودان وادي النيل بما فيه بلاد البجة⁽¹¹⁾.

خلاصة القول أن العلاقة بين العرب وبلاد البجة علاقة متجذرة وموغلة في القدم وسابقة للإسلام بأزمان بعيدة، هذه العلاقة كانت وما زالت متميزة لعدة أسباب أهمها القرب الجغرافي وسهولة الحركة بواسطة البحر الأحمر والذي يمثل حلقة الوصل بين العرب وبلاد البجة.

بداية علاقة العرب ببلاد البجة في العصر الإسلامي :

إن تاريخ البجة في بداية العصر الإسلامي وخاصة منذ الفتح العربي لمصر يكتنفه الغموض، فأول إشارة وردت عند الواقدي الذي يذكر أنه لما حاصر عمرو بن العاص مدينة بلبيس، وكانت بها أرمانوسة ابنة المقوقس، الحاكم البيزنطي في مصر أشار ذو الرأي في مصر وقتذاك على المقوقس أن يرسل نجدة بيزنطية إلى مدينة بلبيس لإنقاذ ابنته، ثم يطلب مساعدة ملك البجة وملك النوبة وملك البربر لحرب العرب وطردهم من مصر⁽¹²⁾.

ويبدو عدم أهتمام العرب الفاتحين بقبائل البجة في بادئ الأمر ناتج عدم ورود نص عنها في عهد الصلح الذي عقده عبدالله بن سعد مع النوبة (31هـ / 652م) وربما كان مرجع ذلك ما ذكره ابن عبدالحكم إذ قال: ((فتجمع له من انصرافه على شاطئ النيل البجة، فسأل عنهم فأخبر بمكانهم فهان عليه أمرهم فنفض وتركهم، ولم يكن لهم عقد ولا صلح، وأول من صالحهم عبدالله بن الحباب))⁽¹³⁾، وربما استقر في نفوس العرب، في المرحلة الأولى من مراحل التوسع الإسلامي، من أن ديار البجة ليست بدار حرب⁽¹⁴⁾، شأنها في ذلك شأن بلاد الحبشة المتاخمة لبلادهم من المسلمين الذين هاجروا إليها زمن الرسول صلى الله عليه وسلم⁽¹⁵⁾.

لم يكثرث العرب في بادئ أمرهم بأمر البجة لكن لم يكن هذا الأمر في مصلحة العرب فبعد فترة من الزمن لم تتجاوز ثلاثة وسبعين عاماً وجد البجة أنفسهم من الكفاءة، ما دفعهم إلى القيام بغارة علي مصر (107هـ / 725م) وعندئذ تنبه العرب في مصر إلى خطورتهم، فأرسلوا حملة بقيادة عبدالله بن الحباب الذي عقد معهم أول معاهدة ظلت قائمة زهاء قرن من الزمان وقد نصت هذه المعاهدة، علي أن تدفع البجة للعرب ثلاثمائة من الإبل البكر كل عام، وإذا ما نزلوا ريف مصر، أن ينزلوا تجاراً مقيمين، وألا يقتلوا مسلماً ولا ذمياً عن نزل بلادهم، وألا يأووا عبيد المسلمين، وأن يردوا من يقع في أيديهم من هؤلاء العبيد، وعلي أن يبقي وكيلهم بريف مصر رهينة في أيدي المسلمين⁽¹⁶⁾.

غير أنه لم يكد يمضي قرن علي هذه المعاهدة حتى عاد البجة إلى شن الغارات من جديد علي أسوان وكثير ايداؤهم للمسلمين فرفع ولاة الأمر في أسوان خبرهم إلى المأمون العباسي، فجرد عليهم حملة بقيادة عبدالله بن الجهم، الذي عقد مع كبيرهم كنون بن عبدالعزيز معاهدة تختلف كثيراً في نصوصها عن معاهدة البقط التي عقدت مع النوبة⁽¹⁷⁾.

أكدت معاهدة ابن الجهم مع كنون بن عبدالعزيز ضعف البجة بدليل

أنها تضمنت شروطاً قاسية بالنسبة للبيعة من أهمها :

أولاً : أن تكون بلاد البيعة من حد أسوان إلى حد ما بين دهلح (مصوع) وباضع (جزيرة الريح) ملكاً للخليفة، وأن كنون بن عبدالعزيز، وأهل بلده عبيداً لأمر المؤمنين على أن يبقى كنون ملكاً عليهم⁽¹⁸⁾.

ثانياً : أن يؤدي ملك البيعة الخراج كل عام مائة من الأبل أو ثلاثمائة دينار لبيت المال.

ثالثاً : أن يحترم البيعة الإسلام ولا يذكره بسوء، وألا يقتلوا مسلماً أو ذمياً حراً أو عبداً في أرض البيعة أو في مصر أو النوبة وألا يعينوا أحداً على المسلمين .

رابعاً : إذا دخل أحد المسلمين في بلادهم للتجارة أو الإقامة أو مجتازاً للحج، فهو آمن لآخر حد لهم.

خامساً : إذا دخل البيعة صعيد مصر مجتازين أو تجاراً لا يظهرون سلاحاً ولا يدخلون المدائن والقرى.

سادساً : ألا يهدموا شيئاً من المساجد التي أبتناها المسلمون.

سابعاً : وعلى كنون بن عبدالعزيز أن يدخل عمال أمير المؤمنين بلاد البيعة لقبض صدقات من أسلم من البيعة⁽¹⁹⁾.

ويتضح مما سبق ذكره أن بلاد البيعة أصبحت جزءاً لا يتجزأ من الدولة الإسلامية وتطبق عليها شروط البلاد التي فتحت عنوة، بدليل فرض الخراج، ثم أن شرط عدم التعرض للمسلمين بأذى سواء في بلاد البيعة أو النوبة، فضلاً عن شرط حفظ المساجد القائمة في بلاد البيعة وجمع الصدقات عن من أسلم وهذا دليل على أن الإسلام انتشر في تلك البلاد.

هذه المعاهدة لم تضع حداً للفتن في بلاد البيعة فامتنعوا عن دفع الخراج كما جاء في بعض المعاهدة وقاموا بثورة عارمة، وقتلوا عدداً كبيراً من المسلمين العاملين بأرض المعدن ولم يكتفوا بذلك، بل أغاروا على صعيد مصر فأعد عبسة بن اسحاق والي مصر من قبل الخليفة العباسي المتوكل حملة بقيادة محمد بن عبدالله القمي عام (241 هـ / 854 م) وسار إليهم في سبعة آلاف مقاتل، وهناك في أرض المعدن انضم إليهم العرب من ربيعة ومضر وغيرهم، كما وافته المراكب بالمؤن عن طريق البحر الأحمر ومن ثم تقدم محمد بن عبدالله صوب بلاد البيعة ويشير ابن تغري بردي إلى مدى الاستعدادات العسكرية لدى الطرفين فيقول : ((وحد محمد من مدينة قوص مقتحماً تلك البراري الموحشة، وقد تكامل معه من العسكر سبعة آلاف مقاتل

غير الاتباع، وسار حتى تعدى حفائر الزمرد وأوغل في بلاد القوم حتى قارب مدينة دنقلة، وشاع خبر قدومه إلى أقصى بلاد السودان، فنهض ملكهم، وكان يقال له علي بابا إلى محاربة العسكر الواصل مع محمد المذكور، ومعه من تلك الطوائف أمم لا تحصى، غير أنهم عراة بغير ثياب، وأكثر سلاحهم الحراب والمزاريق ((⁽²⁰⁾).

أما القوة العربية الزاحفة على أرض البجة والتي تسلحت بكل فنون الحرب من استخدام الفرسان والعديد من آلات الحرب، حاول خلالها ملك البجة أن يستخدم الخديعة بدلاً من الهجوم المباشر وفي ذلك يشير ابن تغري إلى أسلوب المراوغة من قبل البجة يقول: ((فعندما قاربوا العساكر الإسلامية وشاهدوا ما هم عليه من التجميل والخيول والعدد، وآلات الحرب، ولم يقدرُوا على محاربتهم، عزموا علي مطاولتهم حتى تفنى أزوادهم وتضعف خيولهم ويتمكنوا منهم كيفما أرادوا...)).

فلما نظر محمد إلى السودان التي أقبلت عليه، انتزع جميع ما كان في قارب جمال عساكره من الأجراس فعلقها في أعناق خيوله، وأمر أصحابه بتحريك الطبول ونفخ الأبواق ساعة الحملة⁽²¹⁾ فلما سمعت إبل البجة أصوات هذه الأجراس، فرت أمام المسلمين، فانهزم البجة، وطلب ملكهم الصلح فقبل محمد بن عبدالله ذلك بشرط أن يطأ هذا الملك بسلط الخليفة العباسي في سامراء، وتم له ما أراد، فقد أرسل الملك البجاوي ابنه نائباً عنه، كما قرر محمد بن عبدالله عليه الخراج الآجل مع العاجل، وأن يعمل المسلمون بالمعادن كما كان من قبل⁽²²⁾.

وفي ظل هذا الحراك المستمر بين العرب والبجة استغلّت بعض القبائل العربية هذا الظرف فطاب لها المقام في أرض البجة واستقرت واختلطت بالوطنيّين وتصارهت معهم وبالتالي قامت بنشر حضارتها في بلاد البجة ومن أبرز مظاهرها الإسلام والثقافة العربية .

حملة العمري علي بلاد البجة وأثرها الحضاري:

يعتبر العمري من أشهر الشخصيات في الدولة الطولونية من العرب وهو حفيد الخليفة عمر بن الخطاب واسمه أبو عبدالرحمن (عبدالله بن عبد الحميد بن عبدالعزيز بن عبدالله بن عمر بن الخطاب) وكانت حياة العمري حافلة بالأحداث منذ قدومه إلى صعيد مصر وأراضي النوبة والبجة. ولد في المدينة وأخذ العلم من رجالها بالإضافة إلى تفقّحه في علوم الدين، فقد كان ذا معرفة بالنجوم والفلسفة، كما أنه خرج من المدينة في أسفار له حتى وصل القيروان واتصل بإبراهيم بن الأغلب ومدحه فوصله إبراهيم بألف دينار ومن

هناك ذهب إلى مصر في فترة حكم أحمد بن طولون⁽²³⁾. أعلن أحمد بن طولون عن إعداد حملة حربية إلى بلاد النوبة وأرض البجة بقيادة العمري فاشترك فيها كثير من العرب معظمهم من ربيعة وجهينة وبهذا تبدأ مرحلة جديدة من مراحل انتشار الثقافة الإسلامية إلى ما وراء حدود مصر الجنوبية فجاءت الفرصة سانحة للعمري عندما قام البجة بهجوم مفاجئ علي أهالي الصعيد حتي مدينة قوص وهم يؤدون صلاة العيد حيث كانت تلك الغارة المفاجئة بقيادة رجل بجاوي أعور وانزلوا بالمسلمين والمصلين مقتلاً فظيماً تسبب في حنائر فادحة حيث نهبوا كل ما استطاعوا نهبه من الأملاك والمتاع ثم عادوا أدراجهم إلى بلادهم من حيث قدموا، ومن هنا فقد أثارت هذه الفعلة الشنيعة بالمسلمين وهم يؤدون صلاة العيد الأمر الذي جعل العمري يتحول إلى مجاهد وداعية إسلامي يستخدم السلاح للصد عن ديار الإسلام وحماية المسلمين الذين قتلوا أو أسروا في تلك الغارة المفاجئة⁽²⁴⁾.

سير العمري حملة علي البجة واستطاع أن ينزل أراضيهم ويقتل زعيمهم ومن ثم استقر في أرض البجة وكان العرب المقيمون في تلك النواحي قد اشتغلوا باستخراج الذهب وكانوا يشترتون الرقيق من النوبة أو من النوبيين الذين سبق أن وقعوا أسرى في يد المسلمين بمصر وصعيدها، وكان يؤخذ هؤلاء إلى أرض المعدن لاستخراج الذهب، فاشترى عدداً من هؤلاء الرقيق من أسوان، وقد ساعده في ذلك علمه الذي هياً له مكانة خاصة بين علماء أسوان من المسلمين وكبار رجالها الذين جارا هم في العلم وتعرف بهم. ولما كانت أرض البجة ملتقى لكل القبائل العربية كان الخلاف على أشده بين مضر وربيعة فتدخل العمري ونصب نفسه قاضياً لإزالة هذا الخلاف إلا أن ربيعة لم ترض بحكمه فحاربها وانتصر عليها⁽²⁵⁾.

غير أن بعض القبائل العربية القادمة من الشام مثل سعد العشيرة وقيس عيلان خرجت علي العمري، بعد أن حصلوا من النوبيين علي حق الإقامة الدائمة في منطقة مريس، فانهزم العمري وانسحب بقواته شمالاً ومن ثم توسع شرقاً حتى عيذاب وشمالاً إلى أسوان، ويبدو أن العمري كان يهدف إلى إقامة إمارة إسلامية تحت زعامته في هذه المنطقة، بدليل أن ابن طولون شك في نوايا العمري نحوه وخشي أزياد نفوذه في هذه البلاد فيطمع في مصر. فأرسل ابن طولون جيشاً لمحاربة العمري بقيادة صباح بن حركام، غير أن العمري تغلب عليه وهزمه، ومن بعد ذلك قتل العمري علي يد أحد أفراد قبيلة مضر⁽²⁶⁾.

بعد هذه الأحداث في بلاد البجة استوطنت كثير من القبائل العربية في هذه المناطق وتصاهرت مع البجة ويشير المسعودي الذي زار مصر بعد حملة العمري بقرابة سبعين سنة فقط، يتحدث عن الأثر الواضح لهذه الجماعات العربية الإسلامية في نشر الثقافة الإسلامية في إقليم البجة وبلاد النوبة. ويبدو من رواية المسعودي أن الإسلام ظهر وانتشر بحضارته بعد أن سكن جماعة من المسلمين أرض البجة وتزوجوا بناتهم، فاشتد ساعد البجة على من ناوهم من النوبيين وغيرهم، كما اشتد ساعد ربيعة بالبجة على من خالفها من العرب، وتحالفت ربيعة مع البجة، وكان أميرهم زمن المسعودي أبا مروان بشر بن اسحق الذي بلغ عدد جيشه ثلاثة آلاف فارس من ربيعة وأحلافها من العرب وثلاثين ألف حراب على الإيل من الحداربة وهم المسلمون من سائر البجة⁽²⁷⁾.

والراجح أن جماعة من عرب ربيعة نجحوا في وضع أساس أول إمارة عربية إسلامية بالعلاقي بعدد أن استمالوا إليهم البجة وجماعات عربية من قبيلتي مضر وتميم فخضع لهم الجميع ويقول المقرئزي ((واستولوا علي معدن الذهب العلاقي فكثرت أموالهم وصارت لهم مرافق ببلاد البجة واختطوا قرية تعرف بالنماس وحفروا بها آباراً⁽²⁸⁾) ويتحدث المسعودي عن وصول الإسلام جنوباً مصحوباً بحضارته إلى جزيرة سواكن حيث تسكن جماعة من البجة اعتنقت الإسلام وتعرف باسم الخاصة⁽²⁹⁾.

هكذا كانت الحملات العربية المتكررة علي أوطان البجة والنوبة فاتحة عهداً جديداً لانتشار الإسلام وحضارته في تلك البلاد، خاصة أن العرب المسلمين قد وضعوا الأصول الأولى للعلاقات مع بلاد النوبة وذلك بداية مع معاهدة البقط التي ظلت سارية لمدة ستة قرون، ثم اتفاقية ابن الجهم مع كنون بن عبدالعزيز وأخيراً حملة العمري التي كانت بمثابة فتح أبواب النوبة وأرض البجة علي مصراعيها أمام القبائل العربية الضاربة في مصر، بعد أن أصبح ولاتها من الأتراك منذ العصر الطولوني، إذ لم يكد تمضي سنوات قليلة حتى وفرت جماعات عربية معظمها من قبيلتي ربيعة وجهينة إلى أرض المعدن لتضم إلى ما سبققتها من القبائل العربية في أعقاب كل حملة من الحملات، ووضعت نواة أول إمارة عربية إسلامية بزعامة ربيعة عرفت فيما بعد باسم إمارة بني كنز بعد انتقال مركزها إلى أسوان في العصر الفاطمي، وهي ما فشل فيه العمري من قبل⁽³⁰⁾.

إن هجرت القبائل العربية إلى بلاد البجة خلال هذه الحملات كان لها أثر حضاري عظيم، وذلك نتيجة للتصاهر والاندماج في أوساط المجتمع

البجاوي الأمر الذي أدى إلى إحداث تغيير في العادات والتقاليد والمعتقدات، فالإسلام وثقافته أصبح المعلم الواضح في بلاد البجة، والدماء العربية سادت في الساحل الغربي للبحر الأحمر . ومنه توغلت إلى بقية أجزاء السودان، لذلك ظهر عنصر عربي متفرد يحمل الصفات والملامح العربية الإفريقية .

دور القبائل العربية في إثراء الحضارة البجاوية :

تعتبر قبيلة بلي من أوائل القبائل العربية التي هاجرت إلى شرق السودان وهي قبيلة كثيرة العدد وافرة القوة، إذ انها إستطاعت أن تثبت أقدامها في أجزاء كبيرة من الحجاز ثم سارت شمالاً إلى أراضي فلسطين حيث أقامت جماعات منها ثم انحدرت بعض هذه الجماعات وغيرها عبر سيناء جنوباً إلى شواطئ البحر الأحمر السودانية حيث كانت تسكن قبائل البجة، واختلطت بها شيئاً فشيئاً . ثم تتابعت أفواجها من الحجاز واليمن وعبرت البحر الأحمر عند باب المنذب ومن المراسي القريبة من جدة إلى الشواطئ السودانية حتي غطت جميع اقليم البجة من عيذاب شمالاً إلى مصوع ودهلك جنوباً حيث موطن القبائل البجاوية (31) .

أرخت قبائل البجة لهذه الهجرة باستعمال كلمة «بلويت وبلوييت» لهذه الأمة العربية التي نزلت في أراضيها . فالبلويت في لغة البجة هم البلويون الذين نزحوا إلى أراضيهم والبلوييت هي اللغة العربية التي كان يتكلم بها أبناء قبيلة بلي، وكانوا هم أول من تحدث باللغة العربية في إفريقيا (32) .

وعندما استقر البلويون في بلاد البجة أخذوا في مصاهرة زعماء البجة، وكان زعماء هذه القبيلة يتطلعون إلى نزع السيادة من البجة علي سائر شعوبهم وتقلد تلك الرئاسة وقد استغلوا ذلك النظام البجاوي الذي يجعل زعامة القبائل والممالك آنذاك في يد ابن البنت أو الأخت، ومن ثم فقد ورث أبناء زعماء بلي الذين كانت أمهاتهم من بنات زعماء البجة الملك والزعامات القبلية عن طريق هذا النظام (33) وبناء علي ذلك مالبث أن انتشر زعماء بلي الهجاء في سائر ممالك البجة وأطلق عليهم فيما بعد الحدارب ومفردها جذربي وأصبح لهؤلاء الحدارب مكانة خاصة لدي البجة لانهم من عنصر عربي عظيم، ومن أمهات بجاويات أميرات من البيت المالك البجاوي وجمع هذا المعشر نخوة العربي وجسارة البجاوي . (34)

فرض البلويون سيطرتهم علي القبائل الناطقة باللغة الهندوية مثل الهندوة والأمرار والبشاريين فترة طويلة من الزمن إلى حيث هاجمهم عامر بن نابت الجعلي وانتصر عليهم وأسس دولة جديدة بزعامة قبائل بني عامر، أما اسم بني عامر فقد ورد سببان في إطلاق هذا الاسم علي هذه القبائل أما الأول

فهو أنهم عرفوا بهذا الاسم لأنهم من أبناء عامر بن كنو ويرجع أصلهم إلى اليمن . أما النفيّر الثاني فيرجع إلى عامر الجعلي الذي كان والده قد تزوج بابنه بانية ملك البلو الحاكم علي قبائل بني عامر⁽³⁵⁾ .

من بين القبائل العربية التي نزحت إلى السودان قبيلة هوازن العربية وكانت هذه القبيلة تسكن الحجاز ومن ثم عبرت البحر الأحمر إلى عيذاب في وقت مبكر من العصر الاسلامي ولم تتجه بعد ذلك إلى أسوان أو مصر كما فعلت كثير من القبائل العربية الأخرى في نهاية القرن الأول الهجري، بل أنها توغلت في أرض البجة من عيذاب إلى جهات سواكن التي لم يكن لها شأن يذكر آنذاك ثم سارت جنوباً بحزاء ساحل البحر الأحمر حتي وصلت مصوع ومن هناك إلى الحبشة⁽³⁶⁾ ولم يطب لها المقام فيها ثم عادت إلى أرض البجة وكانوا رجال هوازن يركبون الخيل ويحملون السياط ليجعلوا صيادهم تزيد من عدوها، ولان حمل السوط مع ركوب الصافنات يزيد من هيبة الفارس ويشعره بالخيلاء فاصبحت عادة ملازمه لفرسان القبيلة وكان الاحباش يسمون السوط «حلقنا» ومن ثم أطلقوا هذا الاسم على فرسان هوازن وشيئاً فشيئاً تلاشي اسم هوازن وحل محله «حلقنة» أو الحلقنا⁽³⁷⁾ .

سكنت قبيلة الحلقنة إقليم التاكا مع كل من بني عامر والهندودة واخذت في الأختلاط بهؤلاء البجة الذين كانوا يتكلمون باللغة التبادوية (الهندنوية) وعن طريق المصاهرة والتجارة والتعامل اليومي تلاشت اللغة العربية وأصبحت قبيلة الحلقنة تحتل موقع إحدى ممالك البجة الخمس وتعيش بأسلوبهم البجاوي⁽³⁸⁾ .

ومن بين القبائل العربية التي هاجرت إلى السودان، وأقامت في أراضيه منذ أن انتشر الإسلام في تلك الديار قبيلة باصغار الحضرمية وكانت هذه الأسرة الحضرمية فرعاً من آل أبي قشير، يسكنون في أسفل حضرموت ثم هاجروا إلى بلاد البجة وبدأوا في مصاهرة زعماء البجة حتي يأمنوا علي انفسهم وأموالهم وأخذوا يمارسون تجارتهم بهمه ونشاط فلما استقر بهم المقام في سواكن وما حولها أظهروا شمائلهم التي عرفوا بها والتي كانت تتمثل في الصدق والأمانة وحسن المعاملة بالإضافة إلى الابتعاد عن كل ما يمكن أن يسيء اليهم من قريب أو بعيد الأمر الذي أدى إلى احترامهم وتقديرهم من قبل البجة حيث أطلقوا عليهم لفظة «أرتيقة» وهي كلمة تحمل معني الزعامة والنبيل والشرف والسيادة كما أنها كلمة لا تطلق إلا علي أبناء هذه القبيلة، ومن ثم فقد أصبح كل الحضارم من آل صغار «أرتيقة»⁽³⁹⁾ .

وعن الأرتيقة يقول محمد صالح ضرار «الأرتيقة» هي القبيلة الوحيدة

الموفقة في الصلح بين المتخاصمين في شرق السودان ... وهم مستعدون لبذل أموالهم في سبيل إرضاء المتخاصمين، ولو كانوا من قبيلتين مختلفتين، ويعترف لهم كل من له معرفة أو المهام بعادات أهل هذا الاقليم وأصعب المشكلات والقضايا هي تقدير لجروح ... وأن الأرتيقة نعم الاصدقاء في الشدائد والملمات لا يتوانون بذل توالهم ودمائهم في سبيل إنقاذ صديقهم بهما كلفيهم الأمر ... وكل مدينة صغيرة وكبيرة يتخذونها محلاً لإقامتهم يصاهرون رئيسها ولذلك نجدهم يأمنون جانب الخصوم والأعداء .⁽⁴⁰⁾

يتضح مما سبق ذكره أن قبيلة الأرتيقة عاشت في بلاد البجة بكل أريحية وانسجام مع المجتمع البجاوي حيث أخذت معها كل تراثها وحضارتها ونشرته في بلاد البجة الأمر الذي جعل سكان بلاد البجة ينظرون إليها نظرة تقدير وأحترام لذلك كان أثرهم علي عظيم علي القبائل البجاوية في كل مناحي الحياة .

خاتمة

يتضح مما سبق أن العلاقة بين العرب وبلاد البجة أفرزت عدة نتائج أبرزها وأهمها :

أولاً : أن الغرب الجغرافي كان له أثر واضح في الهجرات العربية إلى بلاد

البجة وذلك منذ أزمان بعيدة، هذه الهجرات زادت في صدر الإسلام بصورة كبيرة وذلك لأن الإسلام يدعو إلى الانفتاح علي الشعوب إضافة إلى أن الإسلام دين صالح لكل زمان ومكان .

ثانياً : أن العرب استهدفوا بلاد البجة بعدة طرق ومعايير أهمها طريق

مصر، هذا الطريق دخلت عن طريه كثير من القبائل العربية في شكل هجرات بأغراض متعددة إضافة إلى ذلك دخلت به قبائل مصاحبة للحملات المتجهة إلى بلاد البجة ومن أشهرها حملة العمري والتي كان لها أثر حضاري عظيم في بلاد البجة .

أن القبائل العربية التي هاجرت إلى بلاد البجة تركت أثراً حضارياً في جميع مناحي الحياة إضافة إلى ذلك تأثرت هي نفسها بحضارة القبائل البجاوية وأفرزت عنصراً بشرياً مختلفاً كان له إسهاماً واضحاً في المجتمع .

رابعاً : لعبت القبائل العربية دوراً فعالاً في نشر الإسلام وثقافته في أرض البجة وذلك نتيجة للامتزاج والتصاهر الذي تم بين القبائل العربية المهاجرة والسكان المحليين من البجة .

خامساً : تعتبر الاتفاقية التي أبرمت بين عبدالله بن الجهم وملك البجة كنون بن عبدالعزيز حافزاً قوياً جداً لهجرة القبائل العربية المسلمة لأرض البجة، وذلك لأن الاتفاقية تحفظ حقوق المسلمين وغير المسلمين، وتلزم البجة بحسن التعامل مع المهاجرين، لذلك دخلت أرض البجة أعداداً كبيرة من القبائل العربية واستقرت فيها.

توصي الدراسة بإلقاء الضوء على بلاد البجة وخاصةً النواحي الحضارية لأنها في غاية الأهمية وذلك لأن بلاد البجة على وجه العموم محط أنظار كل من قدم عليها قديماً أو حديثاً، وعرف إمكاناتها الاقتصادية المتمثلة في المعادن الثمينة في داخل الأرض وخارجها، كذلك تعتبر بلاد البجة زاخرة بالتراث البشري الذي يحتاج للبحث والتنقيب وإخراجه للناس بثوب قشيب.

المصادر والمراجع

- (1) محمد عوض محمد، السودان الشمالي، سكانه وقبائله، مصر 1951م ص 23.
- (2) الادريسي محمد بن محمد، صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ط ليدن 1864م ص 26.
- (3) محمود محمد علي، أسوان في العصور الوسطى، رسالة ماجستير - جامعة القاهرة ص 40.
- (4) المقرئزي تقي الدين احمد بن علي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ج1 بولاق 1270م ص 194.
- (5) ابن جبير أبو الحسن محمد، تذكرة بالآخبار عن اتفاقات الاسفار، ليدن 1907م ص 69، بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة ج4، جامعة القاهرة ورقة 181 أ.
- (6) محمد عوض محمد، السودان الشمالي ص 22.
- (7) المسعودي أبو الحسن بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر ج1 القاهرة 1905م ص 447.
- (8) عبدالفتاح مقلد الغنيمي، الاسلام والعروبة في السودان ، القاهرة العربي للنشر 1986م ص 15.
- (9) المرجع نفسه ص 19.
- (10) ضرار صالح ضرار، هجرة القبائل العربية إلى وادي النيل مصر والسودان الرياض ، مكتبة النوبة 2001م ص 62.
- (11) عبدالفتاح مقلد الغنيمي، مرجع سابق ص 17 - 18.
- (12) الواقدي، فتوح مصر والاسكندرية، القاهرة، ص 27.
- (13) ابن عبدالحكم ابوالقاسم عبدالرحمن القرشي، كتاب فتوح مصر وأخبارها، ليدن 1920 م ص 189 .
- (14) ابن حوقل ابوالقاسم بن حوقل، كتاب صورة الارض، نشر كرامز، ليدن 1938م ص 56.
- (15) مصطفى محمد مسعد، البجة والعرب في العصور الوسطى، مجلة آداب القاهرة 1973م ص 24.
- (16) ابن عبدالحكم، مصدر سابق ص 189 .
- (17) المقرئزي، الخطط ج1 ص 195 - 196.

- (18) المصدر نفسه ج1 ص 195.
- (19) المصدر نفسه والجزء والصفحة، ومصطفى محمد مسعد، الإسلام والنوبة في العصور الوسطى، الهيئة المصرية العامة 2011م ص 119 - 120 .
- (20) ابن تغري بردي أبوالمحسن يوسف، النجوم الزاهرة في تاريخ ملوك مصر والقاهرة ج2، القاهرة 1930م ص 297 - 298.
- (21) المصدر نفسه والجزء ص 297 - 298 .
- (22) مصطفى محمد مسعد، مرجع سابق ص 123.
- (23) ضرار صالح ضرار، مرجع سابق ص 118.
- (24) عبدالفتاح مقلد الغنيمي، مرجع سابق ص 120 - 121.
- (25) ضرار صالح ضرار ، المرجع السابق ص 119 - 120.
- (26) المقرئزي، المفقى مخطوطة مصورة بدار الكتب المصرية رقم 5372، ص 166 - 168.
- (27) مصطفى محمد مسعد، مرجع سابق ص 126 .
- (28) المقرئزي، البيان والأعراب عما بأرض مصر من الأعراب، مصر 1916م ص 48.
- (29) المقرئزي، الخطط ج1 ص 197 ، نقلاً من المسعودي .
- (30) المقرئزي، البيان والاعراب بأرض مصر من الاعراب ص 45، 56.
- (31)(31) ضرار صالح ضرار، هجرة القبائل العربية إلى وادي النيل، ص 279 - 280 .
- (32) المرجع نفسه، ص 280.
- (33) مصطفى محمد مسعد، مرجع سابق ص 114.
- (34) ضرار صالح ضرار، مرجع سابق ص 280 - 281 .
- (35) المرجع نفسه ص 294.
- (36) مصطفى محمد مسعد، الإسلام والنوبة ص 114 - 115 .
- (37) ضرار صالح ضرار، المرجع السابق ص 571.
- (38) مصطفى محمد مسعد، الإسلام والنوبة ص 120 .
- (39) ضرار صالح ضرار، المرجع السابق ص 577.
- (40) المرجع نفسه ص 578 - 579.

تمرد الفرقة الجنوبية في توريث 1955 م

باحثة وأكاديمية وأستاذ التاريخ الحديث والمعاصر -
جامعة القصيم / كلية التربية - سابقا

د. نجاة أبو القاسم محمد

المستخلص:

تعنى هذه الدراسة بالتمرد في توريث 1955م بالمديرية الاستوائية وتمثل أهميتها في وقوع التمرد وأحداثه قبل استقلال السودان بقليل في جنوب السودان وإحداث انهيار دستوري يؤجل موعد الاستقلال. هدفت الدراسة إلى معرفة دوافع وأسباب التمرد وموقف الحكومة من ذلك، وافترضت الدراسة أن السودنة ونتائجها عمقت الفجوة بين الشمال والجنوب الذي أخذ ينظر للأمر بأنه استعمار شمالي، وأن الجنوب استبدل سيداً بسيد وتوصلت الدراسة لنتائج عدة منها: استيقاظ الوعي السياسي في الجنوب وذلك بتأسيس حزب الأحرار الجنوبي في 1954م الذي تولى قضية الجنوب والاهتمام بها.

أوصت الدراسة بوضع برامج للتربية الوطنية تتبلور من خلالها الروح القومية التي تعمل على تقوية النسيج الاجتماعي وتنمية الثقة بين القوميات المختلفة ومحو مشاعر الانفصال التي كرس لها الاستعمار ليسود الأمن والسلام ومن التوصيات نشر ثقافة السلام من خلال المنصات الإعلامية والثقافية والاجتماعية، اتبعت الدراسة المنهج التاريخي الوصفي التحليلي..

ABSTRACT

This study is concerned with the rebellion in Torit 1955 AD in the Equatorial Directorate and its importance is in the occurrence of the rebellion in the southern Sudan and its events shortly before the independence of Sudan and a constitutional collapse that postponed the date of independence.

The study aimed to Knowing the motives and causes of the rebellion and the government's decisions on that.

The study assumed that Sudanization and its results deepened the gap between the north and the south, which took the matter as a northern colonialism, and that the south replaced a master with a master.

The study reached several results, including the awakening of political awareness in the south by the establishment of the Southern Free (Ahrar) Party in 1954 AD, which took over the issue of the South and paid attention to it.

The study recommended setting up programs for national education that crystallize the national spirit that works to strengthen the social fabric, develop confidence between different nationalities and erase the feelings of separation that colonialism has devoted to security and peace, and among the recommendations is to spread the culture of peace through media, cultural and social platforms. The study followed a descriptive analytical historical method.

المقدمة

وقعت بريطانيا ومصر في 12 فبراير 1953 اتفاق الحكم الذاتي وتقرير المصير وبموجبه تم انتخاب الحكومة الوطنية الأولى ومن مهامها تنظيم إجراءات تقرير المصير والسودنة والجملاء.

عينت لجنة السودان في 20 فبراير 1954م من خمسة أعضاء وأصدر خلف الله خالد وزير الدفاع في 21 فبراير 1954م منشوراً خاصاً بتشكيل لجنة هيئة الضباط الأركان برئاسة اللواء أحمد محمد باشا.

بعد اتمام إجراءات السودان تقدمت الحكومة والمعارضة باقتراح للبرلمان تطلب فيه من دولتي الحكم الثنائي جملاء قواتهما عن السودان. تكونت قوة دفاع السودان على نظام الفرق وذلك باختيار الجنود من المنطقة التي يجندون فيها، ولذلك فإن جميع جنود الفرقة الجنوبية التي أنشأها الإنجليز من الجنوبيين، وظلت الفرقة لا تراوح مكانها طوال فترة الاستعمار حتى قيام الحكم الذاتي، ولما كانت حكومة الأزهرى على علم بأهداف ومرامي الإنجليز من تشكيل هذه الفرقة فكرت في دمجها وذلك بإصدار الأوامر لها بالمشاركة في احتفالات الجملاء في الخرطوم إلا أن اظهارها تمردها في 17 أغسطس كان قد كشف عن مؤامرة قامت بها.

انتقل التمرد من توريث إلى ياي ثم إلى أنحاء المديرية الاستوائية فاختل الأمن وانتشرت المذابح وشملت أسر الشماليين وبلغ عدد القتلى 336 شمالياً و 75 جنوبياً وعدد من الموظفين والتجار والمعلمين وأصيب آخرون بجروح وأضرار مختلفة وأصدر رئيس الوزراء ووزير الداخلية قراراً بتشكيل لجنة للتحقيق في الأحداث .

من خلال ذلك يرى الباحث أن مشكلة البحث تكمن في الأسئلة التالية:
ما هي أسباب التمرد؟ وما الذي أسرع بتفجيرها في 1955 م؟
الوضع السياسي قبل التمرد:

في 12 فبراير 1953 م وقعت بريطانيا ومصر اتفاق الحكم الذاتي وتقرير
مصير السودان، ففي المادة التاسعة من مواد الاتفاق تعهدت الدولتان بانتخاب
أول برلمان سوداني في أول يناير 1954 م على ألا تتعدى هذه الفترة ثلاث سنوات
تنتخب فيها حكومة وطنية لها ثلاث مهام رئيسية.

1. سودنة قوة دفاع السودان والبوليس والخدمة المدنية.
2. إجلاء قوات دولتي الاحتلال عن السودان.
3. تنظيم إجراءات تقرير المصير عن طريق جمعية تأسيسية منتخبة.⁽¹⁾

شهد السودان أول معركة انتخابية في نوفمبر 1953 م وحتى الأول من
ديسمبر 1953 م فاز فيها الحزب الوطني الاتحادي بثلاثة وخمسين مقعداً
وحزب الأمة باثنين وعشرين مقعداً والمستقلون بسبعة مقاعد والجنوبيون
بسبعة مقاعد والخريجون بخمسة مقاعد⁽²⁾ وانتخب إسماعيل الأزهرى رئيساً
لأول حكومة سودانية وطنية⁽³⁾ اجتمع أول برلمان سوداني في اليوم الأول من
يناير وعينت لجنة السودان في 20 فبراير 1954 م⁽⁴⁾.

السودنة والجلء: أ/السودنة:

شرعت الحكومة في تنفيذ السودنة لاستبدال الموظفين الأجانب بكوادر
سودانية ولما كانت السودنة من القضايا المهمة لفترة الحكم الذاتي⁽⁵⁾ تكونت
لجنة السودنة من خمسة أعضاء ثلاثة سودانيين وعضو مصري وآخر بريطاني
، لإجراء سودنة قوة دفاع السودان والبوليس والإدارة على أن تنتهي أعمالها في
ثلاث سنوات⁽⁶⁾ أصدر خلف الله خالد وزير الدفاع في 21 فبراير 1954 م
منشوراً بخصوص تنظيم وتشكيل القوة، وشكلت لجنة هيئة الضباط الأركان
برئاسة أقدم ضابط سوداني اللواء أحمد محمد باشا بدلاً عن اسكونز باشا
القائد العام لقوة دفاع السودان، لإعادة بناء قوة دفاع السودان وتشكيلها
وتنظيمها بما يناسب الواجبات في العهد الجديد وشكلت لجنة أخرى برئاسة
العميد إبراهيم عبود بغرض سودنة المناصب القيادية في القوات المسلحة
بدلاً عن الضباط البريطانيين الذين كانوا يتولون قيادة القيادات والأسلحة
وفروع رئاسة قوة دفاع السودان وذلك في أغسطس 1954 م،⁽⁷⁾ وعملت
لجنة سودنة وظائف الخدمة المدنية وفق صلاحيات عامة لتكون السودنة
وفق الكفاءة العلمية والخبرة والأقدمية دون أي اعتبارات اقليمية⁽⁸⁾ واستغلت

اللجنة غموض المادة الثامنة الخاصة بالسودنة والتي منحت اللجنة تفويضاً لسودنة أي وظيفة تؤثر على الجو الحر المطلوب لتعزيز الوظائف فسودنت كثيراً من الوظائف القضائية التي كانت الحكومة البريطانية ترى أنها ليست ضمن صلاحيات اللجنة⁽⁹⁾ وكان نصيب الجنوبيين من الوظائف الإدارية أقل مما كانوا يتوقعون فكان نصيبهم أربعة نواب - مفتشين ومأمورين - فبدأ الجنوبيون ينظرون للأمر بأنه استعمار شمالي وأن الجنوب أبداً سيداً بسيد وبدأت أفكار الجنوبيين في الحكومة والمعارضة تتجه للنشاط ضد الشونة فاجتمع نواب الحكومة من الجنوبيين في سبتمبر 1954م مناقشين لنتائج السودنة بالمقارنة لما كانوا ينتظرون على أن حال الجنوب لا يمكن أن يستقر على الوضع الذي رسمته لجنة السودنة، فأوصوا بأن يقدم رئيس الوزراء تشريعاً للإسراع بالترقية والتعيينات⁽¹⁰⁾ بالمراكز الإدارية بالجنوب، ليعيد لمديري المديرية الجنوبيين ونوابهم من الجنوبيين ست وظائف للمفتشين وثمانية لنواب المفتشين و12 مأموراً وأعدوا قائمة وافية من الوظائف أعتبروها أدنى ما يجب عمله، إلا أن مطالبهم لم تجد أذنأ صاغية فأشادت نشاط الدعايات السياسية لتجميع الجنوبيين في صعيد واحد ضد الشماليين.⁽¹¹⁾

ب/ الجلاء :

بعد أن تمت إجراءات السودنة وفق اتفاقية الحكم الذاتي تقدمت الحكومة بالتشاور مع المعارضة باقتراح إلى البرلمان يطلب من دولتي الحكم الثنائي في مصر وبريطانيا بجلاء قواتهما عن السودان⁽¹²⁾ ووجه رئيس الوزراء خطاباً عن الجلاء والاستقلال وتحدث عن دائرة يرول السيد / فلمون ماجوك قائلاً: الحرية والاستقلال سبيل إلى حياة أفضل في تأمين رفاهية وإسعاد شعب السودان الموحد وتحدث ميرغني حمزة قائلاً: إن هذا القرار يعني جلاء القوات الأجنبية عن الوطن في فترة لاتزيد على ثلاثة شهور، أما السيد يوث ديوو تحدث عن دائرة وادي الزراف وتحدث أيضاً ميرغني حمزة قائلاً: نحن نودع مرحلة وندخل أخرى ونحيا الكفاح المشترك ونعلن الحريات حتى يعلن الشعب ماذا يريد الاستقلال الاتحادي أو الاستقلال الانفصالي، وتحدث يوسف العجب عن دائرة نظارات الفونج قائلاً: إنني واثق من أن جيش البلاد الباسل سيقوم بمسؤولياته بعد جلاء قوات الاحتلال وعن دوائر الخريجين تحدث حسن الطاهر زروق وتحدث محمد أحمد المحجوب زعيم المعارضة قائلاً: (إن الاستقلال التام لا يحققه جلاء الجيوش ولا تمزيق علمي دولتي الحكم الثنائي ولكن يحققه عزم الرجال وقوة عقيدتهم وإيمانهم بقيمة الحرية والاستقلال وفي الختام تحدث الأستاذ مبارك زروق زعيم مجلس النواب مذكراً بالمادة

الحادية عشرة من اتفقيه تقرير المصير لعام 1953م⁽¹³⁾ ونصت الاتفاقية أن على القوات الأجنبية أن تنسحب من السودان فور إصدار البرلمان رغبته في الشروع في اتخاذ التدابير لتقرير المصير وتتعهد الحكومتان مصر وبريطانيا إتمام سحبهما لقواتهما من السودان في فترة لا تتجاوز الثلاثة شهور. وأجاز البرلمان السوداني في هذه الجلسة قراراً بسحب الجيوش الأجنبية وسرعان ماتفاوضت مصر مع بريطانيا على تحديد يوم للجلاء إجابة لطلب البرلمان السوداني وتم الاتفاق على أن يكون يوم 13 نوفمبر 1955م.

عقد البرلمان السوداني بمجلسيه النواب والشيوخ جلسة استثنائية مهمة قرأ فيها رئيس لجنة السودان وأبلغه فيها بأن اللجنة قد قررت في اجتماعها الذي عقد في الثاني من أغسطس أن عملية السودان قد تمت وأنها رفعت هذا القرار للحاكم العام ومجلس الوزراء وفقاً لأحكام اتفاقية الحكم الذاتي وتقرير المصير التي أبرمت بين مصر وبريطانيا في 12/2/1953م وبهذا تكون قد توفرت لحكومة السودان الفرصة وفق دستور الحكم الذاتي واتفاقية السودان أن تطلب البدء في اتخاذ خطوات تقرير المصير.⁽¹⁴⁾

الفرقة الجنوبية من قوة دفاع السودان والمؤامرة:

تكونت قوة دفاع السودان على نظام الفرق بمعنى أن اختيار الجنود يكون من نفس المنطقة من القطر يجندون ويعملون فيه، ولذلك فإن جميع جنود الفرقة الجنوبية جنوبيون وينتمي معظمهم الى القبائل الاستوائية كما أن مائة منهم فقط من القبائل النيلية أغلبهم من الدينكا وحتى عام 1954م كان ضباطهم بريطانيين وسودانيين شماليين، وكان بالفرقة الجنوبية تسعة ضباط جنوبيين برتبة ملازم ثاني وأربعة وعشرون ضابطاً شامالياً معظمهم في رتب عالية وبلغ عدد الفرقة 1770 ضابطاً وجندياً، ورئاسة الفرقة الجنوبية في مدينة توريت في المديرية الاستوائية⁽¹⁵⁾ أنشأها الاستعمار لتحقيق مراميه الاستعمارية وبقيت هذه الفرقة في الجنوب ولم تتحرك من مكانها إطلاقاً طوال فترة الاستعمار حتى قيام الحكم الذاتي وكان غرض الانجليز من هذه الفرقة الإقليمية منع اختلاط الجنود السودانيين مع بعضهم البعض⁽¹⁶⁾ وبقيت قوات هذه الفرقة في الجنوب منذ قيامها لا ينقل أفرادها ولا يتحركون لأي جهة في السودان كأنهم جزء من جيش في دولة أخرى وليس جزءاً من قوة دفاع السودان، ولما كانت حكومة الأزهرى على علم بأهداف ومرامي الانجليز من تشكيل الفرقة أخذت تفكر في الطريقة التي يمكن أن تدمجها في الجيش السوداني⁽¹⁷⁾ وتحركها كوحدة من وحدات الجيش لتعمل في كل جهات السودان دون ربطها بمنطقة معينة⁽¹⁸⁾ ووجدت حكومة الأزهرى

في مناسبة الاحتفال بجلاء القوات الأجنبية من السودان فرصة مناسبة لتحقيق هذه الغاية فقامت بتوجيه الأوامر للفرقة في توريد لحضور احتفالات الجلاء في الخرطوم على أن يتم استبدالها بفرقة من الشمال⁽¹⁹⁾ وقبل سفر الفرقة من الجنوب الى الخرطوم للاشتراك في احتفالات أعياد الجلاء أشيع في صفوفها أنهم سوف لا يعودون للجنوب وسوف يتم اغتيالهم في الخرطوم وبدأ التذمر في هذه الفرقة⁽²⁰⁾.

يبدو من خطة تكوين الفرق والحاميات العسكرية التي كونت قوة دفاع السودان بأنها أنشئت على الفرز القبلي الذي يحقق السياسة البريطانية فرق تسد وكان بداية للتفتيت الذي عانى منه السودان، في السابع من أغسطس اكتشفت مؤامرة للتمرد في هذه الفرقة شملت صف الضباط وضعفت السلطات تجاهها ولم تقبض على أي أحد من رجال الجيش ولكنها ألقت القبض على اثنين من المدنيين في جوبا بتهمة تورطهما في مؤامرة التمرد وخرجت مظاهرات تطالب بإطلاق سراحهما تم فيها اعتداء على مفتش المركز ولتفريقها استعمل الغاز المسيل للدموع وفقدت الإدارة ثقة الجنوبيين وأرسلت للخرطوم تطالب بإرسال جنود شماليين فتم إرسال سرية عن طريق الجو دون معدات إلا أن قيادة الحامية الجنوبية وللحفاظ على هيبتها قررت الإصرار على تنفيذ أوامرها بسفر سرية من هذه الفرقة إلى الخرطوم.⁽²¹⁾

أسباب التمرد:

1. 1/ إن معظم سكان جنوب السودان لا دينيين وفي 1848م بدأت الإرساليات المسيحية عملها في جنوب السودان وزاد نشاطها بعد الغزو الثنائي عام 1899م ونشطت في الجنوب كل من الإرساليات الكاثوليكية والبروتستانتية في حرية تامة وأوكلت لها مسؤولية تعليم المواطنين من أبناء وبنات الجنوب على نفقتها الخاصة وحمل بعض المواطنين الجمعيات الكنسية مسؤولية التحريض على التمرد لأن أعضاءها رموا الدين الإسلامي بالسوء وأطلقوا على أهل الشمال تجار الرقيق وكان تاريخ تجارة الرقيق يدرس في مدارسهم مدعماً بالكتيبات والنشرات حتى قبيل التمرد⁽²²⁾ وانفردت الإرساليات بالنشاط التعليمي وأغلبه يتبع إرسالية الرومان الكاثوليك ومنعت الشماليين من أداء الصلاة في جماعات أو على مرأى من الجنوبيين، وفي إطار قلع جذور اللغة العربية استهدفت السياسة الاستعمارية كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية وبذلت محاولات لكتابة اللهجات المحلية لكنها لم تنجح لمحدودية مفرداتها⁽²³⁾ ونجحت إدارة الكنائس والبعثات التبشيرية في عزل الجنوب عن الشمال ومحاربة انتشار الإسلام واللغة العربية في أوساط المجموعات الأجنبية وركزت على نشر المسيحية واللغة الإنجليزية وعلى زرع روح الكراهية والعداء للمسلمين والشماليين وتحميلهم مسؤولية

تجارة الرقيق والغزوات والحملات المرتبطة⁽²⁴⁾ وتمكنت الكنائس أيضاً من زرع بذور التفرقة والعنصرية والكراهية بين الجنوب والشمال ومارست سياسة فرق تسد وزرعت الألغام الزمنية التي انفجرت في المواعيد الموقوتة.⁽²⁵⁾

بعد صدور قرار البرلمان بالموافقة على الاستفتاء حول خيار الوحدة مع مصر أو الاستقلال ولما كانت الوحدة مع مصر مرفوضة سارعت المنظمات التبشيرية المسيحية للتعبيّة والإعداد للتمرد بإثارة أبناء الجنوب الذين تغلغت في أوساطهم عبر كل الوسائل والسبل وأهمها المدارس واللقاءات في الكنائس والمناسبات المختلفة تحرضهم على التمرد.⁽²⁶⁾

2. تجاهل آراء الجنوبيين الذين يمثلون ثلث أهل البلاد فلم يسع أي حزب من الأحزاب الشمالية استطلاع آرائهم رغم تحذير مديري المديرية الثلاث لقيادة أحزاب الشمال من مغبة هذا الإغفال الذي وجد منهم التجاهل والإهمال الذي ترتبت عليه حوادث أغسطس 1955م وذلك بتمرد الفرقة الجنوبية التي استمرت جيلاً كاملاً وراح ضحيتها آلاف الأرواح.⁽²⁷⁾

3. تنكر السياسيون لوعودهم التي أطلقوها في انتخابات 1953م بمنح المتعلمين الجنوبيين أولوية في الوظائف الإدارية في الجنوب ومواقع معتبرة في الشمال حيث لم يكن نصيبهم سوى ست وظائف فقط واعتمدت لجنة السودان في ملء الوظائف على توفر شروط الأهلية والخبرة ولم تراخ الحسابات السياسية والوعود الانتخابية ولذلك أصيبت بخيبة الأمل والإحباط وازدادت شكوكها في مواقف السياسيين الشماليين من مطالبهم المشروعة وبدأوا ينظرون الى سودنة الوظائف الإدارية في المديرية الجنوبية كتوجه لعودة الاستعمار الداخلي الشمالي للسيطرة على إقليمهم بعد رحيل البريطانيين وأدى ذلك لاستقالة بولين البر ومجموعة من الحكومة والحزب الوطني الاتحادي والحاكم والانضمام للحركة السياسية الجنوبية النامية في تلك الفترة.⁽²⁸⁾

4. إهمال الحكومة لتوصية النواب الجنوبيين في الحكومة والمعارضة والتي رفعوها بعد مناقشتهم لنتائج السودان طالبين من رئيس الوزراء قراراً بالإسراع بالترقية والتعيينات⁽²⁹⁾ بالمراكز الإدارية العليا بالجنوب لإعادة مديري المديرية ونوابهم من الجنوبيين وإعطاء الجنوبيين ست وظائف للمفتشين وثمان للنواب و12 مأموراً وأعدوا قائمة وافية من الوظائف اعتبروها أدنى ما يجب عمله إلا أن مطالبهم لم تجد من الحكومة أدناً صاغية فاشتد نشاط الدعايات السياسية لتجميع الجنوبيين في معسكر واحد ضد الشماليين.⁽³⁰⁾

5. في مايو 1955م وأثناء عقد مؤتمر الحزب الوطني في مدينة ملكال برئاسة الأزهري حدثت محاولة انقلابية لاغتياله وقاطع الجنوبيون مؤتمراً آخراً في جوبا وأعلن فيه أحد وزراء الجنوب، أن الجنوب يرفض فكرة السودان المتحد وبعد إعلان البرلمان السوداني

البدء فوراً في عملية تقرير المصير دون تشكيل لجنة تأسيسية كانت الخواطر جاهزة للتمرد خاصة بعد الحكم بالسجن على أحد نواب الجنوب 20 عاماً بتهمة إهانة الحكومة ورئيسها الأزهري.⁽³¹⁾

6. أدى إهمال الإداريين الشماليين الجدد الذين عملوا في الجنوب وعدم مقدرتهم وكفاءتهم على ملء المراكز الإدارية التي ورثوها عن الإنجليز مما أدى إلى سخطهم على الشماليين وذلك لأن المدير الشمالي لا يكلف نفسه الطواف على مديريته والتعرف عليها وعلى الأوضاع والمشاكل فيها حتى يخرج منها.⁽³²⁾

7. كتب عبدالرحمن سول في مايو 1955م وهو أحد الجنوبيين خطاباً إلى الحاكم العام يقول فيه بأن البديل للفدریشن هو الانفصال⁽³³⁾ والجنوبيون عازمون على أن يحاربوا في سبيل ذلك إلى آخر رجل.⁽³⁴⁾

8. في مايو 1955م أعلن الحزب الوطني الاتحادي على الملأ تغيير مبدئه السياسي من الارتباط مع مصر إلى الاستقلال التام ونادى فريق من أعضاء البرلمان الجنوبيين المنتميين لحزب الأحرار بأن الجنوب يجب أن يرتبط مع مصر بنوع من الاتحاد وهذا التحول من قبل الجنوبيين قد تم بإغراء وتشجيع من صلاح سالم ومعاونيه الذين لم يكونوا راضين عن تغيير موقف الحزب الوطني الاتحادي مع مصر ودعوته للاستقلال تمهيداً لإحداث اضطرابات تطيح بحكومة الأزهري ضرباً لهذا التحول.⁽³⁵⁾

9. قامت حكومة السودان الوطنية بفصل 300 عامل من المركز الصناعي في أنزارا بحجة التوفير وكان أغلبهم من قبيلة الزاندي⁽³⁶⁾ تم ذلك في يوليو 1955م دون مراعاة للسلبات المترتبة على ذلك.⁽³⁷⁾

10. انعدام الثقة بسبب محاكمة إلياس كوزي عضو البرلمان الجنوبي الذي طالب بالاتحاد الفيدرالي مع الشمال ودعا لتكوين الجنوبيين كتلة في البرلمان تطالب بذلك وتعد مؤتمرًا في جوبا لتنسيق النضال حول مطالب الجنوبيين في يوليو 1955م وسعت الحكومة لإحباط المؤتمر وجمع مساعد محافظ يامبيو ثلاثة عشر من الزعماء الجنوبيين في مكتبه وأرسل برقية باسمه نيابة عنهم يؤيدون فيها الحكومة ويعارضون مؤتمر جوبا ودعا إلياس كوزي في اجتماع عام بفصل أولئك الزعماء ووافق الاجتماع على ذلك وقدم كوزي للمحاكمة بمحاكمة الزعماء المعنيين بجوبا⁽³⁸⁾ وفي 25 يوليو 1955م تمت إدانته وحكم عليه بالسجن عشرين عاماً بعد محاكمة سريعة وتظاهر المواطنين خارج المحكمة ضد هذا الحكم فتم تفريقهم بالغاز المسيل للدموع⁽³⁹⁾ وفي مدينة أنزارا الصناعية خرجت مظاهرة في الجنوب وتدخلت الفرقة الاستوائية لمقاومة الشرطة في إخماد هذه المظاهرة مما أدى إلى مقتل ستة من أبناء الزاندي وجرح آخرين وبدلاً من إجراء تحقيق في هذا الحادث أصدرت حكومة السودان تهديداً آخراً أذاعته ونشرته على أوسع نطاق.⁽⁴⁰⁾

11. انتشر في يوليو 1955م خبر عن وصول برقية من رئيس الوزراء للإداريين في الجنوب تحذرهم من الاستماع لشكاوى الجنوبيين وأن يعاملوهم بقسوة وأن يردعوهم بالقتل وتزامن ذلك مع قدوم بلك من الهجانة إلى جنوب السودان كإجراء روتيني من إجراءات السلطات العسكرية فأخذت هذه البرقية دليلاً على أن الجيش القادم من الشمال جاء لقتل الجنوبيين الأمر الذي زاد من وتيرة السخط تجاه الشماليين.⁽⁴¹⁾
12. تشجيع الحكومة المصرية وصلاح سالم للجنوبيين وتحريضهم على الأزهري وحكومته وإشعال نار التمرد والسعي لإرسال قوات بريطانية مصرية لإخماد التمرد أملاً في سقوط حكومة الأزهري وإحداث انهيار دستوري يؤدي إلى إلغاء أو مراجعة اتفاقية الحكم الذاتي وبالتالي تأجيل موعد الاستقلال وتعود بذلك قضية السودان مرة أخرى إلى المآزق التاريخي.⁽⁴²⁾
13. انعكس غضب الجنوبيين علناً على نتائج السودنة في المقابلة غير الكريمة التي قوبل بها وفد الحزب الوطني الاتحادي بقيادة الأزهري خلال زيارته التي قام بها للجنوب ورغم محاولة حكومته معالجة نتائج السودنة غير المقبولة للجنوبيين والتطورات السابقة في الجنوب التي نتجت عن مقررات مؤتمر حزب الأحرار بإعلان زيادات في مرتبات السجانة ورجال البوليس الجنوبيين والكتبة لتتطابق مع درجات الشماليين فإن تلك المحاولة باءت بالفشل وأدت إلى مزيد من عدم الرضا إذ إن هذه الزيادات لم تشمل فئة الكتبة خارج الهيئة الذين كانوا يشكلون الكثرة بين الكتبة الجنوبيين كما أن الجنوبيين عدوها بمثابة رشوة وأخذوا يعلنون⁽⁴³⁾ رفضهم لسيطرة الشمال على الجنوب.⁽⁴⁴⁾
14. في مايو 1955م خرج وزيران جنوبيان من حكومة الأزهري وهما من عضوية الحزب الوطني الاتحادي بسبب اختلافهما مع رئيس الوزراء حول شؤون الجنوبيين وانضمامهما إلى حزب الأحرار الذي نجح في استقطاب معظم الزعماء الجنوبيين المناوئين لسياسة الحكومة تجاه الجنوب ومطالبتهم بالفيدرالية.⁽⁴⁵⁾
15. الإشاعة المغرضة بأن مجزرة حدثت للجنوبيين من عرب الهجانة بعد مجيء القوات الشمالية في أغسطس 1955م وعدم نفي الحكومة للحادث.⁽⁴⁶⁾
16. بإتمام السودنة وقرب موعد جلاء القوات الأجنبية عن السودان ازداد قلق وخوف الجنوبيين من سيطرة الشماليين وعلت الأصوات المناوئة بتحقيق مطالبهم في إقامة نظام حكم فيدرالي والتهديد برفض انسحاب القوات الأجنبية إذا لم يتحقق ذلك⁽⁴⁷⁾ وبدأ بعض الجنوبيين يحسون بأنهم قد خدعوا وغرر بهم وأنهم أخضعوا لسيطرة أعدائهم.⁽⁴⁸⁾
17. من العوامل التي أسرعت بالتمرد عوامل خارجية شاركت فيها أياد سودانية تهدف إلى خلق حالة عدم استقرار وما تلك الخطابات المزورة التي وزعت في أوسع نطاق مجهولة لكل من تابع تلك الأحداث وهذه العوامل الأخيرة ليس لها من غاية إلا زعزعة أركان الحكومة وجراءة الأزهري على الدعوة للاستقلال متكرراً لدعوة الاتحاد مع مصر.⁽⁴⁹⁾

18. تدخل بعض الإداريين في الشؤون الاستوائية.⁽⁵⁰⁾
19. فشل السياسة البريطانية في جنوب السودان والتي تجاهلت تدريس اللغة العربية في الجنوب وفشلت بذلك في خلق هوية قومية للجنوب.⁽⁵¹⁾
20. تعددت أسباب التمرد وتنوعت وتراكمت ولم تلق أي عناية أو معالجات إلا نادراً وربما يعود ذلك لانشغال الحكومة بمهام إجراءات تقرير المصير مما جعل الحكومة تغفل عن حل كثير منها خاصة المتعلقة بالسودنة التي أثارت غضبة الجنوبيين وإهمال الأحزاب لسماع رأى الجنوبيين فزادت الشقة بين الشمال والجنوب وصار الجنوبيون يعتقدون في تحول الاستعمار إلى استعمار شمالي داخلي فاستيقظت مشاعرهم الوطنية فتنادوا لتجميع أنفسهم في صعيد ضد الشماليين جر البلاد إلى حرب أهلية أفقدت البلاد الكثير من مواردها البشرية والاقتصادية التي أثرت على التنمية الاقتصادية والأمن الاجتماعي.
- أحداث التمرد:**

في أغسطس 1955م قررت قيادة الجيش في الخرطوم استدعاء الفرقة الجنوبية كغيرها من الفرق الأخرى في انحاء السودان للمشاركة في أعياد الجلاء⁽⁵²⁾ وسبق ذلك أن عقد اجتماع في الخرطوم في 23 يوليو 1955م قرر الاجتماع أن تكون فرق قوة دفاع السودان فرقة للخرطوم وذلك بعد جلاء القوات المصرية والبريطانية عن السودان وأن تكون الفرقة من بلكات تسحب من فرق قوة دفاع السودان الخمس وأن يشارك في هذا التكوين البلك 2 من القيادة الجنوبية وفي السادس من أغسطس أطلق وكيل بلك 2 أمين سنرلينو أبويو نشاباً على مساعد وكيل البريد الشمالي وعند تفتيش منزله وجدت وثائق كشفت عن وجود مؤامرة تمرد في الفرقة الجنوبية وتقرر سفر البلك 2 للخرطوم للاشتراك في احتفال الجلاء إلا أن ذلك لم يقبله ضباط البلك فأبدوا رفضهم على ذلك.⁽⁵³⁾

قبل اليوم المحدد لتحرك قوة توريدت عقد اجتماع في جوبا حضره رجال الجيش وقائد حامية توريدت وبعض الضباط و مدير الاستوائية ونائب مدير آخر حضر من الخرطوم وأبدى في هذا الاجتماع بعض ضباط توريدت شعورهم بتوقع شر إلا أن القائد اتهمهم بالمبالغة⁽⁵⁴⁾، قدمت في هذا الاجتماع اقتراحات عديدة تقضي بسحب الذخيرة الاحتياطية من توريدت ووضعها تحت حراسة قوة شمالية تأتي من جوبا كما اقترح ارسال قوات شمالية ذات مدافع بعيدة المدى لتعسكر خارج توريدت حتى إذا ما حاولت القوات الجنوبية التمرد استطاعت القوة الشمالية السيطرة على الموقف ولكن قائد فرقة توريدت لم يوافق على هذه المقترحات خوفاً من الإثارة وتحملهم على تصرف لا يحمده عقباه وقد كان واثقاً في ذلك الاجتماع من طاعة جنوده للأوامر الصادرة.⁽⁵⁵⁾

تجمع جنود البلك الثاني في فرقة الاستوائية بتوريت في ميدان الطابور في السابعة والنصف من صباح الخميس 18 أغسطس وكانت قد وجهت لهم الأوامر مسبقاً بالسفر للخرطوم تمثيلاً لفرقتهم في مهرجان جلاء القوات الأجنبية بالخرطوم وجهزت العربات لنقلهم الى جوبا ثم ينقلوا من جوبا بالباخرة الى الخرطوم وكان الضباط الشماليون يراقبون الموقف في ميدان الطابور وكان مخزن الأسلحة جاهزاً لتسليم الأسلحة لكل سرية عند حضور جنودها وعند السابعة وخمس وأربعين دقيقة أمرت السرية الأولى بالتحرك من ميدان الطابور إلى مخزن الأسلحة وطلب الجنود حضور قائد الفرقة ليخبرهم بالمدة التي سيقضونها في الخرطوم فأجابهم أحد الضباط بعدم وجود القائد وتسلم الجنود أسلحتهم من المخزن ولكنهم رفضوا ركوب العربات ورجعوا إلى ميدان الطابور ووقفوا خلف بقية الجنود وتوجه إليهم أحد الضباط لمعرفة السبب فأخبره الشاويش الذي كان مسؤولاً عنهم بأنهم رفضوا ركوب العربات إلى جوبا لأنهم يريدون معرفة المدة التي يقضونها في الخرطوم وأمر قائد الفرقة بإلغاء السفر فأدى ذلك لهياج وتمرد شديد فتوجه جنود السرية الأولى وهم في هياج ومعهم بقية الجنود إلى مخزن الذخيرة.⁽⁵⁶⁾

و كسر المتمردون مخزن الأسلحة واعتدوا على الضباط الشماليين وقتلوهم مع عدد من المدنيين الشماليين⁽⁵⁷⁾ وانضم إليهم أبناء الجنوب ضد الحكومة عامة وأبناء الشمال خاصة وزاد هياج الجنود وتدافعوا إلى مخزن الذخيرة واستولوا على ما كان فيه من أسلحة وعتاد وانطلق التمرد بالتحام شديد بين الجنود وضباطهم وسرعان ما سرى الخبر في جنوب السودان بما حدث في توريت ووقع الخبر في نفوس الجنود وقعاً سيئاً وهم يستعدون للسفر إلى الخرطوم وامتد التمرد إلى صفوف الأهالي الذين خرجوا في ثورة مهاجمين مراكز الإدارة ومساكن الشماليين ومتاجرهم ومارسوا فيها القتل والحرب الذي قتل فيه نفر عزيز وفقد الكثير ممتلكاتهم وبضائعهم⁽⁵⁸⁾ وكان قائد قوات التمرد رينادو لومبلا وسارنواولويو⁽⁵⁹⁾ فانتشرت الفوضى واختل الأمن.⁽⁶⁰⁾

انتقل التمرد من توريت إلى ياي ثم الى أنحاء الاستوائية فانتشرت المذابح وشملت أسر الشماليين في الاستوائية رجالاً ونساء⁽⁶¹⁾ راح ضحيتها 336 شمالياً و75 جنوبياً⁽⁶²⁾ وقتل الضابط بانقا عبد الحفيظ والبكباشي حسن محمود⁽⁶³⁾ وقتل أيضاً عدد من الموظفين والتجار والمعلمين وأصيب آخرون بجروح وأضرار مختلفة.⁽⁶⁴⁾

وفي يوم 18/ أغسطس وفي المؤتمر الصحفي الذي كان منعقدًا مع بعض الصحفيين الذين حضروا يوم الجلاء وصلت برقية تحمل خبر التمرد فطلب

الرئيس الأزهرى من الوزراء البقاء بعد المؤتمر فأبلغهم بالتمرد في توريت وانتشار التمرد في الاستوائية وكلف مبارك زروق وخضر حمد بإبلاغ السيدين عبد الرحمن المهدي وعلي الميرغني وظل مجلس الوزراء مجتمعاً طول اليوم بوزارة الدفاع يعملون على تقوية القوة الشمالية في جوبا ومدها بالسلاح والعتاد⁽⁶⁵⁾ وألغيت جميع رحلات الخطوط السودانية وحملت الطائرات العتاد والقوات إلى جوبا⁽⁶⁶⁾ وفي هذا الوقت كان الجنوبيون قد أعدوا العدة للاستيلاء على جوبا مركز رئاسة القوات ليواصلوا قتالهم ضد الشماليين وحاولت قواتهم اقتحام جوبا من جميع المداخل المؤدية إليها والتي جمعوها من أنحاء المديرية الجنوبية الثلاث وأصبحت القيادة بين خيارين الرضوخ للجنوبيين أو المقاومة والاحتفاظ بجوبا وأرسلت الامدادات سريعاً حفاظاً على هيئة الحكومة ومركزها⁽⁶⁷⁾ كما استأجرت خمس طائرات من سلاح الجو البريطاني وتمكنت من تعزيز قواتها في الجنوب ومن إخماد التمرد⁽⁶⁸⁾ وطلب المتمردون من القوات البريطانية في كينيا العون والتموين والعتاد من دول شرق إفريقيا ولم تتم استجابة لمطالبهم.⁽⁶⁹⁾

بعودة حاكم عام السودان السير نويس هيلم من بريطانيا وجه نداء للمتمردين بأن يستسلموا فاستسلم منهم 461 فرداً في الحال.⁽⁷⁰⁾

أصدر رئيس الوزراء إسماعيل الأزهرى بوصفه وزيراً للداخلية قراراً بتشكيل لجنة للتحقيق في أحداث الجنوب في الثامن من سبتمبر 1955م وكانت اللجنة برئاسة القاضي قطران وعضوية خليفة محبوب مدير عام مشروعات المديرية الاستوائية وضابط شرطة ولوليك لادو أحد مشايخ الجنوب وقدمت اللجنة تقريراً عن أسباب حوادث الجنوب وتفصيلها في العاشر من أكتوبر 1956م.⁽⁷¹⁾

رغم احتواء الحكومة الوطنية للتمرد في 1955م إلا أنه ظل يتفجر من وقت إلى آخر وذلك لانشغال القيادات الوطنية بالمحاصصات والمكتسبات الحزبية مما فتح الباب واسعاً لتنمية شعور الانفصال الذي فشلت الحكومة واتفاقيات السلام في معالجته.

الخاتمة

أقرت حكومة الأزهرى توصيات لجنة السودنة وقامت بتنفيذها دون أن تعر غضب الجنوبيين أي اهتمام فبدأ تكوين الجبهة الجنوبية التي تبنت قضية الجنوب التي استغلها المستعمر وظهر ذلك في تشجيع المصريين وتحريضهم على رئيس الوزراء إسماعيل الأزهرى وحكومته والعمل على إرسال قوات بريطانية مصرية لإخماد التمرد بغية القضاء على الحكومة الوطنية

التي رفضت خيار الوحدة مع مصر ليؤدي ذلك إلى مراجعة اتفاقية الحكم الذاتي وتأخير استقلال السودان إلا أن الحكومة الوطنية تمكنت من السيطرة على الموقف .

النتائج

- 1) نبه التمرد المسؤولين بضرورة الوصول الى اتفاق بشأن مشكلة الجنوب وإجراء إصلاحات عاجلة فيه.
- 2) نتيجة للتطور الاقتصادي والسياسي والتعليمي استيقظ الوعي السياسي في الجنوب فتأسس حزب الأحرار الجنوبي 1954م الذي تولى قضية الجنوب الإقليمية والاهتمام بها.
- 3) مشكلة جنوب السودان التي بدأت في 1955م نتيجة طبيعية لمخططات وضع الألغام أمام حركة الانصهار القومي والتنمية الاقتصادية والاجتماعية والاستقرار السياسي للمستعمرات التي مارسها البريطانيون في كل بقاع الأرض حتى تتأخر قوافل التحرر والتطور في المستعمرات.
- 4) الحلول العسكرية لمشكلة جنوب السودان جعل التمرد ينتشر في كل أنحاء الجنوب.
- 5) فاقمت نتائج السودنة من الشقة بين الجنوب والشمال.
- 6) فشل الإنجليز في خلق هوية قومية للجنوب.
- 7) كرست الإرساليات تعميق الهوة بين الشمال والجنوب بجعل تجارة الرقيق مقررأ يدرس للطلاب .

التوصيات

1. وضع برامج للتربية الوطنية السليمة تتبلور من خلالها الروح القومية التي تعمل على رتق النسيج الاجتماعي.
2. تعمير المناطق المتخلفة اقتصادياً حتى تتحقق التنمية المتوازنة والعدالة الاجتماعية.
3. نشر ثقافة السلام من خلال المناهج التعليمية في المدارس والجامعات والمنصات الاعلامية

المصادر والمراجع:

- (1) أحمد محمد شاموق ، للتذكير والتعريف ديسمبر 1955م ، مطبعة العاصمة ، القاهرة (بدون تاريخ) ص7.
- (2) عفاف محمد خيرى نصر، دور الطوائف الدينية في العمل السياسي في السودان في الفترة 1919-1956م، الدار العربية للنشر والتوزيع مركز البحوث والدراسات السودانية، سلسلة بحوث ودراسات، ط1، 2006م، ص182.
- (3) أحمد طربين ، تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر دراسة في التطورات والاتجاهات السياسية ، مؤسسة الرسالة ط1 ، بيروت 1415هـ-1995م-ص411.
- (4) عبد الفتاح أبو الفضل، مصر والسودان بين الوئام والخصام ط1، 1415هـ-1995م ص284.
- (5) محمد سعيد القدال ، الانتماء والاغتراب دراسات ومقالات في تاريخ السودان ، دار الجيل ، بيروت 1412هـ-1992م-ص65.
- (6) أحمد طربين ، مرجع سابق ص411.
- (7) عبد الرحمن علي الفكي، تاريخ قوة دفاع السودان، ط1، الدار السودانية للكتب، 1971م ص65.
- (8) الصادق المهدي، مسألة جنوب السودان شركة الطبع والنشر، الخرطوم، أبريل 1964م ص20.
- (9) عبد الوهاب أحمد عبد الرحمن، الحركة الوطنية السودانية بين وحدة وادي النيل 1919-1956م، ط2، ج21424هـ-2007م-ص348.
- (10) الصادق المهدي ،مسألة جنوب السودان ،مرجع سابق ص20.
- (11) نفس المرجع ص21.
- (12) أمين التوم :تكريات ومواقف في طريق الحركة الوطنية السودانية 1914-1969م، دار الخرطوم للنشر ، ط1، 1987م ، ص124.
- (13) محي الدين أحمد عبد الله ، تاريخ من أجل التاريخ ، المطبعة العسكرية (بدون تاريخ) ص165.
- (14) عبد الوهاب أحمد عبد الرحمن ، الحركة الوطنية السودانية بين وحدة وادي النيل والاستقلال 1919-1956م، مرجع سابق ص359.
- (15) التحقيق الاداري لحوادث 1955م . ص22-23.
- (16) خضر حمد ،الحركة الوطنية الاستقلال وما بعده ، ط1، 1980 مكتبة المشرق والمغرب،الشارقة،1981م، ص234.
- (17) عبد الوهاب أحمد عبدالرحمن ، الحركة الوطنية بين وحدة وادي النيل والاستقلال، مرجع سابق ص366.
- (18) عبد الفتاح أبو الفضل ،مصر والسودان بين الوئام والخصام ،مرجع سابق ص284.
- (19) بشير محمد سعيد ،خبايا وأسرار ،مرجع ساب ص131-132.

- (20) عبد الفتاح أبو الفضل ، مصر والسودان بين الوثائم والخصام ، ص 284.
- (21) الصادق المهدي ، مسألة جنوب السودان ، مرجع سابق ص 23.
- (22) بشير محمد سعيد ، خبايا وأسرار ، مرجع سابق ص 127.
- (23) مجدي أحمد حسين ، مصر والسودان ، المركز العربي الاسلامي للدراسات ، القاهرة (بدون تاريخ) ص 17-18
- (24) روفائيل كوبا بادول ، فردوس الامبريالية الادارة البريطانية في جنوب السودان 1900-1956 ك ، ترجمة محمد علي جادين ، مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية ، جامعة أمدرمان الأهلية . ص 4.
- (25) عبد الرحمن مختار ، خريف الفرح أسرار السودان 1950-1970 م ، دار الطبعة الأفريقية ، الخرطوم ص 55.
- (26) عبد الوهاب أحمد عبد الرحمن ، الحركة الوطنية السودانية بين وحدة وادي النيل والاستقلال 1919-1956 م مرجع سابق ، ص 369.
- (27) بشير محمد سعيد ، ادارة السودان في الحكم الثنائي ، دار جامعة الخرطوم للنشر ، ص 120.
- (28) عبد الوهاب أحمد عبدالرحمن ، الحركة الوطنية السودانية مرجع سابق ص 370.
- (29) الصادق المهدي ، مسألة جنوب السودان مرجع سابق ص 20
- (30) نفس المرجع ص 21.
- (31) عبدالفتاح أبو الفضل ، مرجع سابق ص 284.
- (32) محسن محمد ، مصر والسودان ، مرجع سابق ، ص 295.
- (33) منصور خالد ، النخبة السودانية وادمان الفشل ، ج 1 ، ص 242.
- (34) عبدالرحمن أحمد عبدالوهاب ، الحركة الوطنية ، مرجع سابق ص 371.
- (35) بشير محمد سعيد ، خبايا وأسرار ، ص 131.
- (36) عبد الفتاح أبو الفضل ، مصر والسودان بين الوثائم والخصام ص 284.
- (37) بشير محمد سعيد ، خبايا وأسرار مرجع سابق ص 131.
- (38) الصادق المهدي ، ميزان المصير الوطني ، أم درمان ، نوفمبر 2010 م ص 7
- (39) محسن محمد ، مصر والسودان ، ص 296.
- (40) عبدالرحمن أحمد عبدالوهاب ، الحركة الوطنية ، مرجع سابق ص 234.
- (41) نفس المرجع ص 355.
- (42) عبدالوهاب أحمد عبدالرحمن : الاتحاديون والتحول نحو الاستقلال دراسة في أسباب وظروف وملابسات التحول ، الامارات العربية المتحدة ، دار القلم 1428-2007 م ص 268-269.
- (43) محسن محمد ، مصر والسودان ، مرجع سابق ، ص 295.
- (44) عبد الرحمن أحمد عبدالوهاب ، الحركة الوطنية ، مرجع سابق ص 371.

- (45) محسن محمد ،مصر والسودان ،مرجع سابق ،136.
- (46) الصادق المهدي ،ميزان المصير الوطني ، مرجع سابق ص78.
- (47) عبدالرحمن أحمد عبدالوهاب ،الحركة الوطنية ،مرجع سابق 371.
- (48) بشير محمد سعيد خبايا وأسرار مرجع سابق ص136.
- (49) خضر حمد ،مرجع سابق ص234.
- (50) الصادق المهدي،ميزان المصير الوطني ،مرجع سابق ص77.
- (51) جراهام ف توماس ، الصراع من أجل البقاء 1984-1993م ،ترجمة الطيب الزبير المنصور ص 25.
- (52) 52/ عبد الماجد أبو حسبو ،جانب من تاريخ الحركة الوطنية ،صنب للنشر والتوزيع ، ط1، فبراير 1987م ،ص215.
- (53) الصادق المهدي ،ميزان المصير الوطني،مرجع سابق ص78.
- (54) خضر حمد ،مرجع سابق ص234.
- (55) عبدالوهاب أحمد عبد الرحمن ، الحركة الوطنية ،مصدر سابق .
- (56) بشير محمد سعيد ،خبايا وأسرار ،مرجع سابق ،ص 134.
- (57) عبد الفتاح أبو الفضل ، مصر والسودان بين الوثام والخصام ، مرجع سابق،ص284.
- (58) محمد المعتصم ،جنوب السودان في مائة عام ،مطبعة نهضة الفجالة ،الطبعة الثانية،القاهرة ،فبراير 1972م ص 134-136.
- (59) 59/ عبد الفتاح أبو الفضل ،مصر والسودان بين الوثام والخصام ،مرجع سابق،ص284.
- (60) عبداللطيف عبدالرحمن ،لمحات من تاريخ الحركة الوطنية في السودان ،يناير 1978م ص53.
- (61) محمد أبو القاسم حاج حمد،السودان المأزق التاريخي وأفاق المستقبل،1956-1996م،المجلد الثاني ،دار ابن حزم لطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،1996م ص123م.
- (62) محي الدين أحمد عبدالله ،مرجع سابق 16.
- (63) مجدي أحمد حسين ، مرجع سابق ص20.
- (64) محسن محمد ،مصر والسودان ،مرجع سابق ص296
- (65) خضر حمد ،مرجع سابق ص234-235.
- (66) محسن محمد، مصر والسودان ،مرجع سابق ،ص292.
- (67) محمد المعتصم مرجع سابق ،ص137.
- (68) محسن محمد ،مصر والسودان ،مرجع سابق ص292.
- (69) فضل الله حماد ،مشكلة الجنوب وقضايا الوطن ، تدقيق معتصم عبدالوهاب ،أبو ظبي،2003م ص 62-63.
- (70) محسن محمد،مصر والسودان ،مرجع سابق ص296.
- (71) بشير محمد سعيد ،خبايا وأسرار ،مرجع سابق ص 136

الصحابي الجليل يعلى بن أمية رضي الله عنه «سيرته وحياته»

أستاذ مساعد - كلية الآداب - جامعة بيشة - المملكة العربية السعودية.

د. زكية عبد ربه الحياي

المستخلص:

تهدف الدراسة لتتبع سيرة الصحابي الجليل يعلى بن أمية رضي الله عنه من خلال سيرته وحياته والعمل على إبراز دوره وإسهاماته في الحياة العلمية والإدارية وأدواره الجهادية، وإبراز فضله ومكانته وأثره العلمي والفكري في الحديث والقضاء والفتوى والتفسير وغيرها، فمن خلال البحث والتقصي في كتب التاريخ والتراجم والفقهاء والحديث وجد له العديد من الآثار والأخبار مع التطرق لولايته في عهد النبي ﷺ وإستمراره في بعض المناصب الإدارية حتى خلافة سيدنا عثمان بن عفان . تنبع أهمية الدراسة من كونها تعمل على شرح حياة واحد من الصحابة الذين عملوا وخدموا بكل جد وإجتهد في بدايات الدولة الإسلامية ، اتبعت الدراسة المنهج التاريخي الوصفي التحليلي بغية الوصول إلى نتائج والتي منها: الصفات القيادية للصحابي الجليل يعلى بن أمية هي التي أسهمت في توليه العديد من المناصب في عهد النبي الكريم وحتى خلافة سيدنا عثمان بن عفان، بجانب العمل الإداري انخرط الصحابي يعلى بن أمية في ركب الجهاد ، ارتباط تاريخ وحياة الصحابة بكتب الحديث والتراجم لا يقل عنه في كتب التاريخ.

Abstract:

The study aims to trace the biography of the great companion Ali bin Umayya, may God be pleased with him, through his biography and life, and work to highlight his role and contributions in the scientific and administrative life and his jihad roles, and to highlight his virtue and his scientific and intellectual impact in hadith, the judiciary, the fatwa, the interpretation, etc., through research and investigation in history books, translations and jurisprudence And the hadith found many effects and news with reference to his mandate in the era of Al-Bunni, may God bless him and grant him peace, and his continuation in some administrative

positions until the succession of our master Othman bin Affan. The importance of the study stems from the fact that it works to explain the life of one of the Companions who worked and served diligently and diligently in the early days of the Islamic State. The study followed the historical, descriptive and analytical method in order to arrive at results, including: The leadership qualities of the venerable Companion Ali bin Umayya are what contributed to his many Positions during the era of the noble Prophet and up to the succession of our master Othman bin Affan, in addition to the administrative work, the companion Ya'la bin Umayya was involved in the ranks of jihad. The history and life of the Companions are linked to books of hadith and translations that are no less than in the history books.

المقدمة

مما لا شك فيه أن لدراسة التاريخ الإسلامي قدر كبيراً من الأهمية، خاصة في عصر النبوة؛ حيث سجل التاريخ أنباء أعظم ثلثة ظهرت في دنيا الإيمان والعقيدة، فأخبرنا عن إيمانهم وثباتهم وبطولتهم وولائهم لله ورسوله (ﷺ) ومن هؤلاء الذين دونت المصادر أخبارهم: الصحابي الجليل يعلى بن أمية . فما إن أسلم حتى أظهر من حسن البلاء في خدمة الاسلام وأهله، فكانت سيرته العطرة وأيامه النضرة منارة وضياء لأجيال المسلمين، ولا عجب في ذلك؛ فهو من ذلك الجيل «جيل الصحابة» الذين تربوا في مدرسة النبوة وعلى تعاليم الوحي، لذلك تنزلت آيات القران الكريم والأحاديث النبوية في تبيان فضلهم ومنزلتهم ، ومما شجع على إختيار موضوع الدراسة مجموعة أخبار متناثرة ومتفرقة في بطون المصادر، تحتاج إلى جمع أولاً ودراسة علمية مستقلة ثانياً وتجميع شتاتها ولشعتها ثالثاً. ثم بعد ذلك تحليلها .

اسمه ونسبه وكنيته :

يَعْلَى بْنُ أُمِّيَّةَ بْنِ أَبِي عُبَيْدَةَ التَّمِيمِيِّ الْمَكِّيِّ، وقيل: اسمه عُبَيْدُ بْنُ هَمَّامِ الْحَنْظَلِيِّ⁽¹⁾. ويقال: يعلى بن مُمِيَّةَ بِنْتِ غَزْوَانِ بْنِ حَيْنَأَ إِلَى أَبِيهِ، وَحَيْنَأُ إِلَى أُمِّهِ⁽²⁾. يكنى أبو خلف، وقيل أبو صفوان، وقيل أبو خالد⁽³⁾. ووالده أُمِّيَّةُ بْنُ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ هَمَّامِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ بَكْرِ بْنِ زَيْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ حَنْظَلَةَ التَّمِيمِيِّ⁽⁴⁾. وبعد التتبع لحياة الصحابي يعلى لم أجد لوالده إلا أنه أسلم يوم الفتح، وقد جاء به ابنه يعلى لرسول الله ليبياعه حيث قال: «يارسول الله بايع أبي على الهجرة، فقال رسول الله: أبايعه على الجهاد فقد انقطعت الهجرة»⁽⁵⁾. والدة يعلى هي مُمِيَّةُ

بضم الميم وسكون النون، وقد اختلف في نسبها ف قيل: مُنية بنت جابر بن وهب بن تسبب بن زيد بن مالك المازني، وهي عمّة عتبة بن غزوان بن جابر⁽⁶⁾ حليف بني عبد شمس، وقيل بني نوفل⁽⁷⁾ وقال ابن عبد البر: وأهل الحديث وأصحاب التواريخ يقولون: منية بنت غزوان، أخت عتبة بن غزوان⁽⁸⁾. وقال الطبري: هي منية بنت جابر، عمّة عتبة بن غزوان، وأم يعلى بن أمية⁽⁹⁾. وقال الزبير بن بكار: هي منية بنت الحارث أم العوام بن خويلد - أخو خديجة بنت خويلد - و جدّ يعلى بن أمية، أم أبيه قيل له يعلى بن منية ينسب إلى جدته وقال ابن عبد البر: ولم يصب الزبير في ذلك والله أعلم⁽¹⁰⁾. وقد أكدت المصادر على أن منية هي أم يعلى، فيقال: يعلى بن أمية نسبة لأبيه ويقال: يعلى بن منية نسبة لأمه⁽¹¹⁾ وهي عمّة عتبة بن غزوان⁽¹²⁾، وكان حليفاً لقريش⁽¹³⁾ للحارث بن نوفل بن عبد مناف بن قصي⁽¹⁴⁾.

- إخوته:

للصحابي الجليل عدد من الإخوة وهم، سلمة بن أمية، أسلم مع أبيه وأخيه، وشهد مع النبي غزوة تبوك، له حديث عند النسائي من رواية ابن أخيه صفوان بن عبد الله بن يعلى⁽¹⁵⁾.

- عبد الرحمن بن أمية، لم اعثر على ترجمة له سوى ماورد في المصادر أن رجل من أهل اليمن باع فرس لعبد الرحمن بن أمية مائة ناقّة⁽¹⁶⁾. وأخته نفيسة بنت أمية صديقة السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها. روى ابن سعد وابن حجر أن نفيسة هي التي مشت في زواج السيدة خديجة برسول الله حتى تزوجها، وكان رسول الله يعرف ذلك فأمر بإكرامها⁽¹⁷⁾. وله أيضاً عبد الله بن أمية⁽¹⁸⁾.

- زوجاته وأبنائه وأحفاده:

تزوج الصحابي بالجليل من بنت الزبير، وبنت أبي لهب⁽¹⁹⁾ ورزق الله من الأبناء، صفوان، قال عنه ابن حجر: ثقة، من الثالثة، روى عن أبيه يعلى، وعن عمه سلمة، وعن عنبسة بن صخر القرشي، وعن عطاء بن أسلم وابن السائب وغيرهم⁽²⁰⁾ عثمان، روى عن والده⁽²¹⁾

- محمد، روى عن والده⁽²²⁾.
- عبد الرحمن بن يعلى روى عن عمرو بن شعيب. وقال ابن حجر: الصواب: عبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى، وهو الطائفي⁽²³⁾
- عمرو بن يعلى⁽²⁴⁾
- حيي بن يعلى⁽²⁵⁾.

من أحفاد الصحابي الجليل، عمرو بن عبد الرحمن بن يعلى التميمي، قال ابن حجر: مقبولن الثالثة، وذكره ابن حبان في الثقات⁽²⁶⁾.

إسلامه:

من المعلوم أن الدخول في الدين الإسلامي يعد نقطة تحول في حياة أي شخص ولذلك فإن المصادر التي اهتمت بحياة الصحابة تهتم دائماً بتاريخ دخولهم الإسلام، والصحابي الجليل يعلى بن أمية أسلم ثاني يوم فتح مكة سنة (8هـ) هو وأبوه وأخوه سلمة، وأخته نفيسة، كما أكدت ذلك المصادر⁽²⁷⁾، وقد وفد يعلى وأبوه على الرسول يوم فتح مكة 8هـ فقال للنبي عليه الصلاة والسلام: يارسول الله بايع أبي على الهجرة، فقال الرسول عليه السلام: «أبايعه على الجهاد فقد انقطعت الهجرة».⁽²⁸⁾

-حياته قبل الاسلام وبعده:

في حقيقة الأمر لم تمدنا المصادر بمعلومات وافية حول الصحابي الجليل يعلى وإنما تورد إشارات هنا وهناك يمكن أن يستدل من خلالها عن بعض حياته، فكما مر بنا سابقاً فإن يعلى وهو من بني (تميم) حليف بني نوفل، ووالدته وهي من بني (مازن بن منصور) وهي عمّة عتبة بن غزوان حليف بني نوفل أيضاً، وهذا يعني أن والده ووالدته هم حلفاء استقروا في مكة وكانت لهم رباع فيها، أسماها الأزرق رباع حلفاء بني نوفل⁽²⁹⁾. ولا نعرف السبب وراء استقرارهم بمكة ولعل ذلك يعود لوجود البيت الحرام فيها والذي أكسبها حرمة عامة في نظر العرب منذ أقدم العصور. علاوة على المكانة التي تمتعت بها قريش بين العرب قاطبة مما شجع الحلفاء على نزول مكة والاحتفاء بها⁽³⁰⁾. ومنهم من كان له جناية في قومه جعلته يفر منها أو عقد لمعاهدات أو لطلب النصرة والمساندة⁽³¹⁾.

ويرى البعض أن السبب الأهم هو ازدهار الحياة الاقتصادية بمكة مما جذب بالعديد من الأفراد والجماعات إما بسبب حاجة أهل مكة لخدماتهم أو أنهم كانوا أصحاب رؤوس أموال فجاءوا لاستثمارها بالمشاركة مع أهل مكة في الفرص التجارية المتنوعة، خاصة وأن الحياة في مكة مستقرة لوجود البيت الحرام⁽³²⁾. ويبدو هذا السبب هو الأقرب للصواب في حال يعلى؛ خاصة إذا ما علمنا أنه ممن اشتهر بالثراء والسخاء في مكة، وقد استعان به النبي ﷺ في إمداد جيشه في غزوة حنين -سيأتي الحديث عنها- مما يبين أن يعلى كان ولا زال إلى الفتح في سعة من العيش ووفرة من المال، جتى بعد اسلامه؛ فيرى أنه كان له أربع من الدور بمكة إحداهما دار خاله غزوان بن جابر ذات الوجهين التي كانت مواجهة لباب بني شيبه في المسجد الحرام، وكانت لعتبة بن غزوان، ولما هاجر دفعها إلى أمية والد يعلى⁽³³⁾، وبعد استشهاد عثمان انفق يعلى نفقة عظيمة في إعداد الجيش في موقعة الجملوتكفل بتجهيز المقاتلين وسيأتي

الحديث عن ذلك.ومن هذا يبدو أن يعلى كانت له تجارته الخاصة أثناء ولايته على اليمن ولم يكن يعتمد على الأرزاق التي تقدم للوالي من قبل الخليفة. **سيرته وصفاته ومناقبه:**

حمل الصحابي الجليل يعلى من الصفات والشمائل ما أهله لأن يلعب دوراً مهماً في الكثير من الحوادث التي عهد الرسول والخلفاء الراشدين من بعده فوصفته المصادر بعدة صفات منها:

- صحابيٌّ مشهور⁽³⁴⁾، و كان سخياً معروفاً بالسخاء.⁽³⁵⁾، و كان من أسخياً أصحاب رسول الله⁽³⁶⁾، و كان جواداً معروفاً بالكرم⁽³⁷⁾ والشجاعة والكفاءة القتالية فقد كان النبي ﷺ يبعثه في سراياه⁽³⁸⁾، كما اختاره الخليفة أبو بكر ليكون من قادة الجيوش في حروب الردة⁽³⁹⁾.

- حبه للعلم والتفقه في الدين، يؤكد ذلك ما روته المصادر من أسئلته للخليفة عمر في بعض الأمور الفقهية⁽⁴⁰⁾.

- الأمانة فقد اختاره النبي ﷺ على الجند في اليمن وكذلك الخلفاء الراشدين⁽⁴¹⁾.

وقد عرف السلف الصالح منزلة وفضل يعلى إلى جانب بقية الصحابة الذين أسلموا معه يوم الفتح، فيقول ابن تيمية: (إنهم من أحسن الناس إسلاماً وأحمد مسيرة لم يتهموا بسوء ولم يتهمهم أحد من أهل العلم بنفاق كما اتهم غيرهم بل ظهر منهم من حسن الإسلام وطاعة الله ورسوله، والجهاد في سبيل الله وحفظ حدود الله ما دل على حسن إيمانهم الباطن وحسن إسلامهم ومنهم من أمره النبي⁽⁴²⁾).

وهذه صفات الإيمان والنبيل والشرف، قد استحقها يعلى بكل جدارة وهو أهل لها.

ولا شك أن شخصية يعلى قد تهيأت لأن يكون لها شأن عظيم في تاريخ الإسلام، ذلك التاريخ المشرق الذي ضم مثل هذه الشخصيات الفذة.

ثانياً: جهاده و غزواته

لا يخفى على أحد أهمية الجهاد في الإسلام، والمنزلة الرفيعة التي يحتلها يقول تعالى:

(الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله و أولئك هم الفائزون)⁽⁴³⁾. إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث النبوية التي تبين فضل ومنزلة الجهاد والمجاهدين وكان يعلى من هؤلاء المجاهدين فقد حرص على إعلاء كلمة الله تعالى ونصرة دينه فلم يتخلف

عن أي مشهد جهادي منذ أن أسلم وكانت أول المشاهد الجهادية له غزوة حنين في السنة (8هـ)، وهي أول اختبار ليعلي بعد إسلامه ففي هذه الغزوة استعان رسول الله e بأهل مكة لإمداد جيشه البالغ عدده اثنى عشر ألف فأقترض من أهل مكة من أثريائهم مالا ووزعه على المحتاجين من الجند الإسلامي ثم لما نصره الله في حنين أعاد إلى أغنياء مكة ما اقترضه وممن استعان بهم رسول الله P يعلى بن أمية حيث استعار منه ثلاثين بعيراً وثلاثين درعاً⁽⁴⁴⁾، وهنا تسكت المصادر فلا تذكر أي دور ليعلي في الغزوة التي تعد من الغزوات الكبرى فقد دارت معركة حامية الوطيس انتصر فيها المسلمون⁽⁴⁵⁾ ولكن في الوقت نفسه تؤكد مشاركته فيها وكذلك في غزوة الطائف⁽⁴⁶⁾ يقول ابن تيمية عن يعلى وغيره من أهل مكة الذين أسلموا عند فتح مكة: (شهدوا مع النبي e غزوة حنين ودخلوا في قوله تعالى: (ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين)⁽⁴⁷⁾ وكانوا من المؤمنين الذين أنزل الله سكينته عليهم مع النبي e، وغزوة الطائف لما حاصروا الطائف..)⁽⁴⁸⁾ إلى أن قال: (وهؤلاء دخلوا في قوله تعالى: {لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلاً وعد الله الحسنى)⁽⁴⁹⁾ فإن هؤلاء -أي أهل مكة الذين أسلموا عند الفتح- هم من أسلم بعد الفتح وقاتل وقد وعدهم الله الحسنى فإنهم أنفقوا بحنين والطائف وقاتلوا فيهما رضي الله عنهم وهم داخلون فيمن رضي الله عنهم حيث قال تعالى: (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم)⁽⁵⁰⁾ وفي السنة (9هـ) كانت غزوة تبوك سميت بغزوة العسرة لما أصاب المسلمين من الضيق الاقتصادي وقتها⁽⁵¹⁾، وما كان عليه الصحابة من العسر الشديد في المال والزاد والركائب⁽⁵²⁾. وقد حث الرسول e على النفقة في هذه الغزوة لبعدها وكثرة المشتركين فيها حيث بلغ عددهم (30) ألف جندي ووعد المنفقين بالأجر العظيم من الله فسارع أغنياء الصحابة وفقراءهم إلى تقديم الأموال⁽⁵³⁾. والحديث عن نفقة المسلمين في غزوة تبوك حديث عن الإيمان والصبر كما هو حديث عن الإنفاق والتضحية بالمال في سبيل الله. وعلى الرغم من تناول المصادر بالحديث عن نفقة المسلمين إلا إنها تسكت عن نفقة يعلى، فلا نعلم هل انفق في هذه الغزوة؟ وما مقدار نفقته؟ ولكن في الوقت نفسه تؤكد مشاركته فيها⁽⁵⁴⁾. فكان يعلى يقول: (تلك الغزوة -أي تبوك- أوثق عملي عندي)⁽⁵⁵⁾. وهذا يدل على عمق الإيمان في قلبه وجرأته من خلال رغبته في جهاد أكبر قوة في الأرض آنذاك

والمتمثلة في إمبراطورية الروم البيزنطيين كما تشير إلى مدى حرص يعلى على عدم التخلف عن أي مشهد جهادي.

وقد أعقبت غزوة تبوك سرايا وبعوث⁽⁵⁶⁾، وبعد تتبع هذه السرايا لا نجد فيها تصريحاً بمشاركة يعلى فيها وهذا ليس بالأمر المستغرب فالمصادر عادة ما تركز على القيادة أو من قدم بطولات في ساحات القتال، أما بقية الجند فإنه كثيراً ما تغفل عن ذكرهم وهذا لا يعني عدم مشاركته في هذه السرايا، ويؤيد ذلك ما رواه البيهقي عن يعلى t حين قال: (كان النبي ﷺ يبعثني في سراياه...) (57) ففي هذا دلالة على إسهامه في السرايا وإن غفلت المصادر عن ذكر هذا الدور. وذكر له موقفاً في إحدى السرايا حيث قال يعلى: (...فبعثني ذات يوم في سرية وكان رجل يركب بغلاً فقلت له: ارحل فإن النبي عليه الصلاة والسلام قد بعثني في سرية فقال: ما أنا بخارج معك قلت: ولم؟ قال: حتى تجعل لي ثلاثة دنانير قلت: الآن حيث ودعت رسول الله عليه الصلاة والسلام ما أنا براجع إليه، ارحل ولك ثلاثة دنانير، فلما رجعت من غزاتي ذكرت ذلك للنبي عليه السلام قال: ليس له من غزاته هذه ومن دنياه ومن آخرته إلا ثلاثة دنانير) (58). وقبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتد في صنعاء الأسود العنسي، وأدعى النبوة واستفحل أمره وقيلبعث إليه رسول الله عليه السلام جرير بن عبدالله البجلي (59) يدعوه للإسلام فلم يجبه (60)، وتذكر المصادر أن النبي بعث بكتاب إلى معاذ بن جبل ومن معه من المسلمين لقتال الأسود العنسي فأخبر معاذ بقية العمال والولاة بالمسير إلى صنعاء لقتال الأسود (61)، فتمركزوا في مشارف صنعاء واتفق قيس بن مكشوح (62) وفيروس (63) مع زوجة الأسود على ثقب البيت والدخول إلى الأسود وقتله وهو نائم وكذلك كان (64). ففتح الباب فدخل المسلمون وانهمزم أصحاب الأسود لما ألقى إليهم قيس برأس الأسود وظهر الإسلام وأهله (65). ثم عاد العمال الذين شاركوا في قتال الأسود إلى أعمالهم في أرجاء اليمن (66). وحين تتحدث المصادر عن قتال المسلمين للأسود لا تذكر دور ليعلى الذي كان عاملاً على الجند هناك ولكن يبدو أنه شارك في إخماد الفتنة وقتل الأسود لأن المصادر لم تشر إلى انسحابه وعودته للمدينة. وفي السنة (11هـ) توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (11-13هـ) وتجري الكثير من الحوادث والفتوحات أهمها حروب الردة ولا نجد ليعلى أثر فيها فالمصادر لا تحدثنا عن دوره في إخماد الفتنة وقتال المرتدين وهي تذكر أن الخليفة أبا بكر t بعد توليه الخلافة عقد الألوية وجهز الجيوش لقتال المرتدين فعقد أحد عشر لواءً وأمر عليهم الأمراء وحدد لكل أمير وجهته (67). ولا نجد ليعلى t ذكر في هذه الجيوش لكن البلاذري يورد رواية يذكر فيها أن يعلى كان من ضمن هؤلاء الأمراء وقد بعثه الخليفة إلى حوْلان (68) من اليمن (69)، لقتال المرتدين هناك. ولم ينته الأثر الجهادي ليعلى عند هذا الحد بل وجد له اسم في الأحداث التي حدثت بعد استشهاد الخليفة عثمان t وتولى علي بن أبي طالب الخلافة (35-40هـ) فيروي أن يعلى كان في الحج ذلك العام الذي قتل فيه عثمان (70)، في حين يروي البعض أنه كان بالجند في اليمن فبلغه استشهاد عثمان t، فأقبل لينصره فسقط عن بعيره في الطريق فانكسرت فخذه

(71) ، في حين يذكر آخرون أن الذي كسر فخذة هو عبد الله بن أبي ربيعة⁽⁷²⁾. ولكن أيا كان الأمر فإن النصوص التاريخية تجمع على أن يعلى شارك في موقعة الجمل سنة (35هـ) بل كان يحض الناس على الخروج وعمل على تجهيزهم وقد تحدثت تلك النصوص عن نفقته t فيقول الذهبي: (فأنفق أموالاً جزيلاً في العسكر كما ينفق الملوك)⁽⁷³⁾. ولكن اختلفت في تقدير تلك النفقة ففي رواية أنه أعان الجيش بأربعمائة ألف وقيلستمائة وقيل غير ذلك. وحمل السيدة عائشة رضي الله عنها على جمل عسكر⁽⁷⁴⁾ وبعد موقعة الجمل⁽⁷⁵⁾ شارك يعلى في صفين سنة (37هـ) مع علي بن أبي طالب t وقتل فيها، كما قال ابن الأثير (76). غير أن بعض المصادر تؤكد تأخر وفاته⁽⁷⁷⁾ والمصادر وإن أشارت إلى مشاركة يعلى في صفين إلا أنها لا تتحدث عن طبيعة وكيفية هذه المشاركة.

ثالثاً : ولايته:

إن المتتبع لحياة الصحابي الجليل يعلى بن أمية t يجدها مليئة بالموافق المشرفة ومنها ولاياته المتعددة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين وهذا دليل على ثقة المصطفعليه الصلاة والسلام به والخلفاء من بعده ، حيث كلف بالقيام في بعض المهمات الحساسة ففي عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ولي على الجند⁽⁷⁸⁾ ، وهي من أعظم أعمال اليمن ومخاليفها⁽⁷⁹⁾ ، وتشير المصادر أن معاذ بن جبل t كان أميراً على مناطق حمير-الجند ومخاليفها- وبها عمال يتبعونه يؤكد ذلك قول النبي: (وأمرهم معاذ بن جبل)⁽⁸⁰⁾ فهذا يبين أن يعلى كان أميراً على الجند تحت إمرة معاذ.

ويرى البعض أن تولي يعلى للجند كان في المدة من (9-10هـ)⁽⁸¹⁾ لأن إسلام ملوك حمير وهم ملوك الجند ومخاليفها⁽⁸²⁾ كان في رجب سنة (9هـ) والتقى بهم النبي مقدمه من تبوك في رمضان (9هـ) فكتب إليهم كتابه⁽⁸³⁾. وبعث معاذ بن جبل وعدداً من الصحابة عمالاً على ذلك القسم من اليمن ونص في الكتاب أن أميرهم معاذ⁽⁸⁴⁾. وفي أثناء ولايته على الجند عمل على إخماد فتنة الأسود مع غيره من العمال- كما مر بنا سابقاً- وتوفي رسول الله ﷺ ويعلى على الجند يدير شؤونها ويجمع صدقاتها فكان معاذ يقبض الصدقات من يعلى وسائر عمال اليمن⁽⁸⁵⁾ ، وفي عهد الخليفة أبي بكر الصديق t استعمله الخليفة الأول على الجند وكان يعلى أثناء ولايته يدير شؤونها ويحكم في الخصومات ويقوم بالحدود دون الرجوع إلى الخليفة في المدينة⁽⁸⁶⁾. وعندما استنفر أبو بكر الناس للجهاد، أرسل إلى أهل اليمن يدعوهم إلى جهاد الروم في الشام وفارس منذ أوائل عام (12هـ)⁽⁸⁷⁾ ، وقد كان لليمنيين حضور في الفتوحات الإسلامية في مختلف الجبهات⁽⁸⁸⁾ ، وكما هو معلوم فإن للولاة دور في إرسال المتطوعين من أهل اليمن للجهاد في الشام والعراق وفارس ومصر ولا بد أن يعلى قام بذلك إلى جانب غيره من ولاة اليمن.

وعندما ولي عمر بن الخطاب الخلافة أقر عمال أبي بكر على اليمن⁽⁸⁹⁾، فكان منهم يعلى بن أمية وقد سطع نجمه في خلافة عمر، وذكره المؤرخون أنه والي عمر على اليمن حتى وفاة الخليفة⁽⁹⁰⁾، ومنهم من ذكر أنه ولي صنعاء وكذلك الجند⁽⁹¹⁾. والبعض ذكر أنه كان عاملاً على صنعاء ومخاليفها⁽⁹²⁾. ولا تعارض في ذلك، فقد كان والياً على اليمن كلها وتتبعه الجند ومخاليفها إلحضر موت وكأن يقيم بصنعاء عاصمة ولاية اليمن⁽⁹³⁾. وأوردت المصادر العديد من الحوادث التي وقعت ليعلى أثناء ولايته لليمن مع بعض الأهالي هناك كما أشارت إلى بعض القضايا التي قدم أصحابها شكاوى ضد يعلى أمام عمر مما دفع بالخليفة لاستدعاء يعلى إلى المدينة عدة مرات حتى حقق خلالها معه عن هذه الشكاوى⁽⁹⁴⁾. كما أوردت المصادر مكاتبات دارت بين الخليفة في المدينة ويعلى تتعلق بأمور الزكاة⁽⁹⁵⁾، وقضايا أخرى كان يعلى يستفتي عمر فيها⁽⁹⁶⁾. وتروي المصادر أن عمر أمر يعلى بإجلاء نصارى نجران لوصية رسول الله⁽⁹⁷⁾ إلى العراق والشام وكتب لهم عمر كتاباً إلى أمراء الشام والعراق بمنحهم أرضاً مكان أرضهم باليمن وجزيتهم عنهم متروكة أربعة وعشرين شهراً فنزل فريق منهم بالشام وآخر بالكوفة⁽⁹⁸⁾.

كما يذكر عن يعلى أثناء ولايته على اليمن أنه أول من أرخ الكتب وهو باليمن⁽⁹⁹⁾، فتذكر المصادر أن يعلى كتب كتاباً مؤرخاً فاستحسن عمر ذلك فشرع التاريخ⁽¹⁰⁰⁾. وكان يعلى أثناء ولايته على اليمن محمود السيرة فساس أهل اليمن سياسة حازمة قوية حتى استقرت الأوضاع فيها يقول ابن خلدون: (استقر اليمن في ولاية يعلى بن أمية)⁽¹⁰¹⁾ ولا عجب في ذلك فقد تمتع يعلى بعدة صفات أهله لهذا المنصب منها: القوة والأمانة الهيبة والتواضع والرحمة بالناس، والحلم والرفق بالرعية والزهد في الدنيا طعاماً ولباساً ودوراً⁽¹⁰²⁾. وكان من مهام الوالي إقامة أمور الدين، وإرسال المتطوعين للجهاد، وتيسير أمور الحجوتقصي أخبار الأعداء، وإعمار الولاية (كحفر العيون والأنهار وتعبيد الطرق وإقامة الجسور والأسواق والمساجد... وغيرها)⁽¹⁰³⁾.

وقد مكث يعلى والياً لليمن طيلة خلافة عمر رضي الله عنه (13-23 هـ)⁽¹⁰⁴⁾ مما يدل على نجاحه في إدارة ولايته على الرغم مما عرف عن عمر من صرامته في محاسبة العمال، فكان يراقب ويحاسب العمال بدقة حتى أنه يستدعيهم في موسم الحج من كل عام لتفقد أحوالهم⁽¹⁰⁵⁾. ويذكر اليعقوبي يعلى ضمن الولاة الذين قاسمهم عمر أموالهم في أواخر خلافته⁽¹⁰⁶⁾.

كما ذكر ابن عبد البر وابن حجر أن يعلى حمى لنفسه حمي مبلغ ذلك عمر فاستدعاه وأمره أن يمشي على رجليه إلى المدينة فمشى من صنعاء

لخمسة أيام أو ستة إلى صعدة⁽¹⁰⁷⁾، وبلغه موت عمر في الطريق، فمضى إلى المدينة فوصلها وقد تولى عثمان^{رضي الله عنه} الخلافة⁽¹⁰⁸⁾. وفي رواية أخرى تذكر أن عمر^{رضي الله عنه} استدعى يعلى للقيدوم إلى المدينة أثار شكوى تقدم بها رجل من أهل اليمن أن موالي يعلى ضربوه، فخرج يعلى حتى إذا كان على مراحل من صنعاء أتاه الخبر بموت الخليفة وبيعة عثمان رضي الله عنهما، واستعمال عثمان له على صنعاء⁽¹⁰⁹⁾، حيث أقره على عمله فبقي والياً عليها طيلة خلافة عثمان^{رضي الله عنه} (23-35هـ)⁽¹¹⁰⁾. فواصل أداء مهام ولايته على خير وجه، وتشير المصادر إلى أن يعلى أول من ظاهر الكعبة بكسوتين أثناء ولايته على اليمن كساها بروداً يمانية وقد أمره بصنع ذلك الخليفة عثمان⁽¹¹¹⁾.

أثره العلمي والفكري أولاً : مكانته العلمية:-

تورد بعض المصادر التاريخية أسماء العلماء الأجلاء على مر العصور وكل بحسب مرتبته العلمية واختصاصه المشهور ومن هؤلاء الذين أشارت إليهم المصادر هو يعلى بن أمية^{رضي الله عنه}، فقد ذكره ابن حبان وعدّه من مشاهير علماء مكة⁽¹¹²⁾، أما ابن سعد فقد عدّه من ساكني مكة كما ذكر أنه: (كان يفتي بمكة)⁽¹¹³⁾ وتشير المصادر إلى أن الصحابة الأجلاء الذين وردت عنهم الفتيا هم أكثر من مائة وثلاثين صحابياً وهم ثلاثة أقسام: القسم الأول وهم المكثرون في الفتيا، والقسم الثاني هم المتوسطون في الفتيا، والقسم الثالث وهم المقلّون من الفتيا لا يروي الواحد منهم إلا المسألة والمسألان والزيادة البسيرة على ذلك⁽¹¹⁴⁾، كما في تصنيف ابن حزم وابن القيم ويلاحظ أنهما لم يذكر يعلى في جملة المفتين؛ على الرغم من أن المصادر تذكر أن يعلى تصدّد للإفتاء ولكن يتبين لنا من هذا أن ليعلى مكانة فقهية وعلمية مرموقة مكنته من أن يفتي في البلد الحرام بل ويترك إرثاً علمياً ومما يؤسف له أن المعلومات في هذا الشأن قليلة لا تتناسب مع حجم الدور الذي قام به يعلى خاصة وأن مكة منذ فتحها أصبحت مهدياً للعلم فقد كان بعض الصحابة رضوان الله عليهم يترددون إليها بعد الفتح كابن مسعود وابن عمر وغيرهما وبعضهم أقام بها وأصبح المسجد الحرام مزدحماً بطلقات رجال الحديث والقراء وأصحاب الفتوى ومن خلال استنطاق النصوص التاريخية المتوفرة من كتب التراجم والتاريخ والحديث تم الحصول على مجموعة لا بأس بها من الحقائق تتبنى الإرث العلمي الذي تركه يعلى^{رضي الله عنه}، وليس هذا وحسب بل عمل على نقل علمه إلى أبنائه من بعده.

فتاوى وأقضية يعلى بن أمية:-

الإفتاء والقضاء مهمتان جليتان لا غنى للمجتمع المسلم عنها فبالأولى يحصل تعلم الدين وفقهه كما تعرف الأحكام الشرعية وبالثانية يفصل في المنازعات ويحسم في الخصومات وتحفظ الحقوق. ويعلى رضي الله عنه ممن عُرف له مشاركات في الاثنين فكما مر بنا سابقاً أن يعلى تصدى للإفتاء بمكة ولكن مما يؤسف له أن فتواه لم يصلنا منها الكثير والمنقول عنه قليل لا يستوفي باباً من الأبواب الفقهية وهي عبارة عن فتاوى وأحكام وسؤالات متفرقة ومبثوثة في بطون الكتب ولم يدون لها كتاب في الفقه يجمع كل مسأله، وهي تشمل عدة جوانب مثل: الطهارة و الصلاة، والزكاة، والاعتكاف، والحج، ومما روي في ذلك ما رواه ابن أبي شيبه عن يعلى رضي الله عنه قال: إنني لأمكث في المسجد ساعة، وما أمكث إلا لاعتكف⁽¹¹⁵⁾. وقد احتج به ابن حزم فقال: (والاعتكاف بلغة العرب الإقامة... فكل إقامة في مسجد الله تعالى بنية التقرب عليه اعتكاف..مما قل من الأزمان أو أكثر، إذ لم يخص القرآن والسنة عدداً ووقتاً من وقت..)⁽¹¹⁶⁾. وقد احتج العلماء بأحاديثه الواردة في كتب الحديث، كما حدث في حديث التطيب عند إرادة الإحرام حيث قال يعلى: (جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ وعليه ردع من زعفران (117) فقال: يا رسول الله إنني أحرمت فيما ترى والناس يسخرون مني، وأطرقه نيهة ثم قال: اخلع عنك هذه الجبة واغسل هذا الزعفران واصنع في عمرتك كما تصنع في حجك)⁽¹¹⁸⁾. فيقول ابن قدامة في ذلك: (وكان عطاء يكره ذلك، وهو قول مالك... احتجوا بحديث يعلى بن أمية)⁽¹¹⁹⁾ وكذلك مارواه: (أن رسول الله ﷺ طاف بالبيت مضطجعاً⁽¹²⁰⁾ ببرد)⁽¹²¹⁾ إلى غير ذلك مما ورد في المصادر وهي وإن كانت قليلة لكنها تبين في مجملها أثره في الإفتاء. وهو لم يصل إلى القدرة على الإفتاء إلا لرغبته وحرصه على التفقه في الدين ومعرفة الأحكام والتشريع الإسلامي، فيروى عن يعلى: (قلت لعمر رضي الله عنه في: ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) وقد أمن الناس؟ قال عمر: عجبت مما عجبت منه، فسألت رسول الله ﷺ فقال: «صدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته»⁽¹²²⁾. وفي حديث آخر يقول يعلى: (طفت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فلما كنت عند الركن الذي يلي الباب مما يلي الحجر أخذت بيده ليستلم، فقال: أما طفت مع رسول الله؟ قلت: بلى. قال: فهل رأيته يستلمه؟ قلت: لا. قال: فأنفذ عندك فإن لك في رسول الله أسوة حسنة)⁽¹²³⁾. فهذه النصوص تؤكد رغبة يعلى في التفقه، ولم يكن الفقه عنده إلا للعمل والتطبيق، لهذا كان اندفاعه للعلم قوياً وعميقاً مما يدل على مكانته العلمية والفقهية.

أما عن القضاء: فيعلى مارس القضاء من خلال ولايته على اليمن

حيث لم تذكر المصادر أن النبي ﷺ و أبا بكر، وعمر، وعثمان قد عينوا قاضياً أثناء ولاية يعلى مما يؤكد ممارسته للقضاء إلى جانب الولاية، وأيضا الشواهد التاريخية تبين ذلك وهذه القضايا تقوم على فض النزاع بين الناس، والفصل في الخصومات واستيفاء الحقوق.

- نماذج من أقضية يعلى ابن أمية أثناء ولايته على اليمن :- ذكرت المصادر عدد من النماذج لأقضية يعلى بن أمية نذكر منها: أ- في عهد الخليفة أبي بكر الصديق:

يروى: (أن رجلاً أقطع اليد والرجل نزل على أبي بكر الصديق، فكان يصلي من الليل. فقال له أبو بكر: مالك بليل سارق، منقطعك؟ قال: يعلى بن أمية ظلماً، فقال له أبو بكر: لأكتبن إليه وتوعده. فبينما هم كذلك إذا فقدوا حلياً لآل أبي بكر، فجعل الرجل يطوف معهم، ويقول: اللهم عليك بمن بيت أهل هذا البيت الصالح، فوجدوا الحلي عند صائغ وأن الاقطع جاء به، فاعترفاً لأقطع، فأمر به أبو بكر، فقطعت يده) (124).

ب- في عهد عمر بن الخطاب:

شكى رجل من أهل خُفَاش⁽¹²⁵⁾ إلى يعلى أن رجلاً من أهل جهته قتل ابناً له، فكتب يعلى إلى نائبه على خُفَاش أن يبعث إليه بالرجل القاتل فبعث به، فأعطى يعلى والد القتيل سيفاً، وطلب منه أن يقتص بابنه، فضربه بالسيف حتى سقط، وظن الحاضرون أنه مات، فحضر جماعة لدفنه فوجدوا به أثر حياة، فداووه حتى برئ وعاد إلى وطنه، فبينما هو يرضى غنماً له رآه والد القتيل، فرفع أمره إليه، فاستدعاه يعلى فوصل وبه أثر الجراحة، فقال يعلى لأبي القتيل: إما أن تدع الرجل وإما أن تقتله، ويعطي وارثه إرش جراحته⁽¹²⁶⁾، فغضب الرجل وذهب إلى عمر بن الخطاب شاكياً من يعلى، فغضب عمر، واستدعى يعلى إليه، فلما قدم يعلى على عمر أخبره بصورة الحال. فتردد عمر في القضية وسأل علي بن أبي طالب، فقال: لقد قضى يعلى بالحق، فرده عمر إلى عمله⁽¹²⁷⁾.

كما تورد المصادر مراسلات عديدة بين يعلى وعمر رضي الله عنهما تتعلق بقضايا الزكاة وقضايا أخرى كان يعلى يستفتي عمر فيها نذكر منها على سبيل المثال: كتب يعلى إلى عمر (إنا نؤتى بقوم قد شربوا الشراب فعلى من نقيم الحد؟ فقال: استقرئها القرآن، وألق رداءه بين أروديه، فإن لم يقرأ القرآن ولم يعرف رداءه فأقم عليه الحد)⁽¹²⁸⁾. ولعل هذا النص شاهد ومعبر عما يعالج في نفس يعلى عندما يتأنى في إقامة الحد والقضاء، حتى يعلم الحكم الصواب، فيبذل قصارى جهده لإصابة عين الحقيقة.

ثالثاً: علمه في التفسير:-

كان ليعلى بن أمية تفسير لبعض الآيات فيروى عن يعلى أنه قال: أن النبي قال: «البحر هو جهنم» قالوا ليعلى كيف ذلك؟ قال: ألا ترون أن الله عز وجل يقول: ناراً أحاط بهم سرادقها قال: لا والذي نفسي بيده لا أدخلها أبداً حتى أعرض على الله ولا يصيبني منها قطرة حتى ألقى الله. (129) ويقول ابن عباس في تفسير هذه الآية: أحاط بهم سرادقها: أي حائط من نار. فالله سبحانه وتعالى يقول: إنا اعتدنا للكافرين ناراً شديدة أحاط بهم سورها (130). وهذا يدل على الفهم الواسع لكتاب الله مع قوة اللغة العربية حتى يعطي يعلى الآية الكريمة تفسيرها الصحيح.

وفي مشهد آخر نجد استشهاد أهل التفسير بأحاديث يعلى فيها هو ابن مردويه يذكر في تفسيره حديث يعلى عن عذاب أهل النار حيث قال: (ينشئ الله لأهل النار سحابة مظلمة، فإذا أشرفت عليهم، نادتهم: يا أهل النار: أي شيء تطلبون؟ فيذكرون بها سحائب الدنيا والماء الذي كان ينزل عليهم، فيقولون: نسأل يارب الشراب، فتمطرهم أمغلاً، تزداد في أعناقهم، وسلاسل، تزداد في سلاسلهم، وجمراً يلهب النار عليهم) (131)

رابعاً: علمه في السيرة:-

مارواه ﷺ في وصفه لوجه النبي e عند نزول الوحي بقوله: (فإذا النبي ﷺ محمراً الوجه يغط ساعة ثم سري عنه فقال: «أين الذي سألتني عن العمرة آنفاً»). (132) إضافة إلى ما سبق ذكره عن قوله في غزوة تبوك والسرايا.

خامساً: علمه في الحديث النبوي:-

لقد نال الحديث الشريف النصيب الأوفر من اهتمام الصحابة رضوان الله عليهم فقاموا بجهود كبيرة في حفظه ونشره بين الناس، فكان الواحد منهم يحكي ما لديه من الحديث، سواء أخذه عن رسول الله e مباشرة أو بواسطة وذلك امتثالاً لقوله عليه الصلاة والسلام: «بلغوا عني ولو آية». (133)

ويعلى بن أمية كان ممن روى الحديث الشريف عن النبي. وقد اختلفت طرق تحصله على هذه الأحاديث فمنها عن طريق حوادث تقع للنبي ﷺ نفسه، فبين حكمها وينشره بين المسلمين بمن سمعوه منه، ومنها حوادث تقع ليعلى أو لغيره من المسلمين فيسأل عنها، فيفتيه e ويحييه مبيناً حكم ما سأل عنه.

-مجموع ما روى:

تشير المصادر التي بين أيدينا أن يعلى روى عن النبي ﷺ تسعة عشر حديثاً، وقيل: له نحو من عشرين حديثاً وحديثه في الصحيحين (134)، وقد ذكرها أصحاب الصحاح والسنن وغيرها من المصادر (135).

- طريقة روايته للحديث:
 - هناك عدة طرق وردت عن يعلى في روايته للحديث النبوي الشريف منها :
 - يحدث عن رسول الله قال:
 - جاء إعرابي إلى رسول الله ﷺ.
 - أن النبي صلى الله عليه وسلم انتهى إلى...
 - غزوت مع رسول الله
 - قلت يارسول الله
 - سمعت النبي
 - بعثني رسول الله
- سادساً: شيوخه:-**

- أولهم وأجلهم وأزكاهم هو النبي فقد روى عنه بعض الأحاديث⁽¹³⁶⁾.
- عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي، أمير المؤمنين، أسلم في مكة وهاجر للمدينة، كان إسلامه عزا للإسلام والمسلمين، ولي الخلافة بعد أبي بكر الصديق سنة (13هـ) فكانت خلافته عظيمة الفتوحات، استشهد على يد أبي لؤلؤة المجوسي سنة (23هـ)⁽¹³⁷⁾.
- عتبة بن أبي سفيان بن حرب القرشي، أخو معاوية بن أبي سفيان أبيه، كان فصيحاً خطيباً، ولاء عمر بن الخطاب الطائف، وولاه أخوه معاوية مصر، شهد موقعة صفين، واجتماع الحكمين بدومة الجندل. توفي سنة 44هـ⁽¹³⁸⁾

سابعاً: تلاميذه:-

- ابنه صفوان وعثمان⁽¹³⁹⁾.
- أخوه عبد الرحمن وإبن أخيه صفوان بن عبدالله⁽¹⁴⁰⁾.
- عطاء بن أبي رباح، أبو محمد، القرشي، مولى بني جمح، من مواليد الجند ونشأ بمكة، قال عنه ابن حجر: ثقة، فقيهاً، عالماً كثير الحديث. وقال الذهبي: الإمام شيخ الإسلام، مفتي الحرم.⁽¹⁴¹⁾ وقال عنه أبو جعفر: خذوا من عطاء ما استطعتم، حدث عن عائشة، وأم سلمة، وأبي هريرة، و صفوان بن أمية وغيرهم، وعنه مجاهد والأعمش وآخرون توفي سنة 128هـ⁽¹⁴²⁾
- مجاهد بن جبر، أبو الحجاج، المكي، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، أصله فارسي، قال عنه ابن حجر: ثقة، إمام في التفسير وفي العلم (146)، وقال الذهبي: الإمام، شيخ القراء والمفسرين، حدث عنه عكرمة، وطاوس، وعطاء- وهم من أقرانه- وخلق كثير. توفي 104هـ⁽¹⁴³⁾
- عكرمة بن عبدالله، أبو عبدالله القرشي، مولى ابن عباس، أصله بربري، اثنى عليه العلماء فقد قال عنه ابن حجر: ثقة ثبت، عالماً بالتفسير، لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر، ولا يثبت عنه بدعه.⁽¹⁴⁴⁾ وقيل لسعيد بن جبير: تعلم أحد أعلم منك؟ قال: نعم، عكرمة. وقال عنه قتادة: كان عكرمة أعلمهم بسيرة النبي e، توفي سنة 106هـ وقيل غير ذلك⁽¹⁴⁵⁾.

- خالد بنديريكالعسقلاني، الشامي، روى عن ابن عمر وعائشة رضي الله عنهما ولم يدركهما ويعلى بن أمية مرسلًا. قال ابن حجر: ثقة يرسل، من الثالثة⁽¹⁴⁶⁾.
- عبدالله بن بابيه، ويقال: ابن باباه، ويقال ابن بابي، المكي، مولى آل جبير بن أبي إهاب، ويقال: مولى يعلى بن أمية. روى عن جبير بن مطعم، وعبدالله بن عمر بن الخطاب، وعبدالله بن عمرو بن العاص، ويعلى بن أمية، وغيرهم وعنه: إبراهيم بن عبيد الزرقى، وعمرو بن دينار، وقتادة، وآخرون. قال عنه أبو حاتم: صالح الحديث، وقال النسائي وابن حجر: ثقة⁽¹⁴⁷⁾.
- عبدالله بن عمرو بن الديلمي، أبو بشر، قال عنه ابن حجر: ثقة من كبار التابعين، ومنهم من ذكره في الصحابة. روى عن أبيه وأبي بن كعب وزيد بن ثابت ويعلى بن أمية وآخرون.⁽¹⁴⁸⁾

ثامناً: وفاته:-

يروى أنه توفي في موقعة صفين سنة (37هـ) حيث شهدا مع علي بن أبي طالب رضي الله عنهما.⁽¹⁴⁹⁾ وقال الذهبي: بقي إلى قريب الستين. وقال: فما أدري أتوفي قبل معاوية أو بعده (150).

ويؤكد ابن حجر ذلك فيقول: ويبدل على تأخر موته أن النسائي أخرج من طريق عطاء عن يعلى بن أمية قال: دخلت على عتبة بن أبي سفيان وهو في الموت، فحدثني عن أم حبيبة، وقد ذكر خليفة وغيره أن عتبة مات سنة سبع وأربعين⁽¹⁵¹⁾.

الخاتمة

يعد موضوع دراسة الصحابة وأحد من الموضوعات التي تستحق البحث والتنقيب وذلك بغرض إبراز دورهم الديني والإداري والاجتماعي ومجاهداتهم طوال حياتهم، لذلك اهتمت الدراسة بشخصية الصحابي الجليل يعلى بن أمية وهو أحد الصحابة الذين عملوا على خدمة الدين الإسلامي ونشر الدعوة طوال حياته العامرة بالعطاء. وقد تتبعت الورقة مولده ونشأته والمهام والمناصب الإدارية التي تقلدها. فكان نعم القائد والإداري والعالم.

النتائج:

- توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج منها:
- تبين من خلال الروايات التاريخية أن الصحابي الجليل يعلى بن أمية ﷺ من المجاهدين الذين اثبتوا صدق نيتهم مع دينهم العظيم ومع نبيهم صلى الله عليه وسلم.
- أن يعلى بن أمية صحابي جليل القدر، كان له من الصفات ما أهله أن يلي عدد من المهام في عهد المصطفى والخلفاء الراشدين من بعده.
- أظهرت الدراسة قيمة مرويات يعلى وأهميتها على الرغم من قلتها، حيث تنوعت الكتب والأبواب الفقهية مثل العبادات والمعاملات وغيره، وهذا يدل على سعة علمه وأهمية مروياته.

- محافظته على نصوص العهد النبوي في القضاء والتقيد بما جاء فيه، والسير في ركابه، والاستمرار في الالتزام به.
- كان علم يعلى عليه السلام مقروناً بما شاهده و وعاه من رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- ظهر التوافق التام في الرؤية والتوجه بين يعلى عليه السلام والخلفاء الراشدين أبا بكر وعمر وعثمان رضوان الله عليهم من خلال بقاءه والياً على اليمن طيلة عهدهم.
- شارك يعلى في الأحداث التي وقعت بعد استشهاد الخليفة عثمان عليه السلام فكان من المجهزين لجيش طلحة والزبير في معركة الجمل ومن المقاتلين فيه.

التوصيات:

- من التوصيات التي خرجت بها الدراسة:
- العمل على دراسة الصحابة رضوان الله عليه بصورة مفصلة من خلال كتب الحديث و التراث والتاريخ وإبراز دورهم للأجيال القادمة من الأمة الإسلامية.
- الاستفادة من علم التاريخ والعلوم الأخرى في الدراسات المتداخلة عن الصحابة وعصرهم.

المصادر والمراجع:

- (1) ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، دار إحياء التراث العربي، دم، 1328هـ، ط1 (661/3) ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، دار إحياء التراث العربي، دم، 1328هـ، ط1 (668/3)
- (2) ابن عبد البر: الاستيعاب: (661/3)
- (3) ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق محمد البنا ومحمد عاشور، دار الشعب، (523/5)
- (4) ابن سعد: الطبقة الرابعة (202/1) ابن عبد البر: الاستيعاب (62/1) ابن حجر: الإصابة (66/1)
- (5) النسائي: سنن، تحقيق حسن عبد المنعم، أشرف عليه شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1421هـ، ط1 (141/7). وممن شهد بداراً والمشاهد مع النبي ﷺ، له دور في فتوحات العراق وفارس. ابن الأثير: أسد الغابة (565/3)
- (6) ابن عبد البر: الاستيعاب (662/3) ابن سعد: الطبقة الرابعة (202/1)
- (7) ابن عبد البر: الاستيعاب (662/3)
- (8) الدارقطني: المؤلف والمختلف، تحقيق موفق بن عبد القادر، دار الغرب الإسلامي، دم، د ت (2120/4)
- (9) ابن عبد البر: الاستيعاب (662/3) القيسي: توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، تحقيق محمد العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993م، ط1 (160/8).
- (10) ابن عبد البر: الاستيعاب (662/3) ابن سعد: الطبقات، أعد فهارسها رياض عبد الهادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دت، دط (178/8) ابن حجر: الإصابة (668/3).
- (11) الزبيري: نسب قريش، عني بنشره ليفي بروفنسال، دار المعارف، د ت، (229) ابن حزم: جمهرة انساب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ/1998م، دط (229) الدارقطني: المؤلف والمختلف (1506/3)
- (12) أصل الحلف العهد بين القوم. وكانت قريش تعقد أحلافاً مع الوافدين إلى مكة من قبائل العرب المختلفة وذلك عندما يرغبون بالاستقرار في مكة ومشاركة أهلها حياتهم، وسموا بالحلفاء. ويذكر ابن حبيب أن لا أحد يستطيع الإقامة بمكة إلا أن يحالف أهلها. وهذه الأحلاف مختلفة في غاياتها وأسبابها. ابن الأثير الجزري: النهاية في معرفة غريب الحديث، تحقيق محمود الطناحي وظاهر الزاوي، دار إحياء التراث، بيروت، دت (424/1) ابن حبيب: المنمق في أخبار قريش، تحقيق خورشيد فاروق، عالم الكتب، بيروت، 1405هـ/1985م (237).

- (13) ابن الأثير: أسد الغابة (523/5) ابن حجر: الإصابة (668/3).
- (14) ابن الأثير: أسد الغابة (424/2) ابن حجر: الإصابة (63 / 2).
- (15) ابن الحسين: غاية الأمانى في أخبار القطر اليماني، تحقيق سعيد عاشور، دار الكتاب العربي، 1388هـ-1968م (84).
- (16) ابن سعد: الطبقات (178/8) ابن حجر: الإصابة (419/4) ابن الأثير: أسد الغابة (283/7).
- (17) أبي حاتم: الجرح والتعديل، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية الهند، دار إحياء التراث، بيروت، 1271هـ-1952م، ط1 (414).
- (18) ابن عبد البر: الاستيعاب (663/3).
- (19) ابن حجر: تقريب التهذيب، تحقيق خليل شيخ، دار المعرفة، بيروت، 1417هـ-1997م، ط2 (352/1) تهذيب التهذيب، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر اباد، الدكن، 1325هـ، ط (399/11)
- (20) لذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1413هـ، ط1 (101/3).
- (21) الذهبي: السير (101/3)
- (22) ابن حجر: التقريب (466/1)
- (23) ابن حزم: الجمهرة (229)
- (24) ابن حزم: الجمهرة (229)
- (25) ابن حجر: التقريب (79/2) ابن حبان: الثقات، مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، 1395هـ/1975م، د. ط (178/5)
- (26) الأزرقى: أخبار مكة، تحقيق رشدي ملحس، دار الثقافة، مكة، 1416هـ/1996م، ط8 (244/2).
- (27) الهام البابطين: الحياة الاجتماعية في مكة منذ ظهور الاسلام حتى العصر الأموي، دم، الرياض، 1419هـ/1998م، ط1 (42).
- (28) ابن حبيب: المنق (239).
- (29) الهام البابطين: الحياة الاجتماعية (42). (25) ابن سعد: الطبقات (202/8) ابن حجر: الإصابة (668/3) تهذيب التهذيب (251/6) الذهبي: السير (101/3).
- (30) الأزرقى: أخبار مكة (245/2).
- (31) ابن حجر: التقريب (387/2).
- (32) ابن عبد البر: الاستيعاب (662/3).
- (33) المزى: تهذيب الكمال، تحقيق بشار معروف، دار الكتب العلمية، دمشق (378/32).
- (34) ابن الأثير: أسد (747/4).

- (35) البيهقي: السنن الكبرى، تحقيق محمد عطا، مكتبة دار الباز، مكة، 1414هـ/1994م، د ط (29/9).
- (36) البلاذري: فتوح البلدان، وضع حواشيه عبد القادر محمد، دار الكتب العلمية، بيروت 1420هـ/2000م، ط1 (67)
- (37) مسلم: الصحيح دار الجيل دار الآفاق الجديدة، بيروت، دت، دت (2/478) والشافعي: الأم، أشرف على طبعه محمد النجار، دار المعرفة، بيروت، 1393هـ/1973م، ط2 (159/2).
- (38) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل، دار سويدان، بيروت، دت ط (228/3).
- (39) ابن تيمية: مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع وترتيب: عبدالرحمن محمد، مكتبة المعارف، الرباط، دت ط (454/4).
- (40) التوبة: (20).
- (41) أبو داود: السنن، دار الكتاب العربي، بيروت، دت، د ط (2/146)، والبيهقي: دلائل النبوة، تحقيق محمود قلنجي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1405هـ، ط1 (5/99).
- (42) البخاري: الجامع الصحيح المختصر، تحقيق مصطفى البغا، دار ابن كثير، بيروت، 1407هـ/1997م، دط (4/1714) ابن هشام: السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، عبدالحفيظ شلبي، دار ابن كثير، بيروت، 1419هـ/1999م، ط1 (4/442).
- (43) ابن الأثير: أسد الغابة (5/523) ابن عبد البر: الاستيعاب (3/662).
- (44) التوبة (26).
- (45) ابن تيمية: المجموع (4/458).
- (46) الحديد (10).
- (47) التوبة (100) ابن تيمية: المجموع (4/459).
- (48) البخاري: الصحيح (2/790) مسلم: الصحيح (5/82).
- (49) مهدي رزق الله: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، دار إمام الدعوة، الرياض، 1424هـ، ط2 (2/190).
- (50) البخاري: الصحيح (4/1714) الواقدي: المغازي، تحقيق مارسدن جونز، عالم الكتب، بيروت، 1427هـ-2006م، ط2 (656).
- (51) ابن سعد: الطبقة الرابعة (1/202) ابن الأثير: أسد الغابة (5/524) الذهبي: السير (3/101).
- (52) الذهبي: السير (3/101).
- (53) ابن سعد: الطبقات (2/169)، وابن هشام: السيرة (4/590).

- (54) البيهقي: السنن (50/9)
- (55) البيهقي: السنن (50/9).
- (56) جرير بن عبد الله البجلي، الصحابي الشهير، يكنى أبو عمر، أسلم سنة عشر وقيل: بل أسلم قبل ذلك، بعثه النبي لهدم ذي الخلصة، شارك في فتوح العراق وكان له أثر عظيم في فتح القادسية، توفي سنة 51هـ وقيل: 54هـ. ابن عبد البر: الاستيعاب (232/1) ابن حجر: الإصابة (232/1).
- (57) البلاذري: الفتوح (71).
- (58) الطبري: التاريخ (231/3).
- (59) قيس بن مكشوح اختلف في اسم المكشوح قيل: هبيرة وقيل غير ذلك المرادي، من وجوه العرب الموصوفين بالشجاعة، كان ذا رأي في الحرب ونجدة، قيل له صحبة وقيل لا، قلعت عينه يوم اليرموك، وشارك في صفين مع علي وقتل يومئذ. ابن عبد البر: الاستيعاب (244/3) ابن حجر: الإصابة (260/3).
- (60) فيروز الديلمي ويقال ابن الديلمي، وهو من أبناء فارس من فرس صنعاء كان كسرى بعثهم لقتال الحبشة، أسلم وحسن إسلامه، وقد بشر رسول الله المسلمين في المدينة بقتل الأسود وقال: قتله فيروز. عاش إلى سنة 53هـ. ابن عبد البر: الاستيعاب (3/204) ابن حجر: الإصابة (3/210).
- (61) الطبري: التاريخ (3/232).
- (62) ابن كثير: البداية والنهاية، تحقيق أحمد جاد، دار الحديث، القاهرة، 1427هـ/2006م، دط (6/299).
- (63) ابن كثير: البداية والنهاية (6/299).
- (64) الطبري: التاريخ (3/322) ابن الأثير: التاريخ، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، دم. د. ط (283).
- (65) حَوْلَان: مخلاف من مخاليف اليمن منسوب إلى حولان بن عمرو بن الحاف بن قضاة، وفيها كانت النار التي تعبدها اليمن. ياقوت الحموي: دار صادر، بيروت، 1995م، ط2 (2/407).
- (66) البلاذري: فتوح البلدان (67).
- (67) ابن حجر: الإصابة (3/668).
- (68) ابن الأثير: أسد الغابة (5/523).
- (69) عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي، أسلم يوم فتح مكة، و ولاه رسول الله ﷺ اليمن ولم يزل عاملها حتى قتل عثمان فجاء لينصره فسقط من راحلته فمات، وقيل كسرت ساقه. ابن سعد: الطبقة (1/340) ابن عبد البر: الاستيعاب (2/298).
- (70) الذهبي: السير (3/237).

- (71)عسكر: اسم الجمل، اشتراه يعلى لعائشة رضي الله عنها وحملها عليه، قيل: اشتراه بمائتي دينار وقيل: بثمانين ديناراً وقيل غير ذلك. الطبري: التاريخ (4/452) ابن كثير: البداية والنهاية (225/7).
- (72)ابن سعد: الطبقة(1/209) الطبري: التاريخ (4/452)عبد الرزاق: المصنف، تحقيق حبيب الرحمن الاعظمي، المكتب الإسلامي، 1403هـ-1983م، ط2(5/456).
- (73)ابن الأثير: أسد الغابة (3/132).
- (74)ابن حجر: الإصابة (3/668).
- (75)الجند: تقع على بعد 21كم شمال شرق تعز، وهي من المدن التاريخية اليمنية المشهورة، اشتهرت في العصر الإسلامي وبها مسجد بناه معاذ بن جبل. الحموي: معجم البلدان www.wikipedia.com(169/2)
- (76)الطبري: التاريخ(3/228)
- (77)ابن هشام: السيرة (4/590)
- (78)محمد الفرخ: اليمن في تاريخ ابن خلدون، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، د.ت، دط (247) هامش(52)
- (79)مخلاف: المخلاف في اليمن كالرستاق في العراق، وجمعه مخاليف، ابن الأثير الجزري: النهاية (2/70).
- (80)ابن هشام: السيرة (4/588)الطبري: التاريخ (3/221).
- (81)ابن هشام: السيرة(4/590).
- (82)الديبع: قررة العيون بأخبار اليمن الميمون، تحقيق محمد الأكوغ، المكتبة التاريخية اليمنية، د.ت ط (75).
- (83)البيهقي: السنن(8/273)الدارقطني: سنن (3/184).
- (84)البلاذري: الفتوح (71)الطبري: التاريخ (3/341).
- (85)البلاذري: الفتوح (71)الطبري: التاريخ (3م341 وما بعدها) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، دم، 1415هـ/1995م (119) وما بعدها).
- (86)ابن حجر: الإصابة (3/669) ابن الحسين: غاية الأمانى (1/83).
- (87)الطبري: التاريخ (4/450).
- (88)ابن عبد البر: الاستيعاب (3/661).
- (89)اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، 1379هـ/1960م (2/161) النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق محمد أبو الفضل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1395هـ/1975م(19/400).
- (90)الفرخ: تاريخ اليمن (281) هامش (7).

- (91) ابن الحسن: غاية الأمانى (1/83).
- (92) القاسم بن سلام: الأموال، تحقيق محمد هراس، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1395هـ/1975م، ط2 (436).
- (93) ابن أبي شيبة: المصنف (9/548).
- (94) قال ﷺ، «لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا ادع إلا مسلماً». كما تورد المصادر عدة أسباب لإخراج عمر النصارى من نجران منها: تعاملهم بالربا وقد صالحهم رسول الله على تركه، فنقضوا العهد، اتخاذهم الخيل والسلاح في بلادهم فخافهم عمر على المسلمين، مسلم: الصحيح (4/1388) أبو يوسف: الخراج (87) ابن قدامة: المغني (9/357).
- (95) ابن سلام: الأموال (1/129) أبو يوسف: الخراج، تحقيق طه عبد الروؤف وسعد حسن، المكتبة الأزهرية للتراث، دت (87).
- (96) إن أول من أرخ بالهجرة في الإسلام هو عمر بن الخطاب في (سنة 17هـ). السيوطي: شماريخ في علم التاريخ، تحقيق عبدالرحمن محمود، مكتبة الآداب، دم، 2010م (11 وما بعدها).
- (97) الذهبي: السير (3/101) وللاستزادة حول هذا الموضوع انظر السيوطي: شماريخ (11 وما بعدها).
- (98) ابن خلدون: التاريخ (2/88).
- (99) أكرم العمري: عصر الخلافة الراشدة، دار العبيكان، الرياض، 1427هـ/2006م، ط5 (115).
- (100) عبد العزيز العمري: الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين، دن، بريدة، 1409هـ، ط1 (2/64-86).
- (101) الطبري: التاريخ (4/451) ابن حجر: الإصابة (3/669).
- (102) ابن عبد الحكم: فتوح مصر (179) أبو يوسف: الخراج (116).
- (103) اليعقوبي: التاريخ (2/157).
- (104) صعدة: مدينة عامرة أهلة يقصدها التجار من كل بلد، وهي خصبة كثيرة الخير، تقع حالياً شمال غرب صنعاء وتبعد عنها حوالي 242 كيلو متراً. ياقوت الحموي: المعجم (3/4069) موسوعة ويكيبيديا www.wikipedia.com
- (105) ابن عبد البر: الاستيعاب (3/661) ابن حجر: الإصابة (3/668).
- (106) بن الحسين: غاية الأمانى (2/85).
- (107) الطبري: التاريخ (4/421) اليعقوبي: التاريخ (2/179).
- (108) الطبري: التاريخ (4/452) ابن كثير: البداية (7/231) الأزرقى: أخبار مكة (1/260).
- (109) ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار، تحقيق مرزوق علي، دار الوفاء، المنصورة،

- 1411هـ/1991م، ط1(58)
- (110)الذهبي: السير (101/3).
- (111)هذا التصنيف أوردته ابن حزم في كتابه: الإحكام في أصول الأحكام، دار الكتب العلمية، بيروت، 1405هـ-1982م، ط1(104/5)وابن القيم: أعلام الموقعين عن رب العالمين، إدارة الطباعة المنيرية، دن، د.ت،(146/4).
- (112)عبد الرزاق: المصنف(345/4).
- (113)ابن حزم: المحلى، دارالفكر، بيروت، د.ت، دط(179/5).
- (114)ردع من زعفران: أي لطح لم يعمّه كله. ابن الأثير الجزري: النهاية(215/2).
- (115)النسائي: السنن،(242/4).
- (116)ابن أبي شيبة: المصنف (548/9).
- (117)ابن حنبل: المسند (468/30).
- (118)ابن كثير: التفسير العظيم، تحقيق سامي سلامة، دار طيبة، 1422هـ/2002م (155/5).
- (119)(118) ابن كثير: النهاية في الفتن والملاحم، دار الجيل، بيروت، 1408هـ-1988م- (177/2).
- (120)(119) الشنقيطي: أضواء البيان، خرج أحاديثه محمد الخالدي، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، د.ت، دط (154/24).
- (121)الاضطباع: هو أن يدخل الرجل رداءه الذي يلبسه تحت منكب الأيمن فيلقيه على عاتقه الأيسر وتبقى كتفه اليمنى مكشوفة.
- (122)أبو داود: السنن، تحقيق محمد محي الدين، المكتبة المصرية، بيروت، (268/4) الترمذي: السنن، تحقيق بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م(206/3).
- (123)مسلم: الصحيح(478/2).
- (124)ابن حنبل: المسند، دارصادر، بيروت، د.ت، دط(536/2).
- (125)البيهقي: السنن (475/8)، الدارقطني: السنن، تحقيق شعيب الارناؤوط و آخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1424هـ-2004م، ط1(243/4).
- (126)خُفاش: جبل باليمن في بلاد حلوان بن عمران من الحاف بن قضاة. الحموي: المعجم (352/3).
- (127)إرش جراحته: أي ديتهها. المعجم الوسيط (13/1).
- (128)ابن الحسين: غاية الأمانى (83).
- (129)البخاري: الصحيح (157/6) مسلم: الصحيح (837/3).
- (130)البخاري: الصحيح (170/5).
- (131) الطبراني: المعجم الكبير، تحقيق محمد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، 1404هـ / 1983م، دط(249/22).

- (132) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، تحقيق محب الدين العمروي، دار الفكر، بيروت، 1412هـ-2001م، د. ط (187/74).
- (133) الطبراني: المعجم الكبير (251/22).
- (134) ابن حجر: الإصابة (668/3).
- (135) ابن عبد البر: الاستيعاب (458/2).
- (136) ابن الأثير: أسد الغابة (86/4).
- (137) ابن عبد البر: الاستيعاب (662/3) ابن الأثير: أسد الغابة (524/5).
- (138) ابن سعد: الطبقات (502/8) ابن حجر: الإصابة (668/3).
- (139) المزي: تهذيب الكمال، تحقيق بشار معروف، مؤسسة الرسالة، دم، 1403هـ-1983م، ط1 (457/20).
- (140) ابن حجر: التقريب (25/2)، والذهبي: السير (82/4).
- (141) الذهبي: السير (79/4).
- (142) الذهبي: السير (80/5).
- (143) ابن حجر: التقريب (237/2).
- (144) الذهبي: السير (450/4).
- (145) ابن حجر: التقريب (35/2).
- (146) ابن حجر: تهذيب التهذيب، (630/5) الذهبي: السير (13/5).
- (147) ابن حجر: التقريب (210/1).
- (148) المزي: تهذيب الكمال (319/4) ابن حجر: التقريب (383/1).
- (149) ابن حجر: التقريب (414/1) التهذيب (432/8).
- (150) ابن حجر: الإصابة (668/3)، ابن الأثير: أسد الغابة (523/5).
- (151) الذهبي: السير (101/3).
- (152) ابن حجر: الإصابة (668/3).

المدارس التاريخية الكبرى الملامح والتطور

أستاذ مشارك
قسم التاريخ والحضارة جامعة أم درمان الأهلية

د. هاجر أبو القاسم محمد الهادي

المستخلص:-

تزايدت القناعة بأهمية المنهج العلمي في الكتابة التاريخية في عالم سريع التحول والتبدل وأصبح المؤرخ مزوداً بمادة علمية راقية المنهج تجعله قادراً على تحليل وتفسير الأحداث التاريخية وفقاً للأدلة العلمية، ويصبح علم التاريخ في مقدمة العلوم التي تستند إلى المناهج العلمية الأصيلة. تشرح الورقة مفهوم التاريخ وأهميته كمدخل لأهمية الكتابة التاريخية، وتبين ملامح المدارس التاريخية منذ العصور القديمة حتى العصر الحديث محاولة إبراز نظريات المدارس التاريخية الكبرى ومناهجها في تفسير الأحداث التاريخية، وتباينت وجهات النظر الفلسفية لتفسير التاريخ، وأياً كانت وجهة انطلاق هذه المدارس سواء أكانت دينية أو مادية أو تقدمية أو إسلامية فإن المنهج المتكامل والشامل للكتابة التاريخية هو ضرورة استصحاب كافة الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في رؤية الأحداث والوقائع التاريخية دون التركيز على عامل دون آخر حتى نصل إلى منهجية علمية سليمة لكتابة التاريخ.

كما بينت الورقة اتجاهات المؤرخين السودانيين في الكتابة التاريخية ومدى تأثرهم بالمنهجية العلمية الأوربية، وأشارت إلى نماذج من هؤلاء الكتاب والمدارس التاريخية التي تأثروا بها.

تهدف الدراسة إلى تبيين أهمية المدارس التاريخية ونظرياتها الفلسفية في تحليل وتفسير الأحداث التاريخية وضرورة الوصول إلى منطلقات سليمة في تفسير الوقائع التاريخية والبحث عن دور تكاملي للمدارس التاريخية في تفسير التاريخ وتستخدم الدراسة منهج البحث الذي يستند على عرض وتحليل الأحداث التاريخية، وتوصل البحث إلى ضرورة استصحاب كافة العوامل المادية والروحية في تفسير التاريخ.

Abstract

The conviction in the importance of the scientific method in historical writing increased in a rapidly changing world, and the historian became equipped with a sophisticated scientific material, the methodology that makes him able to explain and interpret historical events according to scientific evidence, and the science of history becomes at the forefront of sciences that are based on the original scientific methods.

The paper explains the concept of history and how critical it is, as an introduction to the importance of historical writing. It shows the features of historical schools from ancient times until the modern era, attempting to highlight the theories and methods of major historical schools in the interpretation of historical events. There were different backgrounds for historical interpretation. Either it was philosophical, progressive or Islamic, we could conclude that the integrated and comprehensive approach to historical writing is the necessity of accompanying all social, economic and political aspects in seeing historical events and facts without focusing on one factor over another until we reach a sound scientific methodology for writing history.

The paper also showed the trends of Sudanese historians in historical writing and the extent of their impact on the European scientific methodology, and it indicated examples of these writers and the historical schools that they were affected by.

The study aims to show the importance of historical schools and their philosophical theories in analyzing and interpreting historical events, the need to reach sound starting points in the interpretation of historical facts and the search for an integrative role for historical schools in the interpretation of history. The study uses the method of historical research that is based on the presentation and analysis of historical events. The study concluded that the necessity of accompanying all physical and spiritual factors in the interpretation of history.

المقدمة:

تشرح الورقة مفهوم التاريخ وأهميته كمدخل لأهمية الكتابة التاريخية، وتبين ملامح المدارس التاريخية منذ العصور القديمة حتى العصر الحديث في محاولة لإبراز النظريات الفلسفية التاريخية ومناهجها المختلفة. كما بينت الورقة بداية التدوين التاريخي، وأهمية الكتابة التاريخية وتطورها، واختلاف المدارس التاريخية في منهجية تفسير الأحداث التاريخية. واستعرضت الورقة المنطلقات التي استند عليها أصحاب النظريات الفلسفية في تفسير التاريخ، فمنهم من استند إلى التفسير الخرافي، كما ركز بعض الباحثين على الدافع النفسي، إلا أن معظم المؤرخين قد اعتمدوا على الجوانب المادية والاجتماعية والاقتصادية كأساس لتفسير التاريخ. وقد زاوجت المدرسة الإسلامية بين العوامل المادية والروحية للوصول إلى منهج تكاملي في تفسير الأحداث التاريخية.

وأشارت الورقة إلى المنهجية الأوربية الحديثة ومدى تأثير المؤرخين السودانيين بها، مبينة مستقبل الكتابة التاريخية في السودان، وزيلت الورقة بخاتمة ونتائج وتوصيات.

مفهوم التاريخ وأهميته :

التاريخ في اللغة هو التعريف بالوقت، فيكون توقيت الشيء يؤرخ لحدوثه⁽¹⁾ ويقول السخاوي: أن كلمة تاريخ مشتقة من الإرخ «بكسر الهمزة» أو الأرخ «بفتح الهمزة» وتعني وليد البقرة الوحشية وربما كان الإرتباط بين الوليد ولفظ التاريخ قد أتى من أن الوليد قد دخل الزمن أو قد نشأ وابتدأ الحياة، والتاريخ يهتم بالنشأة والميلاد والتطور عبر الزمن⁽²⁾.

واستنتج بعض المستشرقين أن لفظة التاريخ قد تكون عربية جنوبية اعتماداً على أن أول من أرخ هو يعلي بن أمية حيث كان باليمن وكتب إلى عمر كتاباً مؤرخاً فاستحسنه عمر وقال: (هذا حسن فأرخوا)⁽³⁾.

واصطلاحاً هو جملة الأحوال والأحداث التي يمر بها كائن ما على الفرد أو المجتمع، وهو القيام بدراسة تعتمد على حقائق الماضي وتتبع سوابق الأحداث وتفسيرها، فالمنهج التاريخي يحتاج إلى ثقافة واعية وتتبع دقيق بحركة الزمن التي تؤثر بصورة مباشرة أو غير مباشرة على النص التاريخي لذلك وجب ارتباط المنهج بمستويات النقد في كل مراحل المثلة في التفسير والتأويل والتنقيح والحكم كروية واقعية ترتبط بالزمن والعصر⁽⁴⁾.

عرفه عبدالرحمن بن خلدون بأنه خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم، وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل التوحش

والتأنس والعصبيات، وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها ، وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع ، وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الأحوال⁽⁵⁾.

كما عرفه بأنه فن من الفنون التي تناولتها الأمم والأجيال وتشد إليه الركائب والرحال وتسمو إلى معرفته السوقة والأغفال، وتتنافس فيه الملوك والأقبيال ويتساوى في فهمها العلماء والجهال، إذ هو في ظاهرة لا يزيد على إخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأولى، تنمو فيه الأقوال. وتؤدي لنا شأن الخليفة كيف تقلبت بها الأحوال ، واتسع للدول فيها النطاق والمجال ، وعمروا الأرض حتى نادى بهم الترحال⁽⁶⁾.

وعلم التاريخ هو نوع من أنواع البحث العلمي يهدف للكشف عن جهود الإنسان في الماضي وهو سلسلة من الأحداث⁽⁷⁾، والتاريخ يعني قيد الحوادث ويهدف إلى معرفة الأجيال والرواة عنهم⁽⁸⁾. ويشمل التاريخ الماضي والحاضر والمستقبل وهو نهر الحياة المتجدد⁽⁹⁾، وقد ظهر في اليونان في العصر الخامس قبل الميلاد⁽¹⁰⁾.

علم التاريخ يعني الفاعلية الفكرية الإنشائية لكتابة الماضي وما وراء التاريخ Metahistory يعني البحث عن القوى والعوامل ألتب تسير التاريخ، وأن التاريخ هو علاقة الإنسان بالزمن والأرض، التاريخ هو الماضي الذي تملك عليه دليلاً تاريخياً¹¹.

والإهتمام بالتاريخ ليس قاصراً على المتخصصين والباحثين في مجاله ، بل هو مجال يستهوى كافة شرائح المجتمع مما جعله أوسع الدراسات لأنه سجل للأعمال البشرية ، وراصد لمعظم أوجه الحياة مع تفسير وتحليل وتعليل للحوادث والوقائع ، وتوضيح لأسباب ارتقاء الإنسان وانحداره وتدهوره عبر العصور المختلفة⁽¹²⁾.

وسرت في الدراسات التاريخية ما يسمى بالنزعة الطبيعية كإنعكاس لمنهج العلم الطبيعي على التاريخ⁽¹³⁾.

بداية التدوين التاريخي:

تختلف الآراء حول بداية التدوين ، فهناك من يرى أن التدوين بدأ في مصر القديمة بينما يرى فريق آخر أن بداية التدوين كانت في العراق.

وأقدم الحضارات التي وصلتنا منها أخبار مسجلة هي حضارة مصر وسومر وبابل والصين من خلال ما نقشوه على الحجر والطين وجدران المعابد والقصور ، وحينما تأثرت الثقافة المصرية القديمة بالثقافة الإغريقية ، ظهر أثر هذا التدوين التاريخي في القرن الثالث قبل

الميلاد ، والجدير بالذكر أن البابليين والآشوريين قد تقدموا قليلاً على قدماء المصريين في جميع الوثائق التاريخية⁽¹⁴⁾.

كما تفوق الصينيون على سائر الأمم الشرقية في التدوين التاريخي والسبب في ذلك فرط إهتمامهم بأخبار أسلافهم ، كما ارتبط تاريخ الهند القديم بالأساطير، وليس لهم تاريخ قومي مكتوب لتعدد الأجناس والشعوب وبالتالي تعدد اللغات والعادات والتقاليد.

غير أن بداية ظهور التاريخ العلمي ارتبط بكتابات بعض المؤرخين الإغريق وبنظرتهم وفهمهم للتاريخ ومنهم هوميروس (صاحب ملحمة الإلياذة والأوديسا) والتي حوت جوانب تاريخية ومعلومات وافرة عن المجتمع الإغريقي، وفي القرن السادس قبل الميلاد بدأ المؤرخون الإغريق يحررون تاريخ بلادهم من الأساطير وكان هذا تطوراً مهماً في التدوين التاريخي أي ظهوره كعلم بالمعنى الحديث ، وفي القرن الخامس قبل الميلاد ظهر هيرودتس الذي يعتبر أول المؤرخين الإغريق على الإطلاق ، وقد وضع هيرودتس ومن جاء بعده النظرية العلمية للتاريخ التي أتمت بالدقة ، والكشف عن أسباب الحوادث ، وبالموضوعية العلمية.

أما عن التدوين في القرون الوسطى (الرابع الميلادي) فقد تزامن مع انتصار المسيحية على الوثنية الرومانية وأصبح بعدها التاريخ خاضعاً للكنيسة ورجالها وتمحورت الكتابة حول أخبار القديسين والبابوات ومعجزاتهم وكراماتهم⁽¹⁵⁾.

تطور الكتابة التاريخية في العصر الإسلامي :

على الرغم من أن نشأة علم التاريخ عند العرب إرتبطت بظهور الإسلام إلا أنهم كانت لهم نظرتهم الخاصة للتاريخ فقد كانوا يتناقلون أيامهم وأحداثهم عن طريق الرواية الشفوية والأشعار والأخبار ، ولم يكن للعرب تاريخاً مدوناً بإستثناء بعض النقوش على المباني القديمة في اليمن والجزيرة ولم تكن هناك مدونات تاريخية عن الأحداث السابقة للإسلام.

ولما جاء الإسلام وقامت الدولة الإسلامية أصبحت الحاجة ماسة لتدوين التاريخ ، فأقترن التاريخ عند المسلمين بتفسير القرآن الكريم ورواية الحديث النبوي كما أهتم بدراسة السير والمغازي.

ومن أشهر كتب السير والمغازي ابن اسحق ت 152هـ والتي أختصرها ابن هشام ت 218 هـ وهناك الواقدي وابن سعد ، وكان مركز نشاط الحركة التاريخية بمكة والمدينة ، وعندما اتسعت الدولة الإسلامية شرع المؤرخون في التدوين التاريخي في القرن الثاني الهجري بالاعتماد في الكتابة التاريخية على

الكتب التاريخية التي كتبها الأولون بالإضافة إلي الذاكرة والحفظ ، وتحروروا تدريجياً من طريقة الإسناد ، وأكتفوا بإيراد الأخبار غير مسندة أمثال اليعقوبي ت 284 هـ والمسعودي ت 346هـ⁽¹⁶⁾.

الطبري هو أحد كبار المؤرخين المسلمين الذين قاموا بإسهامات عظيمة في مجال التاريخ، ويعد كتاب تاريخ الأمم والملوك أوفى عمل تاريخي بين مصنفات العرب وصاغه في طريق إستقرائي شامل بلغت فيه الرواية مبلغها من الثقة والأمانة والإتقان، وأكمل ما قام به المؤرخون قبله كاليعقوبي والبلاذري والواقدي وابن سعد، ومهد السبيل لمن جاء بعده كالمسعودي وابن الأثير وابن خلدون.(توثيق)⁽¹⁷⁾

إلا أنه يؤخذ على الطبري في منهجه أنه اكتفى بالاسناد في الأخبار دون تمحيصها ونقدها والتدقيق فيها ، فالمنهج النقلي منهج قاصر وذلك بتعطيل حجج العقل واستنباط الفكر، وهذا لا ينفي القيمة الفلسفية الكبيرة لكتاب الطبري لكنه يحتاج إلى التمحيص والتدقيق⁽¹⁸⁾.

وأخذت الكتابة التاريخية أشكالاً عدة فظهرت أنماط من التاريخ مثل التاريخ الحولي ، ثم التاريخ حسب الموضوعات ، والتاريخ حسب الأنساب والطبقات والتواريخ العالمية وغيرها.

وتطور علم التاريخ عند الغربيين ونال دفعة كبيرة بفضل جهود مدرسة برلين وقائدها فون رانكه (1795-1866) وألتي توجت بأن أصبح التاريخ علماً قائماً بذاته له أصوله وقواعده وكراسيه وأقسامه في الجامعات، ودعا رانكه إلى معرفة الأحداث والأحوال الماضية كما كانت تماماً، مما دفع إلى الاهتمام بالوثائق ومخلفات الماضي اهتماماً بالغاً ، فوضع رانكه الأسس العلمية للنقد التاريخي وعمل على تأكيد مغزى الأحداث واستمرارها وادراك حركة التطور التاريخي⁽¹⁹⁾.

تنطلق المسألة من رؤيتنا لأحداث الماضي بصورة مباشرة من تأثرنا بالعصر الحاضر ومفاهيمه أي أننا نرى الماضي بمرآة الحاضر ، فالماضي لا وجود له في ذهن المؤرخ كما يقول كروتشه ، وذلك يعنى ان كل التاريخ تاريخ معاصر، وأن حقائق التاريخ لا تستمد أهميتها إلا بما يصبغه التفسير عليها. وعمل المؤرخ يتم بمرحلتين أولاهما : تنظيم الوقائع والكشف عن تفاصيلها وتثبيت الحقائق المتصلة بها بعد نقدها ، ولا قيمة للتاريخ الذي يعطيه هذا العمل إلا من حيث كونه مادة أولية للمرحلة الثانية التي هي عملية تحليل الوقائع وتعليلها وبيان ترابطها النسبي ، وهذا عمل فكري تجريدي شبيه بالعلم في البحث عن الأسباب والعلل⁽²⁰⁾.

وفي نظرية المعرفة يدعو الكثير من العلماء والفلاسفة إلى المنهج التاريخي بمعنى تفسير اللغة والثقافة والدين حسب السياق التاريخي ، ويرفض أصحاب هذا الاتجاه النظريات التي لا تعد الزمان عنصراً في تفسير الأحداث واستخدام لفظ التاريخية عموماً للدلالة على معنيين الأول يؤكد أن مجرى التاريخ تحدده قواعد عامة ، والثاني أن معرفة هذه القوانين تمكننا من التنبؤ بالمستقبل باعتبار أن هناك سنناً تحكم تطور المجتمعات ومجرى التاريخ⁽²¹⁾.

التاريخ وكيف نفسه:

ما المقصود بتفسير التاريخ ؟ ولماذا نفسه؟ وما صلة ذلك بمنهج البحث وفلسفة التاريخ؟ وماهي مدارس اتجاهات التفسير في العصر الحديث بدءاً من التفسير اللاهوتي وحتى تفسير ارنولد توينبي؟، وهل ثمة قانون وراء أحداث الماضي؟، وماهو واجب المؤرخين إزاء الرؤى والاتجاهات التي قدمها اصحابها لتفسير الماضي⁽²²⁾؟.

العلاقة بين التفسير والتعليل :

أولاً يجب التفريق بين التعليل والتفسير فالتعليل هو ذكر سبب الواقعة أو الموضوع المحدد، التعليل يعنى البحث عن العلل والأسباب وهذا يوصل بالأحداث التاريخية الجزئية أو موضوعات محددة يتناولها المؤرخ، أما التفسير فهو امتلاك رؤية لفهم مسار حركة التاريخ والقوانين التي تسيهه ، واستنباط الحقائق الكلية التي تحدد مساره⁽²³⁾، و ابراز العوامل المسيرة لحركة التاريخ مما يفضى إلى استنتاج قوانين وراء حركة التاريخ⁽²⁴⁾.

قد تكون الرؤية مثالية عقلية أو دينية إيمانية أو مادية اقتصادية أو متصلة بعبادة الفرد والبطولة أو مرتبطة بالحضارة ودوراتها وأياً كانت دوافع الرؤية لتغيير التاريخ فلا بد من وضع تصور كامل لتفسيره يستصحب كافة المنطلقات المادية والروحية والعلمية والفكرية لتصل إلى ابراز حقيقي للعوامل التي تسيه حركة التاريخ⁽²⁵⁾.

المدارس التاريخية الكبرى :

المقصود بتفسير التاريخ هو البحث عن العوامل المؤثرة في مسيرة التاريخ، وغالباً ما تكون هذه العوامل أو الدوافع هي نفسها البواعث التي تدفع الإنسان للحركة والتصرف، والتي تصبغ عمله وتصرفه وحركته بسمات خاصة، وهذه الدوافع فردية أو جماعية هي العناصر الكامنة وراء حركة التاريخ⁽²⁶⁾.

المدارس التاريخية هي مدارس ارتبطت بجماعة من المؤرخين والفلاسفة، لكل مدرسة فكرها ونظرياتها وفلسفاتها التي تحاول عن طريقها تفسير وتعليل حركة التاريخ، أي هي محاولات لاستكشاف أحداث التاريخ الماضية وعللها وأسبابها، وهي في الواقع الإجابة عن سؤالين جوهرين هما لماذا وقعت حادثة تاريخية ما؟، وكيف حدثت؟، ولماذا اتخذت تلك الحادثة شكلها المعين؟⁽²⁷⁾

هذه هي فلسفة التاريخ التي تقوم على فكرة أن التاريخ يحكمه قانون ما، ولا بد من الكشف عن القوانين العامة التي تحكم التاريخ، ولعل لكل مدرسة في تفسير التاريخ نظريتها التي تستند فيها لعامل واحد أو لعدة عوامل كقوانين مسيرة للتاريخ، فمنهم من يرى الآلهة أو الأرواح هي القوى المحركة للكون، وفي العصر الحديث قوي الإيمان بالعلم، فأخذ الناس يتطلعون إلى العوامل الطبيعية والاجتماعية المؤثرة في الحياة الإنسانية⁽²⁸⁾.

هناك من يرى أن الجنس البشري أو العرق هو القوة المحركة لمسار التاريخ باعتبار أن هناك خصائص معينة تتحكم بالضرورة في صناعة البشرية، وهذه النظرة العنصرية لا تكاد تجد صدى وقبولاً من الباحثين في العصر الحديث⁽²⁹⁾.

التفسير الجغرافي للتاريخ:

عادة ما يبدأ الباحث بتوطئة جغرافية يحدد بها الحدود المكانية للدولة التي يؤرخ لها، ولا يكتفي بالحدود السياسية، بل يورد بعض اللامحات الجغرافية الخاصة بالمنطقة، أو يقدم الحقائق الجغرافية التي تخدم بحثه، غير أن التفسير الجغرافي للأحداث التاريخية قد يقود إلى أخطاء جسيمة⁽³⁰⁾، ولا ننكر علاقة البيئة بالإنسان، فالأحداث التاريخية تتأثر بالجغرافية ولكن دون أن تكون الجغرافيا هي العامل الأساسي في توجيه الأحداث التاريخية، بالرغم من أن الجغرافيا من الشروط الأساسية للبحث العلمي التاريخي⁽³¹⁾.

وهناك من يرى أن العامل الجغرافي والطبيعي أساساً لتاريخ الأمم والشعوب، فيختلف تاريخ الناس باختلاف العوامل الجغرافية، غير أن هذا المبدأ لم يجد قبولاً أيضاً لدى الباحثين باعتبار أن الجغرافيا تدخل في تحديد التطور الاجتماعي والثقافي للأمم بارتباطه ببقية عوامل أخرى للتحكم في مسار التاريخ⁽³²⁾. مع الأخذ في الاعتبار أن الإنسان يستطيع أن يؤثر ويغير في العوامل الجغرافية⁽³³⁾.

وقد تبين لكثير من المفكرين أن المسألة التاريخية من التشابك والتعقيد بحيث لا يستقيم معها أي تفسير يعتمد على عامل واحد في تفسير الأحداث ، فهناك من الأحداث ما يتحدى كل تنبؤات المؤرخين وقياساتهم المنطقية في التاريخ .

التفسير الخرافي للتاريخ :

هناك حوادث تاريخية تناولها الكهان والقصاصون والشعراء بالخيال والمبالغة والتقديس حتى أخرجوها عن نطاق التاريخ إلى جو الخرافة ، وقد انتشر التفسير الخرافي للتاريخ في الأزمنة القديمة التي ارتبطت للناس بالغيبيات والأساطير ، ولكن هذا التفسير بدأ يضعف على عهد الأغرريق عندما بدأ الفكر الفلسفي يسود ويقوى⁽³⁴⁾.

التفسير النفسي للتاريخ:

ركز بعض الباحثين على العواطف البشرية في تسير أحداث التاريخ، ومن القائلين بالعامل النفسي يعللون ذلك بأن الزعماء والقادة يدفعون الجماهير للحركة بإثارة عواطفهم⁽³⁵⁾، غير أن هؤلاء فشلوا فشلاً ذريعاً حين فسروا الأحداث التاريخية بالدوافع النفسية إذ قد يكون العامل النفسي يمثل جانباً صغيراً مع غيره من العوامل التي تؤثر في مسار حركة التاريخ ولكن حتماً لن تكون هي المؤثر الأساسي في اتجاه حركة الأحداث التاريخية.⁽³⁶⁾

التفسير الديني للتاريخ :

نظرية التفسير الديني أو اللاهوتي للتاريخ التي تقوم على أساس الاعتقاد بأن هناك قوى محركة لجميع الأحداث والأعمال البشرية ، هذه القوى تمثلها «الارادة الإلهية» وهذه القوى تفرض سلطانها على البشر وجميع أعمالهم على نحو معين ، وتقودها تجاه مصير محتوم ومحدد بشكل لا يمكن الخروج عليه أو تعديله، ونجد أن أوغسطين قد ربط أحداث الأرض بإرادة الرب التي تحكم العالم وتسيره ، وأن الرب قد قسم البشر إلى فئتين مؤمنة تعبد الرب ، وكافرة تعبد الشيطان، ومصيرهما هو التصارع حتى نهاية الأيام. كان هذا الاتجاه في العصور القديمة حيث كان الحكام والكهان يشرعون القوانين ويطبقون الأحكام على أساس أنها مستمدة من التشريع الإلهي، ومن ثم فإن مخالفتها تستوجب العقوبات القاسية التي قد تصل للموت⁽³⁷⁾.

ولعل أهم ما يعيب هذا المنهج هو أنه يتجاهل دور البشر في جميع التاريخ ومصادره محدودة تقتصر على النصوص المقدسة وتفسيراتها حيث يصعب النقد والتحليل فيها، واستمرت تلك النزعة اللاهوتية حتى أواخر القرن الثامن عشر⁽³⁸⁾.

ويشير هذا التفسير إلى اعتبار التاريخ مسرحاً لتحقيق إرادة الله في الأرض، وهذا يعني أن للخالق سبحانه وتعالى دوره الفعلي في تسيير حياة الناس، وهذا يعني أن الإنسان مسير في تصرفاته إلى حد كبير، وأن مجال الاختيار في مسيرته تلك محدودة، وبناءً على هذه النظرية يفسر المؤرخون القائلون بها لماذا أرسل الله سبحانه وتعالى الرسل والأنبياء، وتشترك الأديان التوحيدية الثلاثة في هذه النظرية، فهي كلها تربط ربطاً لا انفصام فيه بين الله والتاريخ، وعلى هذا الأساس تبني اليهودية نظريتها على تاريخ الشعب اليهودي وتفسر التاريخ تفسيراً دينياً، وأن الجنس اليهودي هو شعب الله المختار ليؤدي إلى الأرض رسالة السماء، كما قالت المسيحية بهذا التعليل الديني لحوادث التاريخ، وكذلك جاء الإسلام ليؤكد أن لحياة البشر وتاريخهم بداية ونهاية وهدفاً تسيير إليه، وقد سادت هذه النظرية الدينية للتاريخ عند العديد من المؤرخين في العصور الوسطى⁽³⁹⁾.

وهذا النوع من التفسير شائع بين الباحثين اليهود وهم يتخذون التوراة مصدراً للتاريخ رغم ما اعترأها من تشويه و تبديل⁽⁴⁰⁾.

وهكذا اتخذ تفسير التاريخ في العصور الوسطى في نظر بعض الفلاسفة طابعاً لاهوتياً، واعتبروا ذلك نوعاً من الأباطيل، لأن مهمته صارت الوعظ والإرشاد، فضلاً عن تجاهل هذا التفسير لدور البشر في صنع أحداث التاريخ، أو جعله دوراً ثانوياً محددًا. لكن يبقى من هذه النظرية - نظرية العناية الإلهية - أنها أول محاولة تعبر عن نظرة كلية للتاريخ لتفسير معناه ومسار وقائعه⁽⁴¹⁾.

التفسير التقدمي للحضارة عند الفلاسفة التنوير (نظرية التقدم):

ومع بداية عصر النهضة الأوروبية ونمو الحركة الإنسانية والعقلانية وازدياد التطور العلمي خاصة في القرنين السابع عشر والثامن عشر، وظهور ما سمي بعصر التنوير وبروز النزعة الطبيعية بفضل اكتشاف قوانين «نيوتن» للجاذبية، و«جلبرت» للمغناطيسية و«هارفي» للدورة الدموية واكتشافات «بويل» في الكيمياء، كل هذا كرس الاتجاهات العلمية وانعكس بدوره على الدراسات التاريخية، فبرزت النزعة التقدمية التي سادت عصر التنوير في مقابل سلطة الدين، ووصل التيار النقدي إلى غايته بمحاولة إخضاع الوقائع التاريخية الواردة بالكتاب المقدس للنقد، كما برزت النزعة الإنسانية التي تعلي قدر الإنسان وتدعو لتحريره من سلطة الدين الذي يعتبره وارثاً للخطيئة الأولى، فأصبحت أفعال الإنسان موضوعاً للتاريخ بصرف النظر عن التقييم الديني لها، واستبدعت أي قوى غيبية تسيير مصير التاريخ البشري، كما بدأ التعليل الميتافيزيقي للتاريخ الكلي يضعف تدريجياً.

وقد رأى فولتير كذلك أن وقائع التاريخ تعوزها الحكمة أو الفلسفة، ومساره ينقصه المعنى والمغزى ، وذلك ما اغفله المؤرخون واهتم به فلاسفة التاريخ، كما أبدى اهتماماً واسعاً بالتاريخ للحضارات، لا الملوك ولا السياسة ولا الحروب⁽⁴²⁾.

التفسير البطولي للتاريخ :

ويعتبر البطل في التاريخ هو النموذج الذي سجلت لأجله الأحداث مما يتوافق مع سجل المنجزات التي يخلدها هذا الفرد في المجتمع ، والذي يعد هو المحرك وأساس أي أزمة أو ثورة أو حرب أو تغيير عظيم يؤثر على المجتمع وأفراده ، ومن أهم منظري هذا الاتجاه في الأزمنة الكلاسيكية بلوتارك Plutarch وفي العصور الحديثة هاربرت سبنسر harpertspscner وتوماس كارلايل Thomas Carlyle ووجه النقد لهذه النظرية لأنها تعطي مبرراً للانفراد باتخاذ القرارات في الحكم وهو ما قد يؤدي إلى الديكتاتورية⁴³.

وأصحاب هذه المدرسة يرون أن صانعي التاريخ هم عظماء الرجال فهم القوة التي تحرك التاريخ ، فالفرد هو الذى يقود أمته ويتغلب على أعدائها ويقيم دعائم ملكها ، بل هو الذى يخلق تاريخها وحضارتها ، لذلك نرى أن أهمهم ترفع من شأنهم وتحيطهم بهالة من التبجيل والتقدير ، والتاريخ في نظر هؤلاء مرتبط بشخصيات السياسة والقادة العسكريين كالاسكندر الأكبر وقيصر وصلاح الدين الأيوبي وغيرهم ، ولكن هذه النظرية جاءت منافية لروح العصر لا سيما في أوروبا إذ أن المجتمعات الديموقراطية تقف من هذه النظرية موقفاً فيه شئ من الحذر والتشكيك لاسيما البطولة السياسية لاقتران هذه البطولة بالاستتار بالسلطة ، والعمل على اضعاف المؤسسات الديموقراطية وخوفاً من أن تنقلب الزعامة السياسية إلى دكتاتورية، وذلك أمر سهل الحدوث⁽⁴⁴⁾.

التفسير الإجتماعي للتاريخ :

وضع ابن خلدون قواعد لتفسير التاريخ على أساس اجتماعي ونفى أن يكون هناك أثر للخرافات في تعليل حوادث التاريخ ، وبرهن أن حوادث التاريخ مقيدة بقوانين طبيعية واجتماعية لا تستدعي بقية ظواهر الكون .

فهو من أوائل الذين اهتموا بالتعليل الصحيح للتاريخ وأول من كتب في فلسفة التاريخ ، ولعل أهم خصائص منهج ابن خلدون هو التفاته واهتمامه بالقوانين الاجتماعية التي تخضع لها الظواهر التاريخية ، فمثل هذه الظواهر تحكمها قوانين ثابتة شأنها في ذلك شأن الظواهر الطبيعية⁽⁴⁵⁾. وهو يركز على حقيقة أساسية هي أن أحداث التاريخ يفسر بعضها بعضاً⁽⁴⁶⁾

التفسير الوضعي للتاريخ :

المذهب الوضعي يطالب بأن لا يتجاوز الفكر الانساني الظواهر الطبيعية ، ويعتبر العلوم الطبيعية مثلا للمعرفة اليقينية ، فالعلم وحده هو المعرفة اليقينية ، لذلك ساد العلم ، وانعكس ذلك على التاريخ فيما يعرف بالمذهب الوضعي ، ومن رواد هذا الاتجاه عالم الاجتماع . ومؤسسه الشهير «أوجست كونت (1798-1857) ، الذي يرى أن علم الاجتماع هو بداية كل فلسفة حقيقة ونهايتها»⁽⁴⁷⁾.

التفسير المثالي (العقلي والروحي) :

وتنطلق «مدرسة المثاليين» أو التفسير العقلي للتاريخ والتي مثلتها فلسفة هيغل (1770-1831) خير تمثيل (وبلورها «مومسن» ، «مشيليه» ، «ورانكه» بل و «كولنجود» مع بعض الاختلافات ؛ من جعل الذات وليس الموضوع هي محور المعرفة التاريخية ، والذات هنا هي روح عقل المؤرخ ، بينما الموضوع هو حقائق التاريخ أو مخلفاتها . ويرى هيغل أنه لا بد من الفحص النقدي للتاريخ ، أي استخدام مناهج البحث للتحقق من صحة الوقائع ثم تقديم وجهة نظر المؤرخ عن مسار التاريخ ككل .

التفسير الاقتصادي أو المادي للتاريخ :

هو التفسير الذي قدمه «كارل ماركس» (-1818 1883) و«فريدريك انجلز» (1820 1895-) ومن ساروا على هدى فلسفتها ، رغم أن ثمة اراءات سبقتهم عند «سان سيمون» (1760-1825) الذي عكف على دراسة التاريخ الأوربي منذ سقوط الإمبراطورية الرومانية ، ورآه صراعا بين الطبقات ومثل «أوغسطين تييري» (-1795 1856) الذي درس جمهور الناس (الطبقة الثالثة) ، ليعمق فكرة دور الطبقة الثالثة باعتبارها مصدر الثورة وأساس الانتاج ، وصراعها مع الطبقة القوية المستتدة ، وهاجم فكرة دور الأبطال في صنع التاريخ⁽⁴⁸⁾.

وكثير من الهجرات الجماعية عبر التاريخ لا يمكن تفسيرها إلا تفسيراً اقتصادياً ، وتحركات القبائل العربية كانت بحثاً عن الكلاً والماء ، وحركة الكشوف الجغرافية التي قادها البرتغاليون كان هدفها الأساسي الوصول لبضائع الهند ومع هذا فإن الاغراق في التفسير الإقتصادي كثيراً ما يجنح بالباحث عن الطريق السليم⁽⁴⁹⁾.

نظرية التحدي والاستجابة عند توينبي :

إن فكرة التحدي والاستجابة challenge and response إذن تعتبر مفتاحاً لنظرية التاريخ ، ومن المهم ملاحظة أن توينبي كان مؤرخاً - لا فيلسوفاً - وأنه توصل لنظريته بعد دراسة تاريخية واسعة شاملة ، فاكتسبت آرائه ميزة كبرى ، فدرس التاريخ على أنه كل واحد ، أو تجربة واحدة تمت على مراحل أو دورات ، لقد بدأ من سبقوه بدراسة تاريخ المصريين القدماء للإغريق والرومان ، ثم استمروا حتى القرن التاسع عشر ، فجاءت دراستهم ناقصة في فهم التجربة الانسانية ، أما توينبي فقد أنفق جهداً ضخماً في فهم تجارب أمم الشرق جميعاً ، بل والهنود الحمر ، فكانت دراسته للتجربة الإنسانية أعم وأشمل ، كما شمل تاريخه الاحساس بوحدة الإنسانية وتجربتها الحضارية . والملاحظة الهامة التي تميز نظرية توينبي أنها ترد الحضارات إلى الأديان ، فالامبراطوريات ليست هي مقياس الحضارة ، بل هي تمثل مرحلة انهيار الحضارة ، بينما الأديان هي التي تسير مجرى التاريخ ، ووراء كل من الحضارات القائمة الآن ديانة عالمية ، ويستبعد توينبي عامل البيئة الجغرافي بمفرده ليقاظ الجنس البشري وصنع الحضارة ، كما يؤكد اخفاق نظرية الجنس (العرق) في تفسير الحضارة ، فلا تقوم الحضارات نتيجة لعوامل جغرافية أو عرقية ، والظروف الصعبة هي التي تستحث الإنسان على التحضر وتدفعه إلى التطور والتقدم⁽⁵⁰⁾.

التفسير الإسلامي للتاريخ :

التفسير الأوروبي ليس هو التفسير النهائي ففي الغرب تفسير للتاريخ الليبرالي والمادي وهما لا يختلفان كثيراً في الجوهر ، فهما يتناولان من حياة الإنسان الجوانب الأقرب إلى عالم المادة وعالم الحس ، ويهملان الإنسان الكلي الذي يشمل الجسد والروح و يختلف التفسير الإسلامي للتاريخ في نظريته المبدئية للإنسان ، فهو ذا منزلة رفيعة هي خلافة الله في الارض « وإذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة » (البقرة 30) ، فالتفسير الإسلامي للتاريخ يضع أمام أعيننا ضرورة مراعاة السنن الربانية التي تحكم الحياة البشرية ، والتي من خلالها يجرى قدر الله ، فلا بد من دراسة التاريخ من هذه السنن ، فهو تفسير واقعي يسجل الحوادث بواقعية ، ويقرر مبدأ تداول الحضارة بين الناس « وتلك الأيام نداولها بين الناس » (ال عمران 140).

والتفسير الإسلامي للتاريخ يقرر أن الحضارة تسقط إذا ما أصاب الخلل جوانبها السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

فهي في الجانب السياسي تسقط الحضارة إذا تسلم السلطة حفنة من

المترفين والطمغاة الظالمين ، وفي الجانب الاقتصادي إذا أصبح المال حكراً على فئة دون فئة فيحل الدمار والخراب « وإذا اردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً» (الاسراء 16) .

ويكون الفساد الإجتماعي في فساد العلاقات بين الناس وفقدان التوازن بين متطلبات الانسان الروحية والجسدية⁽⁵¹⁾.

لقد حرص المؤرخون على تدوين الأحداث والأخبار بدقة وموضوعية وحياد ونزاهة وهي التي تشكل الرؤية الإسلامية لعلم التاريخ ومن أجل توثيق الحقائق . حرص المؤرخون المسلمون على التأكد من صدق الرواة ، ومن اتصالهم بعضهم ببعض ، حتى المصدر الأعلى للخبر، وسمى هذا المنهج بالاسناد ، كما سمي البحث في صدق الرواة وعدالتهم ب «الجرح والتعديل ، وشاعت هذه الروح العلمية العظيمة في كل المجالات العلمية ، ووجدنا بعض كتب التاريخ تصطنع المنهج نفسه ، ومن أشهر هؤلاء المؤرخين المسعودي والطبري والبلاذري ، والمقريزي وابن عبد الحكم وابن مسكويه وابن خلدون⁽⁵²⁾.

يرى أصحاب التفسير الإسلاميين التفسيرات الغربية، المثالية أو الليبرالية، أنها تفسيرات مادية أو اقرب إلى المادية ، باعتبارها تهمل «الإنسان الكل» الذي يشمل الروح والجسد ، ويشمل عالم الضرورة وعالم القيم المطلقة من قيد الضرورة . وهو يختلف في رؤيته للإنسان والقضايا المتعلقة به والتي تكون في معظمها تاريخه ، ويقرر هذا التفسير أن التاريخ البشري هو تحقيق المشيئة الربانية من خلال ما أتاحتها للإنسان على الأرض ، وبحسب سنن معينة قدرها الله في الحياة الدنيا ، والتاريخ هو سعي الإنسان لتحقيق ذاته كلها وليس البحث عن الطعام أو السيطرة والتملك... الخ ، وتحقيق كل ما يشتمل عليه الإنسان من طاقات وقدرات وتطلعات وأشواق إلى جانب الضرورات القهرية والرغبات ، ثم هو تاريخ الفرد والجماعة في تفاعلها وتشابكها وتدافعها الذي لا ينتهي ولا يتوقف⁽⁵³⁾

ونستطيع أن نقسم المدارس التاريخية الإسلامية إلى أربع مدارس :

مدرسة التاريخ في المدينة:

هي مركز الإشعاع الفكري الحضاري لذلك كان لها دور كبير في نشأة وتطور علم التاريخ عند المسلمين ، وأهتمت بالتفسير والفقهاء والحديث والسيرة والمغازي. ومن روادها عبدالله بن عباس وتلاميذه أبان بن عثمان بن عفان وسعيد بن المسيب المخزومي وعروة بن الزبير الذي يعتبر من المؤسس الأول لعلم التاريخ عند المسلمين.

مدرسة التاريخ في الشام ومصر.

وكان نشاط هذه المدرسة الشامية ملحوظا خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين ، وكان امتياز إنتاج هذه المدرسة بالتخصص والإقليمية إلا أن بعضهم كان موسوعياً في كتابته. وقد أدت الوحدة السياسية التي شهدتها الشام ومصر على أيام نورالدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي في وجه التحديات الصليبية إلى تحول بلاد الشام إلى مركز ثقافي متنوع الأشكال ، وكان أشهر كتاب القرن السادس الهجري ابن عساكر صاحب تاريخ دمشق و الأصفهاني ياقوت الحموي، أما المدرسة المصرية فمؤسسها هو عبدالله بن عمرو بن العاص في 65 هـ و الليث بن سعدت 195 هـ وأبن عبدالحكم ت257 هـ⁽⁵⁴⁾

المدرسة التاريخية في العراق:

نشأت هذه المدرسة مستقلة وكان التنافس في البداية شديداً بين البصرة والكوفة ثم دخلت بغداد ووصلت في القرن الثالث الهجري الدراسات التاريخية مرحلة أدت إلى ظهور المؤرخين الكبار ووفرة المادة التاريخية من كتب ومصادر وروايات وظهرت فكرة التاريخ العالمي ، وفي هذا القرن ظهر البلاذري وكتابه فتوح البلدان وأنساب الأشراف ، وابن قتيبة وكتابه المعارف . واليعقوبي والدينوري والطبري⁽⁵⁵⁾

مدرسة قرطبة (الأندلس):

حكم العرب الأندلس من 92 - 897 هـ (710م - 1492م) وأعمدت الحياة الثقافية فيها على المشرق الإسلامي، غير أن الأوضاع الداخلية أثرت على كتابات المؤرخين ، ومن أشهر المؤرخين أحمد بن محمد الرازي (مسالك الأندلس وموانئها) وابن الفرضي (تاريخ العلماء والرواة) ، ابن عبد البر ، وابن الحيان، والقرطبي ، وابن الخطيب ، وكانت فكرة التاريخ في الأندلس تتطور على نفس الأسس التي تطورت بها في المشرق⁽⁵⁶⁾.

ارتبطت محاولات تفسير التاريخ - أكثر ما ارتبطت - بإتخاذ محور أساسي تقوم عليه نظرية متكاملة وتعود المحاور في الأغلب إلى الاهتمام الرئيسي لصاحب النظرية التي تلتقي عند اختيارات من يحاول تفسير التاريخ العام، واحتلت الصدارة عند أصحاب فلسفة التاريخ عوامل متعددة منها: البطولة والأبطال، العوامل الجغرافية، الإبتكار والتقليد، العوامل الإنسانية والاجتماعية والعوامل الاقتصادية... إلخ⁽⁵⁷⁾.

وهناك من الكتاب من رأى ضرورة عرض ونقد الواقعة التاريخية وربطها بالمسألة الحضارية⁽⁵⁸⁾، وهناك من أكد على ضرورة جمع وتحقيق المعلومات وذلك من خلال نقد الاصول وتحري الحقائق التاريخية وإيضاحها

وعرضها أسوة بما في علم الحديث⁽⁵⁹⁾.

ويتأثر التاريخ بنوع النظم والعلاقات السائدة والعوامل المتفاعلة في تكوينها، والمشكلات التي يجابهها الفرد والمجتمع والإنسانية، ولا بد من ربط التعليل التاريخي بسواه من العلوم⁽⁶⁰⁾. لا بد من ملاحظة أن عملية التداخلات بين تيارات التاريخ وانضباطها ترتبط بقواعد البحث العلمي التاريخي⁽⁶¹⁾.

تطور الكتابة التاريخية في السودان:

ولما كان الحديث عن المدارس التاريخية وتطورها، فلم يكن المؤرخون السودانيون بمعزل عن الحراك العام العالمي فقد تأثروا بالمدارس التاريخية في المحيط العربي والمحيط العالمي فجاءت كتاباتهم وفقاً للاوضاع السياسية والاجتماعية التي سادت آنذاك، فمثلاً غلبت على كتابة المؤرخين السودانيين في القرن التاسع عشر الاهتمام بتاريخ المهديّة والسير والانساب مما يعكس تنامي الهوية العربية الإسلامية كمعادل موضوعي للقطيعة مع الاستعمار الاوروبي المسيحي.

إلا أن منهجية كتابة التاريخ تغيرت تغييراً كبيراً بعد أن تعرف الرواد من المؤرخين السودانيين على النسق الغربي لكتابة التاريخ واعتمدوا أساليب جديدة في البحث التاريخي واستفادوا من اسهامات الأساتذة غير السودانيين في الكتابة التاريخية. وقد أشار د. علي صالح كرار إلى اسهام العلماء في كتابة تاريخ السودان مبيناً التزامهم بالمنهجية العلمية، واختار إثنين من ممثلي المدرسة الأوروبية وهما البروفيسر بيتر مالكوم هولت والبروفيسر ريتشارد هل⁽⁶²⁾.

أولاً: بيتر مالكوم هولت (1918-2006)

حرص هولت على مراجعة وتطوير انتاجه الفكري وفقاً لما يستجد من أحداث ووقائع ومصادر أساسية، واتسم هولت بصفات المؤرخ الجاد والمدقق والناقد والنزيه والمتجرد، وأبان في مقدمات كتبه ومنهجه في كتابة التاريخ، وكان أول من أرخ للمهديّة إعتماًداً على الوثائق والمصادر الأساسية، واتبع منهج البحث العلمي بحرفية تامة، وبنى كتاباً متوازناً من حيث الشكل والمحتوى، واستنطق الوثائق التي يراها شاهداً على العصر، ويعد كتابه مصدراً أساسياً لمن يعتزم دراسة الثورة والدولة المهديّة في السودان⁽⁶³⁾.

ورغم انتقاد عدد من المفكرين والكتاب له إلا أن منهج هولت إتسم بدقة منهجه وموضوعيته وحرصه على النقد المتوازن⁽⁶⁴⁾.

ثانياً: ريتشارد هل: (1901-1996م)

درس ريتشارد هل تاريخ السودان، وورد إسمه ضمن هيئة تحرير مجلة السودان في رسائل ومدونات (SNR) في عام، 1936 م وكانت تلك المجلة

تصدر باللغة الإنجليزية وتنفرد برعاية الحاكم العام لها ، وتعني بنشر أشتات من المعارف عن السودان، كما أصدر بيلوغرافيا السودان الإنجليزي المصري منذ أقدم العصور إلي عام 1937م وقد شكلت أساساً لماتلاها من أعمال وإصدارات ، كما أسس إرشيف السودان بجامعة درم وهو جمع وثائق ومذكرات وأوراق الإداريين البريطانيين الذين عملوا في السودان خلال فترة الحكم الثنائي ، كما صدر كتابه (مصر في السودان 1959م) ، وهو مؤرخ متميز اتسم اسهامه الفكري بالأصالة والموضوعية والتحليل والتوثيق والتجرد والحياد⁽⁶⁵⁾.

المدرسة التاريخية السودانية:

وأشار د. علي صالح كرار إلى إسهامات المؤرخين السودانيين في كتابة تاريخ السودان وفقاً للمنهجية التاريخية العلمية واختار من هؤلاء البروفيسر مكي الطيب شببكة (-1905 1980م) الذي أسهم في تأسيس قسم التاريخ بكلية غردون الجامعية ، وكان أول سوداني يحصل على درجة الدكتوراة من إنجلترا ، وتعلم أساليب البحث التاريخي وأثرى المكتبة السودانية بالعديد من المؤلفات، فاستهل إصداراته بتحقيق كتاب ملوك سنار الذي ألفه كاتب الشونة، كما ألف مكي شببكة كتاب (السودان والثورة المهدية) ، وكتاب (بريطانيا وثورة 1919م)، ثم كتابه (السياسة البريطانية في السودان 1882-1902م)⁽⁶⁶⁾. وأشار أيضاً إلى جهودات الأستاذ المؤرخ مندور المهدي (1921-1981م) وكان له العديد من المؤلفات أشهرها (قصة جمهورية السودان 1959م)، ثم كتابه (موجز تاريخ السودان) الصادر باللغة الانجليزية عن مطبعة أكسفورد 1965م، وكان منهجه في اعداد الكتاب هو ابراز الجوانب الاجتماعية في السودان من منظور تاريخي بلغة بسيطة وواضحة خالية من المصطلحات المعقدة⁽⁶⁷⁾ إن رواد المؤرخين السودانيين قد ساروا على نفس المنهجية العلمية التاريخية الاوروبية في الاعتماد على المصادر والوثائق وتحليلها ، كما تطور المنهج التاريخي بالاستعانة بالعلوم المساعدة في كتابة التاريخ وعلى رأسها الآثار والجغرافيا والاقتصاد والآداب والوثائق والمخطوطات وفنون الرسم والتصوير والنحت والعمارة وغيرها⁽⁶⁸⁾.

مستقبل الكتابة التاريخية السودانية :

وباستقراء تطور المدارس التاريخية بمنطلقاتها المختلفة برز المنهج العقلاني الاستدلالي كمحور أساسي في تفسير التاريخ بمعنى أن علم التاريخ قد تجاوز مرحلة التراكم الكمي والسردي الوصفي إلى مرحلة صياغة القوانين والنظريات التي تفسر حركة التاريخ خلال رحلة طويلة تطورت خلالها المعرفة التاريخية كما وكيفاً من حيث أنماط الكتابة التاريخية ، ومن حيث

تطور منهج البحث التاريخي وأساليبه وأدواته، وقد واكب المؤرخون السودانيون هذه التطورات وكانوا جزءاً لا يتجزأ منها. وفي هذا الإطار قدم بروفيسر يوسف فضل محاضرة في الملتقى الثاني للجمعية التاريخية، بين فيها الأسس والمفومات التي نستطيع من خلالها صياغة مستقبل الكتابة التاريخية السودانية.⁽⁶⁹⁾

و تحدث عن أهمية إستقراء الأحداث التاريخية والتثبت من مصداقيتها ونقدها وتحليلها ثم إعادة تركيبها في نمط سردي تكون أقرب للواقع وأكثر قدرة على توثيق مخرجات العلاقة الجامعة بين الماضي والحاضر وفق حركة إرتدادية⁽⁷⁰⁾.

وأشار إلى أهمية تطوير المنهجية التاريخية من خلال نقد فكرة الحدث التاريخي، ذلك أن المدرسة التاريخية السودانية وقعت في فخ قبول الحدث التاريخي والبناء عليه، والمؤرخ لابد له من جمع المادة وتفكيكها وإعادة إستخدامها لإعادة رسم الماضي وتفسيره من خلال نقد النصوص والوثائق نقداً داخلياً وخارجياً للتعرف على بنية الوثيقة وظروف إنتاجها.

كما أشار إلى ضرورة إستحداث دراسات الأمد الطويل في البحث التاريخي لأن التغييرات الاجتماعية والاقتصادية وتحولاتها تتم عادة ببطء شديد، وهناك العديد من الدراسات التي تتبنى هذا النهج منها على سبيل المثال: (كتاب العرب والسودان منذ القرن السابع حتى مطلع القرن السادس عشر الميلادي)، وكتاب المؤرخ محمد سعيد القدال (الإسلام والسياسة في السودان) تناول فيه ظاهرة تاريخية هي علاقة الدين بالدولة منذ دخول الإسلام إلى السودان وحتى تطبيق قوانين سبتمبر 1983م.⁽⁷¹⁾

و أشار أيضاً إلى ضرورة توظيف التاريخ لخدمة الإنسان المعاصر في السودان كتجربة مشروع سنار عاصمة الثقافة الإسلامية من أجل أن تكون النهضة الاجتماعية والاقتصادية مبنية على المعرفة التاريخية، وضرورة تأثير تاريخ السودان في المحيط الاقليمي والعالمي⁽⁷²⁾.

الخاتمة

لقد حاول المؤرخون ايجاد منهج علمي متكامل للتاريخ من أجل الوصول إلى قواعد وقوانين تسيّر التاريخ العام للبشرية، فلجأوا إلى ما عرف عندهم بتحليل الحضارات من حيث عناصرها ومكوناتها من أجل الوصول إلى نظام واحد يشملها وقوانين وقواعد تتحكم في مسيرة التاريخ، واختلفوا في تفسير التاريخ، فمنهم من رأى أن الاقتصاد هو الذي يتحكم في اتجاه التاريخ، بينما يرى آخرون أن الدين هو الموجه لمسيرة التاريخ، وهكذا فسر التاريخ

كل حسب إيدولوجيته وفلسفته ووجهة نظره مما أدى إلى ضرورة وجود منهج علمي متكامل يشمل كل هذه المقومات التي تتحكم في مسيرة التاريخ خاصة وأن التاريخ ارتبط بالمؤثرات السياسية والعسكرية في الفترة الماضية واهملت الجوانب الفكرية والثقافية التي هي أهم مقومات الحضارة.

وتنوعت المدارس التاريخية منذ العصور القديمة حيث ظهرت المدارس الدينية اللاهوتية مروراً بالمدارس المسيحية المرتبطة بالكنيسة في فترة العصور الوسطى ثم المدارس الاجتماعية والمادية والتقدمية في العصور الحديثة وانتهاءً بالمدارس المعاصرة التي تبناها أرنولد توينبي كمدرسة حديثة تبنت دراسة شاملة للتاريخ والحضارات.

ولم تكن المدارس التاريخية السودانية بمعزل عن التطور العالمي لكتابة التاريخ و قد تأثر المؤرخون السودانيون بمنهج المدارس العربية الإسلامية ثم المدارس الأوروبية الحديثة مما انعكس على كتاباتهم ومؤلفاتهم. وللوصول إلى منهجية علمية دقيقة لكتابة التاريخ لابد من النظر إلى الوقائع التاريخية من خلال مقوماتها وعواملها المختلفة حتى نستطيع الكتابة بموضوعية ومصداقية.

نتائج الدراسة:

- علم التاريخ من البحوث العلمية التي تكشف عن جهود الإنسان في الماضي.
- ارتبطت الكتابة التاريخية بالتعليل والتفسير للوصول إلى قوانين عامة تحكم مسار الأحداث التاريخية.
- تفسير التاريخ هو امتلاك رؤية لفهم واستنباط الحقائق الكلية التي تحدد مساره.
- اختلفت المدارس التاريخية في نظرياتها حول العوامل التي تتحكم في توجيه حركة التاريخ.
- التفسير الإسلامي للتاريخ هو التفسير التكاملي السليم الذي يستصحب كل العوامل المادية والروحية في تفسير الأحداث التاريخية.

التوصيات:

- ضرورة استفادة المؤرخين من المناهج العلمية والمدارس التاريخية الفلسفية قديمها وحديثها في فحص وتحليل وتفسير الأحداث والوقائع التاريخية.
- لا بد من إبراز المدارس التاريخية ومناهجها العلمية من أجل إعادة قراءة وكتابة التاريخ بصورة جديدة تتناسب وتتطور العلوم والمناهج.
- انتهاج أو تبني وجهة نظر أيولوجية في فهم الأحداث التاريخية تؤدي إلى قصور كبير في فهم التاريخ مما يستوجب إستصحاب كافة العوامل والمقومات في تفسير وتحليل الوقائع بحيادية تامة.

المصادر والمراجع:

- (1) تاج السر حران- المدخل إلى علم التاريخ -مكتبة الرشد الرياض الطبعة الاولى 2003م- ص14-15.
- (2) عبدالرحمن عبد الله الشيخ- المدخل إلى علم التاريخ- دار المريخ- الرياض- 1984م- ص3.
- (3) عفت محمد الشرقاوي- أدب التاريخ عند العرب- دار المعرفة بيروت- د.ت- ص212.
- (4) أحمد محمود صبحي- في فلسفة التاريخ- مؤسسة الثقافة الجامعية الاسكندرية الطبعة الثالثة 1990م- ص 11 .
- (5) ابن خلدون- المقدمة- تحقيق سعيد محمود عقيل- دار الحيل 2005م ص7.
- (6) المرجع نفسه- ص8.
- (7) كولن جود. ر.ج- فكرة التاريخ- ترجمة محمد بكير ومحمد عبدالوهاب- لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة- 1986م- ص43.
- (8) جلال الدين السيوطي- الشماريخ في علم التاريخ- الدار السلفية- الكويت 1399هـ- ص172.
- (9) عبدالرحمن عبدالله الشيخ- مرجع سابق- ص15.
- (10) حسين مؤنس- الحضارة- المجلس الوطني للثقافة- الكويت- 1978م- ص121.
- (11) أحمد زكريا الشلق- ما التاريخ؟ وكيف نفسره- المجلس الاعلى للثقافة 2015م- ص115.
- (12) علي صالح كرار- تطبيق المنهج العلمي في كتابة تاريخ السودان- نماذج-مجلة المؤرخ السوداني- العدد الرابع- 2017م- ص48.
- (13) السيد محمد بدوي- التطور في الحياة والمجتمع- دار الفكر- القاهرة- ص114.
- (14) تاج السر حران- مرجع سابق- ص20.
- (15) المرجع نفسه- ص35.
- (16) المرجع نفسه- ص37.
- (17) المرجع نفسه ص 39
- (18) أحمد عبدالرحمن- ابداعات المسلمين في العلوم الاجتماعية- مكتبة وهبة القاهرة 2008م- ص35.
- (19) علي صالح كرار- مرجع سابق- ص47.
- (20) أحمد زكريا الشلق- مرجع سابق- ص 11 .
- (21) عبدالله حسن زروق- دراسات في المعرفة والنقد في الفكر الإسلامي- مركز التنوير المعرفي- نوفمبر 2007م- ص141.
- (22) أحمد زكريا الشلق- مرجع سابق- ص 19 .
- (23) الباحثون المصريون : <https://www.egyres.com>

- (24) أحمد زكريا الشلق-مرجع سابق - ص 116.
- (25) المرجع نفسه - ص 117.
- (26) عبد الرحمن عبدالله الشيخ - مرجع سابق - ص 138.
- (27) المرجع نفسه ص 140.
- (28) تاج السر حران- مرجع سابق - ص 76.
- (29) المرجع نفسه - ص 79.
- (30) المرجع نفسه - ص 80.
- (31) نقولا زيادة - الأعمال الكاملة - دراسات في التاريخ - جزء 12 - المطبعة الأهلية - بيروت - 2002م - ص 422.
- (32) تاج السر حران - مرجع سابق - ص 82.
- (33) حسين مؤنس - مرجع سابق - ص 127.
- (34) تاج السر حران - مرجع سابق - ص 82.
- (35) عبد الرحمن عبدالله الشيخ - مرجع سابق - ص 141.
- (36) أنور محمود زناتي - علم التاريخ واتجاهات التفسير- مكتبة الانجلومصرية - شبكة الانترنت.
- (37) مصطفى النشار-فلسفة التاريخ-شركة الأمل للطباعة-القاهرة 2004-م-ص 9.
- (38) عبد الرحمن عبد الله الشيخ-مرجع سابق-ص 142.
- (39) تاج السر حران- مرجع سابق - ص 82-83.
- (40) عبد الحميد صديقي - تفسير التاريخ - ترجمة كاظم الجوادي - دار القلم - الكويت- 1980م - ص 87.
- (41) أحمد زكريا الشلق-مرجع سابق - ص 97 .
- (42) المرجع نفسه- ص 121-129 .
- (43) الباحثون المصريون مرجع سابق : <https://www.egyres.com>
- (44) تاج السر حران- مرجع سابق - ص 85-86.
- (45) أحمد زكريا الشلق-مرجع سابق - ص 124.
- (46) ابن خلدون - مصدر سابق - ص 9.
- (47) احمد زكريا الشلق- مرجع سابق - ص 129 .
- (48) المرجع نفسه- ص 136-138.
- (49) عبد الرحمن عبدالله الشيخ - مرجع سابق - ص 142.
- (50) أحمد زكريا الشلق - مرجع سابق - ص 138.
- (51) تاج السر حران- مرجع سابق - ص 97.
- (52) أحمد عبد الرحمن - مرجع سابق - ص 12.

- (53) أحمد زكريا الشلق-مرجع سابق- ص 143.
- (54) المرجع نفسه -ص 144.
- (55) تاج السر حران- مرجع سابق -ص115-129.
- (56) المرجع نفسه ص125.
- (57) عبدالعزیز كامل - القرآن والتاریخ - دار البحوث العلمية - الكويت - 1984م - ص98.
- (58) عماد الدين خليل - التفسير الإسلامي للتاریخ - دار العلم للملايين - بيروت - 1978م- ص127.
- (59) أسد رستم - مصطلح التاریخ - المكتبة العصرية بيروت - 1955م - ص122.
- (60) قسطنطين زريق - نحن والتاریخ (مطالب وتساؤلات في صناعة التاریخ وصنع التاریخ) - بيروت - 1963م - ص144.
- (61) وجیه كوثرانی - تاریخ التاریخ (إتجاهات، مدارس، مناهج) - المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات - بيروت - 2013م - ص235.
- (62) علي صالح كرار -مرجع سابق -ص52 .
- (63) المرجع نفسه -ص54.
- (64) المرجع نفسه - ص62.
- (65) المرجع نفسه -ص63.
- (66) المرجع نفسه -ص65.
- (67) المرجع نفسه -ص67.
- (68) يوسف فضل حسن - الكتابة التاريخية في السودان وادي النيل- الملتقى العلمي الثاني للجمعية السودانية - نوفمبر 2018م - ص 62-69.
- (69) المرجع نفسه - ص 70-72.
- (70) المرجع نفسه - ص75.
- (71) المرجع نفسه -ص76 .
- (72) المرجع نفسه-ص77-79.

الأوبئة والأزمات من الخلافة الراشدة حتى العهد الأموي

قسم التاريخ - كلية العلوم الإنسانية - جامعة الملك خالد -
المملكة العربية السعودية

د. منيرة محمد عبد الله

المستخلص: -

تناول البحث الأوبئة والأزمات من العهد النبوي إلى العهد الأموي، وهدف البحث إلى تسليط الضوء على الدولة الإسلامية في عصورها المختلفة إلى العصر الأموي موضحةً ما يجري فيها من أحداث تاريخية بفعل الأوبئة الطبيعية والأزمات السياسية وما ترتب على ذلك من تداعيات متباينة اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً، تكمن أهمية هذا البحث في تناوله جوانب مختلفة من سيرة النبي ﷺ والأزمات التي مر بها خلال فترة حكمه وكيف تم حل هذه الأزمات وأيضاً التطرق إلى جانب حياة الخلفاء الراشدين والخلفاء الأمويين بجانبهم السفياي والمرواني في إدارة الأزمات، تم استخدام المنهج التاريخي لجمع المعلومات عن تلك الفترة الزمنية الممتدة من العهد النبوي إلى العهد الأموي إضافة إلى استخدام المنهج الوصفي التحليلي في وصف كيفية احتواء تلك الأزمات وانتهائها بغية الوصول إلى نتائج والتي من أهمها أن الدولة الإسلامية منذ فجر الخلافة الراشدة وحتى نهاية الدولة الأموية بالعديد من الأوبئة والأزمات وقد تميزت الإدارة النبوية للأزمات بخصوصية تختلف عن إدارة الأوبئة والأزمات المعروفة؛ لأنها تعتمد في بعض جوانبها على الوحي والوحي يتميز بالصدق والثبات الأمر الذي جعل المجتمع الإسلامي يتميز بكفاءة عالية في إدارة الأزمات؛ وهذه الكفاءة مستمدة من إيمانه بالله متمسكه بالعقائد الصحيحة والأخلاق الفاضلة و الأزمات إحدى الوسائل التي تقرب المسلم من ربه وتقوي إيمانه، وأوصى البحث بإيجاد سبل لزيادة الاهتمام بالتاريخ الإسلامي ومنع الأخبار الكاذبة من الانتشار وأن في الأزمات استثماراً لتحقيق الأجر والثواب من خلال الصبر على المصيبة والاهتمام بالرفع من معنويات العاملين وقت الأزمات لأن ذلك يساعد في تسريع عملية انتهاء الأزمة، وأخيراً زيادة البحوث والدراسات التي تختص بجانب الأزمات المختلفة للاستفادة منها في الحياة اليومية.

Abstract:

The research deals with epidemics and crises from the era of Prophet Mohamed to the Umayyad era, the research aim is to shed light on the Islamic state in its different eras to the Umayyad era, illustrating the historical acts that occurred in due natural epidemics and political crises and the various implications of that socially economically and politically , the importance of this research is covered different biography aspects of the Prophet “peace be upon him” and the crises he was exposed to it due his reign and how this crises were resolved and also turning to the side of the Rightly Caliphs and Umayyad Caliphs life with their Sufyani and Marwani sides in crises management , the historical methodology was used to gain information about that period of time extending form Prophetic era to the Umayyad era , on addition to using the analytical and descriptive method to explain how to solve these crises in order to reach results which importance is the Islamic state from starch of the Rightly Caliphate into Umayyad state went through several epidemics and crises , the prophetic administration was distinguished by peculiarity that differ from the known epidemic and crises management , because it depends in some aspects on revelation that characterized by honesty and constancy , which made the Islamic community distinguished by high efficiency in crises management and this competence come from his beliefs in Allah and stick to the correct beliefs and morality and crises are one of the means that let Muslim closer to Allah and straiten his faith , the research recommended by finding ways to increase interests in Islamic history prevent false information from spreading, and in crises an exploiting to collect reward through patience with affectation and concern to rise the spirits of that works in time of crises , finally increasing research and studies that specializes on different crises to benefit in daily life .

المقدمة

شهد العالم عبر التاريخ العديد من الأوبئة والأزمات المختلفة وكان لذلك تأثير كبير على واقع حياة المجتمعات ومستقبلها بما يشمل ذلك التأثير في الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، ولم تنتهي الأوبئة إلا بعد القضاء على أعداد هائلة من البشرية بما في ذلك الإنسان والحيوانات، وكانت المجتمعات السكنية في تلك الفترة ذات كثافة عالية حيث يعيش سكانها بالقرب مع بعضهم بصحبة حيواناتهم بالإضافة إلى سوء التغذية الأمر الذي وفر بيئة خصبة لانتشار الأوبئة وتمكنها من مساحات واسعة، ونزلت بالناس صنوف شتى من الابتلاء مثل كالطواعين والمجاعات والفيضانات والزلازل والجفاف وغير ذلك وقد قدم المؤرخون الذين عاصروا تلك الأحداث صوراً متنوعة عن تلك الأوبئة وآثارها وعواقبها في سائر أرجاء الأرض، إضافة إلى ذلك ما مرت به تلك الفترة من أزمات سياسية شملت الغزوات المختلفة وأزمات اجتماعية كان أثرها على الأفراد والجماعات تأثيراً نفسياً والأزمات اقتصادية التي كان أثرها الكبير في غذاء الناس وتربية حيواناتهم وتجارتهم وبالرغم من انحسار الأمراض المعدية ومعدل الوفيات المرتبط بها، فإنها لاتزال تشكل تهديداً كبيراً في جميع أنحاء العالم، فنحن مازلنا نكافح كل من مسببات الأمراض القديمة، مثل الطاعون الذي أزعج البشرية لآلاف السنين وغير ذلك من الأمراض. أسباب اختيار الموضوع :

1. تسليط الضوء على بعض الأزمات والأوبئة التي تمت معالجتها في العصر الإسلامي للاستفادة منها في معالجة الأزمات الحالية.
2. فتح الباب أمام الباحثين للاستزادة في البحث والكتابة في عن العصر الإسلامي واتباع المناهج التي كانت فيه.
3. قلة البحوث في جانب الأوبئة والأزمات في بداية العصر الإسلامي.

مشكلة البحث :-

يسعى البحث للإجابة عن سؤال ماهي الأزمات التي مرت في العصر الإسلامي في الفترة من العهد النبوي وحتى العهد الأموي والسؤال انتهى بسقوط الخلافة الأموية.

أهداف البحث :-

1. توضيح بعض أشكال الأزمات والأوبئة للتمييز بينها.
2. ذكر الطرق التي تمت بها معالجة هذه الأزمات .
3. توجيه المسلمين للرجوع للسنة النبوية الشريفة بما يخص جانب إيجاد حلول للأزمات المختلفة.
4. استخلاص دروس بليغة من السيرة النبوية تفيدنا في الحاضر وربما المستقبل.

أهمية البحث :-

تتبع أهمية هذا البحث في تناوله جوانب مختلفة من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم والأزمات التي مر بها خلال فترة حكمه الأمر الذي يساهم في الرجوع إلى اتباع السنة النبوية الشريفة بمجالات الحياة المختلفة بما يشمل ذلك الرجوع إلى القرآن الكريم للامتنال بكلام الله باتباع أوامره واجتناب نواهيه وأيضا التطرق إلى جانب حياة الخلفاء الراشدين والخلفاء الأمويين بجانبهم السفيناني و المرواني .

منهج البحث :

استخدمت الباحثة المنهج التحليلي الوصفي و المنهج التاريخي نسبه لمرونته ولأن البحث يحتوي على جانب تاريخ

طرق جمع البيانات :

البيانات الأساسية تم جمعها باستخدام أداة الملاحظة ، والبيانات الثانوية تم جمعها منالمصادر ، والمراجع ، والدوريات العلمية ، والمجلات، و الرسائل الجامعية ومواقع الإنترنتذات الصلة بموضوع البحث.

تعريف الوباء في اللغة:

- وباء مفرد ، جمعه أوبئة، مصدر وَبُوَ ووبئ و ووبئ.
- وجاء في كتاب لسان العرب لابن منظور بأن الوباء الطاعون وكل مرض عام ، والوَبَاء أيضا : هو المرض العام المنتشر.
- وعرفه الخوارزمي بأنه مرض عام وجمعه الأوباء.
- وذكر الفراهيديأن الوباء الطاعون نقول أصاب أهل الكورة العام وباء شديد وأرض وبيئة إذا كثر مرضها وقد استوبأتها إذا كثرت أمراضها .

الوباء اصطلاحا:

هو مرض يعم الكثير من الناس في جهة من الجهات دون غيرها بخلاف المعتاد من أحوال الناس وأمراضهم ويكون مرضهم غالبا مرض واحد بخلاف سائر الأوقات فإن أمراض الناس تختلف⁽¹⁾.

قال ابن النفيس : الوباء فساد يعرض لجوهر الهواء لأسباب سماوية أو أرضية ، وقال الحكيم داوود الأنطاكي أن الوباء حقيقته تغير الهواء بالعوارض العلوية لاجتماع كواكب ذات أشعة ، والسفلية كالملاحم وانتفاخ القبور وصعود الأبخرة والفسادة، وأسبابه مع ذكر تغير فصول الزمان والعناصر والقلوب الكائنات وذكروا له علامات، منها الحمى والجدري والنزلات والحكة والأورام وغير ذلك.

تعرفه منظمة الصحة العالمية بأنه : «تفشي المرض بأسلوب غير متوقع وتستدعي الاستنفار» وفي هذه الحالة يصبح الوباء كارثة وخاصة إذا حدث تهديد بانتشاره بكل أنحاء العالم⁽²⁾.

مفهوم الأزمة من المفاهيم الواسعة الانتشار في المجتمع المعاصر، حيث أصبح يمس بشكل أو بآخر كل جوانب الحياة بدءاً من الأزمات التي تواجه الفرد في يومه مروراً بالأزمات التي تمر بها البلدان المختلفة وإنتهاءً بالأزمات الدولية.

الأزمة في اللغة :

جاء في مختار الصحاح أن الأزمة هي الشدة والقحط، وأزم عن الشيء أمسك عنه ، والمأزم المضيق وكل طريق ضيق بين جبلين مأزم⁽³⁾.

جاء في لسان العربي أن الأوزام (جمع أزمة) هي السنون الشدائد ، والمتأزم : المتألم لأزمة الزمان وشدته ، ويقال أصابتنا أزمة أي شدة⁽⁴⁾.
تعريف الأزمة في الاصطلاح :

تعرف الأزمة في مختلف العلوم الإنسانية بأنها مجموعة الظروف والأحداث المفاجئة التي تنطوي على تهديد واضح للوضع الراهن المستقر في طبيعة الأشياء.

كما عرفتها دائرة معارف العلوم الاجتماعية بأنها حدوث خلل خطير ومفاجئ في العلاقة بين العرض والطلب في السل وخدمات رؤوس الأموال⁽⁵⁾.
وعرفها الشعلان بقوله أنها حالة توتر ونقطة تحول تتطلب قراراً ينتج عنه مواقف جديدة سواء كانت هذه المواقف سلبية أم إيجابية وتؤثر على مختلف الكيانات ذات العلاقة⁽⁶⁾.

الأوبئة والأزمات في العهد النبوي:

لقد واجهت الدولة الإسلامية العديد من الأزمات المختلفة في حياة رسول الله ﷺ، واستطاع الرسول ﷺ وصحابته تجاوزها والظفر بمكاسب كثيرة منها وقويت شوكتهم ومن أهم الأوبئة والأزمات التي مرت بالنبي ﷺ:

1 / طاعون شيرويه (6 هـ / 127 م):

أورد النووي أن أول الطواعين كان في المدائن وسمي طاعون شيرويه، و يحدد بذلك تاريخه سنة 6 هـ، إذ قتل فيه شيرويه الملك الساساني، وأسهم الرسول ﷺ في توضيح ماهية هذا المرض للناس وتبصيرهم في الأمور الواجب اتباعها عند وقوع الطاعون في مناطق أخرى كانت سليمة، فضلاً عن ذلك فقد بين للناس أن من يصاب به شهيد⁽⁷⁾.

وقد اتخذ الرسول محمد ﷺ العديد من الأعمال في المدينة المنورة سعى من خلالها إلى جعل النظافة شعاراً أساسياً فيها، كل ذلك قلل من احتمال إصابتها بالأوبئة ومن أقواله ﷺ: (إن الله طيبٌ يحبُّ الطيب، كريمٌ يحبُّ الكرم، جوادٌ يحبُّ الجود، فنظفوا بيوتكم ولا تشبهوا باليهود التي تجمع الأكناف في دورها) (8)، وقد ترتب على هذه المساعي أن كانت المدينة المنورة اصح البقاع هواءً وأطيبها ماءً.

2/ حصار الشعب ومقاطعة قريش لبني هاشم وبني عبد المطلب:

حين لم يجد المشركون سبيلاً من منع الرسول ﷺ من تبليغ دعوته ومنع انتشار دعوته بين ضعفاء قريش وعبيدهم وبعض ساداتهم لجأوا إلى المقاطعة الاقتصادية والاجتماعية وعرفت بالصحيفة أو حصار المسلمين في شعب أبي طالب، في تلك الفترة لم يكن هناك طريقة للحصول على المؤونة وبلغ الجوع منهم مبلغه وكان يسمع من بعيد بكاء أطفالهم من الجو (9) والحصار الاجتماعي والمعنوي كان يشمل عدم الزواج منهم أو تزويجهم وعدم مخالطتهم ومجالستهم يتزوجوا منهم، ولا يخالطوهم، ولا يجالسوهم ولقد استمرت هذه الأزمة لمدة ثلاث سنوات (10)، ومن الأسباب التي أسهمت في انتهاء هذه الأزمة بذل الرسول ﷺ ونفر من صحابته أموالهم في سبيل توفير الغذاء للمعدمين والفقراء من المسلمين، كما أن أبو طالب عم الرسول ﷺ لم يتخل عن الدفاع عن ابن أخيه (الرسول ﷺ) دون أن يبالي مما تكشفوا منه قريش وأشرف على أمن النبي ﷺ وتأمينه داخل الشعب، ولقد وقف الكفار من عشيرة الرسول ﷺ موقفاً حسناً في أثناء فترة المقاطعة فقد تميز صلى الله عليه وسلم بحسن الخلق والمعاملة معهم (11).

3/ أزمة تبوك:

كانت غزوة تبوك في رجب من صيف عام تسع للهجرة (12)، وتم تسميتها غزوة العسرة، وقد سميت بهذا الاسم لشدة ما لاقى المسلمون فيها من الضنك، فقد كان الجو شديد الحرارة، والمسافة بعيدة، والسفر شاقاً لقلّة المؤونة وقلّة الدواب التي تحمل الصحابة إلى أرض المعركة، وقد كان الماء قليلاً في طريق السفر مع شدة من الحر وهذا ما بينه عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى تبوك في قيظ شديد فنزلنا منزلاً أصابنا فيه عطش شديد حتى ظننا أن رقابنا ستقطع حتى إن كان أحداً يذهب يلتمس الخلاء فلا يرجع حتى يظن أن رقبته تنقطع، وحتى أن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويضعه على بطن (13)، ولم يكن لهذه الغزوة مال ينفق عليها من بيت مال المسلمين فالناس كلهم في ضائق،

ولهذا حث النبي ﷺ على الإنفاق في هذه الغزوة ووعد المنفقين بالأجر العظيم من الله وكانت الصدقة تسلم إلى رسول الله أمام الناس حتى تدفع الآخرين وتجعلهم يتسابقون في الإنفاق في سبيل الله لقد كانت هذه الغزوة بذات تربية على التحمل وقطع المسافات الطويلة في جو شديد الحرارة، قليل الماء، وهذا تدريب يفيد الجند ويكسبهم المنعة والقدرة على التحمل في المستقبل، وقد إشارة أبي بكر الصديق للنبي بالدعاء حين كانوا في شدة من الماء وكادت رقابهم أن تنقطع من العطش ، كما أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه للنبي بأن يدعو الناس بفضل أزوادهم ويدعو لهم بالبركة، وذلك حين استأذنه الصحابة في أن ينحروا الإبل لما أصابهم من الجوع⁽¹⁴⁾.

4 - أزمة حادثة الإفك :

أجمل الله جل في علاه حادثة الإفك في عشر آيات من سورة النور فتم عرض القصة عرضاً موجزاً ومعبراً ويحمل في طياته العبر والعظات بالإضافة إلى التوجيهات الإلهية لكيفية التعامل مع هذه الأزمة ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ⁽¹¹⁾ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ⁽¹²⁾ لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ⁽¹³⁾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ⁽¹⁴⁾... إلى نهاية الآيات⁽¹⁵⁾، وكان احتواء النبي ﷺ للأزمة من خلال عدم إخباره للسيدة عائشة - رضي الله عنها - بالخبر لخوفه على مشاعرها وأذن لها أن تمرض في بيت أهلها، وعندما سمع طعن المنافقين بها كظم غيظه وضبط نفسه ولم يعنفها بل كان يواظب على زيارتها لتخفيف آلامها ورفع روحها المعنوية⁽¹⁶⁾ وقد تعامل النبي ﷺ مع هذه الأزمة بالتوكل على الله والتسليم بقضاء الله وقدره وعندما ترجح لدى النبي ﷺ براءة السيدة عائشة رضي الله عنها مما نسب إليها أراد أن يوقف الخوض في هذه الشائعة لحين وصول خبر السماء لقطع الك باليقين فصعد المنبر وقال: (يا معشر المسلمين، من يعذرني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي؟، والله ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً، وما يدخل على أهلي إلا معي)⁽¹⁷⁾.

الأوبئة والأزمات في عهد الخلفاء الراشدين: الأوبئة والأزمات في عهد أبوبكر الصديق: 1 - حروب الردة:

كَبُرَ على بعض القبائل العربية بعد تولية أبي بكر عليها أن تكون خاضعة لسيادة قريش لاعتقادهم أنها سلبتهم حريتهم وأدخلتهم تحت سلطانها بحكم الدين وقد أخذ أبوبكر على عاتقه أن يحارب أهل الردة فقد كان رأيُه أنه لا يجوز أن يهادنوا أو يصالحوا ، وإلا أنقض بناء الإسلام ركناً ، وقد بدأ جهاده معهم بالطريقة السلمية بأن أرسل رسله بكتب مفتوحة إلى المرتدين ، يدعوهم فيها من جديد إلى الرجوع إلى الإسلام وقواعده والبيعة له ، وإلا فالحرب⁽¹⁸⁾ ، وكان للثابتين على دين الإسلام دور في مواجهة أقوامهم بالوعظ والتنبية إلى خطورة ما هم مقدمون عليه مننقضهم للإيمان ، وكان رد المرتدين أن وقفوا في وجوههم ساخرين مستهزئين ثم تهادوا إلى مطاردتهم وإخراجهم في بعض الأحيان⁽¹⁹⁾ ، ولقد اعتمدت سياسة الصديق في القضاء على الردة على الله تعالى ثم على ركائز قوية من القبائل والزعماء والأفراد الذين أثبتوا في جميع أنحاء الجزيرة العربية وثبتوا على إسلامهم فقاموا بأدوار هامة رئيسية في القضاء على فتنة الردة⁽²⁰⁾.

2 - جمع القرآن الكريم :

روي أن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال أرسل إلي أبو بكر مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده قال أبو بكر رضي الله عنه إن عمر أتاني فقال إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن وإني أخشى أن يستحرق القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن قلت لعمر كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر هذا والله خير فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ورأيت في ذلك الذي رأى عمر قال زيد قال أبو بكر إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن قلت كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هو والله خير فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فتتبع القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَجِيمٌ)⁽²¹⁾. فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنها.

الأوبئة والأزمات في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه : 1 - طاعون عمواس :

وذكر ابن سعد أن الطاعون وقع سنة 18هـ وفي رواية أخرى أورد ابن عباس أن الخليفة عمر خرج في جمادي الأولى سنة 17هـ يريد الشام فبلغ سرغ، فبلغه أن الطاعون اشتعل فرجع من سرغ، وقع شيء فظيع مرووع وعرف باسم طاعون ⁽²²⁾ وكان حصول ذلك الطاعون بعد المعارك الطاحنة بين المسلمين والروم وكثرة القتلى وتعفن الجو وفساده بتلك الجثث أمرا طبيعيا قدره الله لحكمة أرادها ⁽²³⁾، وقد قال رسول الله ﷺ: إذا سمعتم بهذا الوباء بأرض فلا تقدموا عليها وإذا وقع ببلد وأنتم فيه فلا تخرجوا فرارا منه ⁽²⁴⁾. وقد اختلف الصحابة في مفهوم النهي عن الخروج والدخول للأرض التي نزل بها الطاعون والذين تأولوا النهي بأحوا الخروج لمن وقع في أرضه الطاعون والبعض أباح الخروج على ألا يكون الخروج فرارا من قدر الله والاعتقاد بأنه فرار هو الذي سلمه من الموت أما من خرج لحاجة متمحضة فهو جائز ومن خرج للتداوي فهو جائز ⁽²⁵⁾. واستشهد كثير من الصحابة وكان مجل من استشهد يزيد على خمسة وعشرين ألفا من المسلمين ⁽²⁶⁾.

٢ - عام الرمادة :

في عام 18هـ هجرية قل المطر في المدينة فلم تُزرع الأرض وقل ماء الشرب وسمي هذا العام الرمادة لأن المدينة إذا ريحت (أتها ريح) تسمى ترابا كالرماد وأن الأرض كانت سوداء ليست بها زرع فأصبح لونها كالرماد ⁽²⁷⁾، وقد استسقى عمر وأمطرت السماء فوكل بهم من يخرجون الأعراب القادمين من حول المدينة حيث عمهم القحط وكانوا عددهم يقدر بسبعة آلاف في ذات مساء جمعهم، أرسل عمر بن الخطاب إلى ولاة الأمصار كعمر بن العاص والي مصر وأبي عبيدة بن الجراح والي دمشق ومعاوية بن أبي سفيان والي حمص، أرسل عمرو بن العاص ألف بعير محملة بالدقيق وعشرين سفينة تحمل الدقيق والدهن وخمسة آلاف كساء ويقول المقريزي إن ما تحمله سفينة واحدة يساوي ما يحمله خمسمائة بعير ⁽²⁸⁾، وأرسل أبو عبيدة أربعة آلاف بعير محملة بالدقيق من دمشق، وأرسل معاوية بن أبي سفيان ثلاثة آلاف بعير من حمص، قرر عمر حفر خليج بمصر بين النيل والبحر الأحمر (القلزم) عندما أشار عليه عمرو أن سعر الطعام في المدينة سيكون كسعره في مصر وكان يقصد بحفره سكة الإمداد في الأزمات فأشار عليه المصريون أن ذلك سينقص من الخراج ولكن عمر قال له اعمل فيه وعجل ⁽²⁹⁾ ولم يزد ذلك مصر إلا رخاء.

الأزمات في عهد عثمان بن عفان وعهد علي بن أبي طالب : 1 - أزمة نسخ القرآن الكريم في عهد عثمان بن عفان :

روى الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه عن ابن شهاب أن أنس بن مالك حدثه أن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قدّم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: «يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى». فأرسل عثمان إلى حفصة رضي الله عنها أن أرسلني إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردّها إليك. فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف، بعث عثمان إلى كل أفق بمصحف من تلك المصاحف التي نسخوا، وأمر بسوى ذلك في صحيفة أو مصحف أن يحرق⁽³⁰⁾.

2 - الفتنة ومقتل عثمان بن عفان:

من أسباب اشتعال الفتنة في عهد عثمان بن عفان الرخاء وأثره في المجتمع، كما أنها مادة التنافس والبغضاء خاصة الذين لم يصقل الإيمان نفوسهم وقد أدرك عثمان رضي الله عنه هذه الظاهرة وأنذر بما سيؤول اليهم أمر الأمة من التبذل والتغير⁽³¹⁾، حدثت تغيرات عميقة في تركيبة المجتمع واختلالات في نسيجة بسبب اختلاف الأجناس والألوان واللغات والثقافات والعادات وغير ذلك بسبب الفتوحات وأكثرهم من الفرس - والنصارى العرب أو من اليهود أو من غيرهم⁽³²⁾، خروج كبار الصحابة من المدينة، العصبية الجاهلية، وقد خرج المتمردون في فرق وكان أهل الفتنة في مصر يريدون علي بن أبي طالب كخلفية وأهل الفتنة من الكوفة يريدون الزبير بن العوام خليفة وكان أهل الفتنة في البصرة يريدون طلحة بن عبيد الله⁽³³⁾ بهدف الإيقاع بين الصحابة رضوان الله عليهم، لم يظهر الخليفة قوة وحزم أمام عرب الأمصار لجأ إلى مفاوضتهم ووعدهم بإصلاح الأخطاء مما جعلهم يقبلون العودة إلى الأمصار⁽³⁴⁾، في بداية الحصار كان عثمان رضي الله عنه يتمكن من الخروج للصلاة ودخول من شاء إليه ثم منع الخروج من الدار حتى صلاة الفريضة⁽³⁵⁾ وحالوا أيضاً دون وصول الماء إليه وصار الزاد لا يصل إليه إلا خفية وقيل أنه استمر أربعين يوماً، وطلب الخارجون من عثمان رضي الله عنه خلع نفسه أو يقتلوه⁽³⁶⁾ (فقد رفض عثمان رضي الله عنه وقال لا اخلع سربالا سربانيه الله)⁽³⁷⁾ ويظهر أن الأمور تطورت بسرعة فأشعل الثوار النار في باب داره واقتحموه وكان جالساً في محرابه يقرأ القرآن، فضربوه بالسلاح وبعجوا بطنه بالحرايب وشلخوا هامته بالعمد فسال دمه على المصحف في حجره، وانتهت هذه الفتنة بقتل عثمان رضي الله عنه⁽³⁸⁾.

3- قتال الخوارج في عهد علي بن أبي طالب :

لم يتخذ علي قراره النهائي بقتال الخوارج إلا بعد أن استنفد معهم كافة وسائل الاستقطاب وأتاح لهم الفرصة للتراجع وتغيير ما بأنفسهم والتخلي عن موقفهم التمردى باستثناء أولئك الذين ارتكبوا أعمالاً جرمية وفعلاً انسحبت عدة مجموعات منهم قبل بداية المعركة فانسحب ألف ومائتان من أصل أربعة آلاف ، لقد كانت المعركة التي جرت خاطفة لم تدم سوى ساعات ، وكانت الهزيمة ثقيلة على الخوارج الذين تكبدوا خسائر فادحة ولم ينج منهم سوى أربعمائة شخص سقطوا جرحى وفي المقابل تكبد العراقيون ألفاً وثلاثمائة قتيل⁽³⁹⁾ استغل بعض الخارجين تنقلاتهم في تلك المرحلة لنشر الفكر الخارجي واستقطاب أنصار جدد لمواجهة علي مرة ثانية وبذلك دخل الموالي دائرة الصراع لأول مرة⁽⁴⁰⁾ وانتهت سلسلة هذه التحركات مع بداية عام 39هـ بنجاح علي في القضاء عليها وذلك بسبب تشتتها لكنها ساهمت في إضعاف قواته وزادت في عدد الناقمين عليها⁽⁴¹⁾ وكان هذا النصر مريراً في نفوس الكوفيين وفجر التناقضات في صفوف جيشه لأن المعركة كانت بين الكوفيين أنفسهم ، وقتل الكوفيون إخوانهم وأبنائهم وأعمامهم وأهل عشيرتهم ودفن المنتصرون موتاهم بكل ورع ، وهكذا تخلى الكوفيون عن علي في أخرج لحظات المواجهة مع معاوية فتركوه وهم منهكون من التعب الداخلي ومن تأنيب الضمير ومن الاستحياء ولم يتذمروا منه لأنهم أدركوا أنه مثلهم تماماً تجاوزته الأحداث⁽⁴²⁾ وانتهى قتال الخوارج في عهد علي رضي الله عنه بتدبير أمر اغتياله .

الأزمات والأوبئة في العصر الأموي:

الأزمات في العهد السفيني :

1- مبايعة معاوية رضي الله عنه لابنه يزيد:

ان من أسباب ترشيح معاوية لابنه يزيد : الحفاظ على وحدة الأمة فقد نظر معاوية ﷺ إلى ابنه يزيد على أنه المرشح الذي سيحظى بتأييد أهل الشام الذين يمثلون العامل الأقوى في استقرار الدول⁽⁴³⁾ وأيضاً قوة العصبية القبلية حيث أن معاوية عندما عرض خلافة ابنه يزيد له على أهل الشام وافقوا جميعاً ولم يتخلف منهم أحد وبايعوا يزيد بولاية العهد من بعد أبيه⁽⁴⁴⁾ كما أن محبة معاوية لابنه واقتناعه به وإن بداية الفكرة كانت من معاوية، وأنه كان يدرك أنه كان يقدم على أمر خطير ، بل على حدث لم يسبق إليه، ولهذا اصطفى زياداً ابن أبيه للاستشارة ، وقد أشار عليه زياد بالتؤدة فقبل ولهذا لم يقدم معاوية على الأمر الخطير إلا بعد وفاة زياد⁽⁴⁵⁾ ومن التمهيديات الإعلامية الناجحة التي قدمها معاوية ﷺ لابنه توليته أميراً

على الجيش الذي وجهه إلى غزو القسطنطينية ، وبعد أن رجع من الغزو ولاه إمارة الحج⁽⁴⁶⁾، ولقد أدرك معاوية رضي الله عنه حرص أهل الشام على بقاء الخلافة فيهم ، فقد حسم أهل الشام أمرهم ، كما إن بعض أهل العراق كانوا مهيين لتقبل فكرة توريث الخلافة⁽⁴⁷⁾ وأيضاً عقد معاوية رضي الله عنه اجتماعاً موسعاً بدمشق بعد ما جاءت الوفود من الأقاليم ، ومثلما أرسل معاوية ﷺ إلى الأقاليم يطلب منه البيعة ليزيد أرسل إلى أهل المدينة يطلب من أميرها أخذ البيعة ليزيد⁽⁴⁸⁾ لم يوفق مروان بن عبد الملك في المهمة التي كلفه بها معاوية ﷺ وعند ذلك قرر المجيء بنفسه إلى الحجاز ومعرفة موقف الصحابة من هذه القضية المهمة فجاء معتمراً سنة 56هـ⁽⁴⁹⁾ ، فلما علم عبد الرحمن بن أبي بكر وابن عمر وابن الزبير بقدم معاوية خرجوا من المدينة واتجهوا إلى مكة⁽⁵⁰⁾، وفي آخر الأمر اجتمع معاوية مع ابن عمر وابن الزبير وابن أبي بكر ثم قال : (إننا وجدنا أحاديث الناس قد ذات عوار زعموا أن ابن عمر وابن الزبير وابن أبي بكر الصديق لم يبايعوا يزيد فقد سمعوا وأطاعوا وبايعوا له ، فقال أهل الشام : لا والله لا نرضى حتى يبايعوا على رعوس الناس وإلا ضربنا أعناقهم فانتهرهم معاوية وقال : مه ! سبحان الله ما أسرع الناس إلى قريش بالسوء ! لا أسمع هذا المقالة من أحد بعد اليوم ، ثم نزل ، فقال الناس بايع ابن عمر وابن الزبير وابن أبي بكر ويقولون لا والله ما بايعنا ويقول الناس : بلى لقد بايعتم ، وارتحل معاوية ولحق الشام⁽⁵¹⁾).

٢- مأساة كربلاء في خلافة يزيد بن معاوية :

لقد شكل استلام يزيد بن معاوية للخلافة صدمة عنيفة لأهل العراق الذين عانوا من وطأة الشدة أيام معاوية ، ثم بلغهم رفض الحسين بيعة يزيد والتجاؤه إلى مكة وتنادوا إلى تشكيل جبهة معارضة ، واجتمعت الفئات المؤيدة للاتجاه العلوي في منزل سليمان بن صرد الخزاعي ، واتفقوا على أن يكتبوا للحسين يستقدمونه ليبايعوه⁽⁵²⁾ وقد حدد موقفهم السياسي وهو خلع يزيد ورفض الاعتراف بالنظام الوراثي الذي أضحى أمراً واقعاً بعد إعلان خلافته ، ولتحقيق هذه الغاية ورد عليه أول كتاب من قبل سليمان بن صرد وجماعة من شيعة الكوفة ، فيه شرح لما آلت إليه الأوضاع السياسية داخل المدينة ، وأبدى سليمان استعدادة للاستيلاء على السلطة في حال قبوله بالقدم إليهم⁽⁵³⁾ ثم تابعت الرسل بالوفود إلى مكة تدعوه للمضي إلى الكوفة وتولي القيادة في العراق وقد تضمنت الاقتراح عليه الخروج على حكم يزيد⁽⁵⁴⁾ وشعر الحسين بالتردد في بادئ الأمر ، ومالت نفس الحين إلى تلبية هذه الدعوة لكنه أثار أن يستقصي أمر هؤلاء الناس ، وفي هذه الأثناء تحرك أنصار الأمويين

ورفعوا تقريراً إلى الخلافة بدمشق بخطورة الوضع ، وسارع يزيد لعزل النعمان وعين عبيد الله بن زياد والياً للكوفة بالإضافة إلى البصرة وهو أحد الولاة المتصرفين بالقسوة⁽⁵⁵⁾ واستطاع عبيد الله أن يضبط الأمور في الكوفة بسرعة عن طريق إثارة النعرات القبلية⁽⁵⁶⁾ عندما قرر الحسين الرحيل إلى الكوفة تجاهل كل النصائح له بالتراجع عن قراره وفي العاشر من محرم عام 61هـ / 680م ، حدث ما كان متوقع دون مفاجآت تذكر ، وبعد معركة غير متكافئة قُتل الحسين واحتز رأسه وحُمل إلى عبيد الله الذي أرسله إلى يزيد في دمشق مع نساء الحسين وابنه الصغير علي الذي نجا من المعركة⁽⁵⁷⁾.

الأوبئة والأزمات في العهد المرواني:

1 - طاعون الجارف في البصرة سنة (69 هـ / 688 م):

وقع طاعون الجارف في البصرة زمن عبد الله بن الزبير (64هـ - 83هـ / 613م - 692م) إذ كان في هذه الأثناء يحكم جزءاً من الدولة العربية الإسلامية، تشمل العراق ونجد والحجاز فضلاً عن خراسان ، في حين كان يتولى الشام في الزمن ذاته الخليفة عبد الملك بن مروان (65هـ - 86هـ) واضعاً مصر والمغرب تحت لوائه ، ويروى أن الطاعون الجارف فيالبصرة سنة 69هـ استمر ثلاثة أيام فقط⁽⁵⁸⁾.

2- طاعون الجارف أو الفتيات أو الأشراف في العراق والشام (87 هـ / 70 م):

وقع هذا الطاعون في العراق (البصرة وواسط والكوفة) وبلاد الشام سنة 78 هـ 705 م⁽⁵⁹⁾ بيد إن بعض المؤرخين أطلقوا عليه تسمية مغايرة إذ سموه بـ (طاعون الفتيات) معللين ذلك انه وقع بالعدارى والنساء أولاً ، وكان الحجاج يومئذ بواسط في خلافة الوليد ابن عبد الملك (89هـ/705-714هـ). ابرز من توفي فيه من الأشراف هم : أمين بن عبدالله بن خالد(60) ومطرف بن عبدالله بن الشخير⁽⁶¹⁾.

وقد كان المسلمون قريبي عهد بطاعون عمواس الذي وقع في بلاد الشام في خلافة عمر بن الخطاب - ﷺ - وقد عرفوا أن آلية المواجهة لهذا المرض لا تكون إلا برفع الناس إلى منطقة مرتفعة حيث الهواء اصح ولم يعمدوا لفعل ذلك.

3 - طاعون مسلم بن قتيبة سنة 131 هـ / 748 م في العراق:

هو ختام الطواعين المشهورة في العصر الأموي وقع في العراق وبالتحديد في البصرة سنة في خلافة مروان بن محمد (131هـ/748م)⁽⁶²⁾ ذكرته المصادر الإسلامية باسم طاعون مسلم بن قتيبة⁽⁶³⁾ لأنه أول من قتل فيه وكان وقوعه

في رجب أو شعبان من تلك السنة واشتد في رمضان ولم يخف أو يضعف إلا في شوال، معنى ذلك أن الطاعون استمر أكثر من ثلاثة أشهر ، و وصل إلى مرحلته النهائية بعد ستين يوماً ، بعد أن اشتد هذا الطاعون في شهر رمضان كان يحصى في سكة المربد في بعض الأيام الف جنازة⁽⁶⁴⁾، أشهر من مات بهذا الطاعون أيوب بن أبي تميمة السختياني ، ومنصور بن زاذان ، وإسحاق بن سويد العدوي البصري وغيرهم كثير .

أسباب سقوط الدولة الأموية:

إن سقوط الدولة الأموية لا يُعزى إلى حادث فرد ولا بد أن تكون هناك جملة أسباب أدت إلى هذه النهاية المحتملة ومن تلك الأسباب يمكن أن نوجز الآتي :

1- تعطيل الخيار الشورى :

ضرب الأمويون نظام الشورى في الحكم ذلك النظام القائم على حرية الانتخابات وحرية المعارضة والذي كانت القيادة الراشدة نفذته التزاماً بمعطيات القرآن والسنة في هذا المجال ، ولقد ولدت خطوة الأمويين هذه التي أقدم عليها معاوية في أخريات خلافته الكثير من ردود الأفعال وبالتالي في حركات المعارضة السلمية والمسلحة ، والتي استنزفت في جسد الأمة الإسلامية طيلة العقود التالية الكثير من العناء والدماء⁽⁶⁵⁾.

2 - نظام ولاية العهد :

لقد كان نظام ولاية العهد سبباً في إيجاد البغض والكرهية ليس لدى جماهير المسلمين فحسب بل لدى أهل البيت الأموي نفسه ، فضلاً على أن الفكرة شغلت معاوية كما شغله تنفيذها إلا أنها جلبت على الخلافة الأموية كلها المشاكل وأسهمت في خلق التفكك وإضعاف التضامن في البيت الأموي⁽⁶⁶⁾ ، فقد درج خلفاء بني أمية على تولية العهد اثنين يلي أحدهما الآخر ، ويبدو أنهم سلكوا هذا المسلك تقادياً لنشوب الحروب الأهلية بعد وفاة الخليفة وقد بزر هذا المنهج بذور الشقاق وأدى إلى المنافسة بين أفراد الأسرة الأموية وأوردتهم الحقد والبغضاء إذ لم يكد يتم الأمر لأولها حتى يعمل على خلع الآخر وإحلال أحد أبنائه مكانه مما أوغد صدور بعضهم على بعض⁽⁶⁷⁾.

3 - العصبية :

مارس العديد من خلفاء بني أمية الخطيئة القاتلة ، حيث أشعلوا نار العصبية القبلية وزادوا إضرارها بالتزام هذا الجانب القبلي أو ذاك ، الأمر الذي فتت قاعدتهم في بلاد الشام نفسها وشطرها شطرين أحدهما قيسي ينتمي إلى عرب الشمال ، والآخر يمني ينتمي إلى عرب الجنوب⁽⁶⁸⁾، أن ظروف الصراع القيسي واليمني الذي حمل العرب بذوره مع انطلاقهم من الجزيرة العربية

انعكس على شخصية الدولة وألبسها تلك الملامح القومية بالإضافة إلى ظروف الفتوحات وما نتج عنها من اختلاط بين السكان وتميز العنصر العربي ويبدون أن الخلفاء الأمويين أنفسهم كانوا يستفزون هذه الخلافات ويثيرونها أحيانا أخرى كانت تفرض عليهم نتيجة تطور الأوضاع السياسية⁽⁶⁹⁾ ، حين تكون الدولة حكراً على فئة معينة من مجتمعها فإنها تضع أساس عدم استقرارها السياسي وتهديد هويتها الفكرية وانقسام قاعدتها الاجتماعية والسياسية ثم زوالها⁽⁷⁰⁾.

4- الخلافات المذهبية :

كان الخلاف حول موضوع الخلافة أحد الأسباب التي أدت إلى إضعاف الدولة الأموية ومن ثم زوالها ، كان هنالك أربعة جماعات في الميدان السياسي وهم :أنصار بني أمية ، أنصار العلويين من الشيعة ، جماعة الخوارج ، وقد أدى هذا الخلاف إلى اصطدامات دامية شغلت جانباً كبيراً من نشاطات الأمويين وأنهكتهم وكانت تعبيراً على استياء أكثر من فئة في المجتمع الإسلامي من حكمهم⁽⁷¹⁾.

5- فشل مروان بن محمد في إنقاذ الخلافة الأموية :

لم يستطع مروان بن محمد أن ينقذ الخلافة الأموية من سقوطها الكبير ونذكر من ذلك الأسباب الآتية : عدم شرعية مروان بن محمد فلم يكن له حق شرعي بالخلافة فلم يذكر اسمه في تفويض ولاية العهد⁽⁷²⁾ ، فشل مروان في تنظيم حكومة مركزية قوية من خلال نظام إداري سياسي يدعم الحكومة في الأقاليم وتساند الحكومة جيش نظامي قوي مع مؤسسات أخرى كالشرطة والمخابرات والأمن مما تسبب في انتشار الشائعات والدعايات والتنظيمات السرية التي لم تكن نشاطاتها كلها تصل إلى سمع الخليفة⁽⁷³⁾.

6- الدعوة العباسية :

ظهرت الدعوة العباسية في الوقت المناسب في وقت كان يجري فيه تفاعل في الدولة الأموية تفاعل شديد قلبها رأساً على عقب ، فأخذتها الثورة العباسية على حين غرة ، فلم تصمد أمام المفاجأة في ساعة كانت أخرج ساعة على تاريخها فسقطت سقوطها المريع⁽⁷⁴⁾.

7- النزعة العربية بين الأمويين :

سادت النزعة العربية بشكل بارز في أوساط الأمويين الذين مالو للعرب واستعلوا على الموالي (المقصود بهم أهالي البلاد المفتوحة الذين دخلوا الإسلام) وظهر أثر ذلك في تمييز العنصر العربي ، وأيضاً عمدوا إلى حرمان الموالي من الامتيازات الاقتصادية إلا أنها أدت في النهاية إلى قيام الاضطرابات التي كانت سبباً من أسباب زوال ملكهم⁽⁷⁵⁾ ، وبعد أن قضى الإسلام على النظام الطبقي

القديم وحرر في الوقت نفسه طبقات العمال والصناع والمزارعين وقد نتج عن هذا قيام طبقة وسطى وبرزوا في ميادين الفقه والأدب وإذا بهم يشعرون ليسوا أقل من العرب ويطالبون بالمساواة.

الخاتمة

ناقش هذا البحث بعض الأوبئة والأزمات التي كانت في العصر الإسلامي بما يشمل العصر النبوي وما بعده من أزمات هزت أرجاءه وكيف تعامل الرسول ﷺ مع تلك الأزمات بيته وقد انتهت تلك الأزمات بفضل من الله وقد التزم فيها الصحابة الصبر والتوكل على الله والثقة به وبزل الغالي والنفيس ، وأيضاً شمل البحث الأزمات التي كانت في عهد الخلفاء الراشدين الأربعة وكيف تعامل الخلفاء مع الأزمات التي مروا بها وكانت حادثة قتل عثمان بن عفان ؓ أعظم هذه الأزمات في تلك الفترة ، أخيراً كانت فترة العهد الأموي بشقيه السفلياني والمرواني وما مر بهما من أزمات وانتهى البحث بنهاية الخلافة الأموية وتم شرح الأسباب التي أدت إلى سقوطها.

النتائج:

1. أن المجتمع الإسلامي يتميز بكفاءة عالية في إدارة الأزمات؛ وهذه الكفاءة مستمدة من إيمانه بالله وتمسكه بالعقائد الصحيحة والأخلاق الفاضلة.
2. أهمية دراسة السيرة النبوية، وتطبيقها في كل زمان حسب مقتضيات الظروف المختلفة من الأزمات والأوبئة .
3. إن الإدارة النبوية للأزمات تميزت بخصوصية تختلف عن إدارة الأزمات المعروفة؛ لأنها تعتمد في بعض جوانبها على الوحي، والوحي يتميز بالصدق والثبات.
4. أن التعامل مع الأزمات المختلفة لا بد أن يكون بحذر تقليلًا لكمية الضرر والخروج بمكاسب وتجارب منها ..
5. أن الأزمات إحدى الوسائل التي تقرب المسلم من ربه إذا أحسن التعامل معها.

التوصيات:

1. زيادة البحوث والدراسات التي تختص بجانب الأزمات المختلفة للاستفادة منها في الحياة اليومية.
2. إيجاد سبل لزيادة الاهتمام بالتاريخ الإسلامي ومنع الأخبار الكاذبة من الانتشار.
3. ضرورة العمل الجماعي وتوحيد الصفوف لأجل الحد من انتشار الأزمات.
4. الاهتمام برفع الروح المعنوية وقت الأزمات حيث أن ذلك يساعد في تسريع عملية انتهاء الأزمة.
5. استثمار الأزمات في تحصيل الأجر والثواب من خلال الصبر على المصيبة.

المصادر والمراجع

- (1) المنتقي: شرح الموطأ للبابجي، ج 7، ص 198.
- (2) محمد محسوب ومحمد أرباب: الأمطار والكوارث الطبيعية، (القاهرة: دار الفكر العربي، 2000م) ص 195.
- (3) الرازي أبو عبد الله محمد بن أبي بكر: مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشاذلي محمد ط 5، (بيروت: المكتبة العصرية، 1999م) ج 1، ص 17.
- (4) ابن منظور محمد بن مكرم بن علي: لسان العرب، ط 3 (بيروت: دار صادر، 1414هـ) ج 12، ص 16-17.
- (5) عزت عبد الواحد: إدارة الأزمة في السياسة الخارجية المصرية، دراسة حالة أزمة الخليج الثانية، رسالة ماجستير غير منشورة، القاهرة، 1991م.
- (6) فهد بن أحمد العلان: إدارة الأزمة الأسس - المراحل - الآليات، مطابع أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض - السعودية، ط 2، 1423هـ، ص 26.
- (7) نصير بهجت فاضل: الطواعين في صدر الإسلام والخلافة الأموية (دراسة في المصادر العربية والإسلامية)، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، المجلد 9، العدد 2، 2011م، ص 3.
- (8) الترمذي: السنن، ج 5، ص 88.
- (9) أبو بكر جابر الجزائري: هذا الحبيب يا محب (المدينة: مكتبة العلوم والحكم، 1996م) ط 3، ص 128.
- (10) محمد بن سعيد البوطي، فقه السيرة، ط 6 (القاهرة: دار السلام، 1999م) ص 86.
- (11) أبو الفداء الحافظ بن كثير: البداية والنهاية، تحقيق عبد الحميد الهنداوي، (بيروت: المكتبة المصرية، 2002م) ص 283.
- (12) أكرم العمري: السيرة النبوية الصحيحة، ط 6، (المدينة: مكتبة العلوم والحكم، 1415هـ 1995م) ص 522.
- (13) علي الصلابي: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث (الإسكندرية: دار الإيمان، 2002م) ج 2، ص 673.
- (14) صفى الرحمن المباركفوري: الرحيق المختوم، ط 17 (المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، 2005م)، ج 1، ص 374.
- (15) سورة النور: الآية 11-14.
- (16) سنن ابن ماجه (2/1332) كتاب الفتن، باب العقوبات رقم (4019).
- (17) د. محمد مصلح الزعبي: إدارة الأزمات في ضوء السنة النبوية "حادثة

- الإفك أنموذجاً ” ، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية ، مجلد 10 ، عدد 3 - 2014م ، ص 148 - 151.
- (18) عبد الحكيم الكعبي : موسوعة التاريخ الإسلامي عصر الخلفاء الراشدين (عمان : دار أسامة ، 2009م) ص19.
- (19) عبد الرحمن الشجاع : دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة ، ط1 (دار الفكر المعاصر ، 1999م) ص313.
- (20) مهدي رزق الله أحمد: التائبون على الإسلام أيام فتنة الردة في عهد الخليفة أبوبكر الصديق ، ط1 (دار طيبة ، 1997م) ص4.
- (21) سورة التوبة : الآية 128.
- (22) محمد كنعان : خلاصة التاريخ لابن كثير ، ط1 (بيروت : مؤسسة المعارف ، 1997م) ص236.
- (23) الخلفاء الراشدون ، عبد الوهاب النجار (بيروت : دار القلم ، 1986م) ص224.
- (24) صحيح مسلم : تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ط1 (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، 1972م) ، كتاب الإسلام ، رقم 2219.
- (25) محمد شراب : أبو عبيدة عامر بن الجراح ، ط1 ، (بيروت : دار القلم ، 1997م) ص232.
- (26) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، ط1 (بيروت: دار الكتاب العربي ، 1997م) ، ج 2 ، ص401 .
- (27) أبي جعفر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ط ١ (بيروت: دار الفكر ، 1987م) ج 4 ، ص98.
- (28) المقرئزي : الخطط (القاهرة : الآداب، ب.ت) ج 1 ، ص40.
- (29) أبي جعفر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، مرجع سابق، ص 100.
- (30) صحيح البخاري: ج 4 ، ص1908 ، رقم الحديث 4702 باب جمع القرآن.
- (31) أبي جعفر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، مرجع سابق ، ج 5 ، ص245.
- (32) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة ، مرجع سابق ، ص 379.
- (33) أبي جعفر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، مرجع سابق، ص357.
- (34) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، مرجع سابق ، ج3 ، ص85.
- (35) ابن عساکر : تاريخ دمشق، مرجع سابق ، ص 241-242 .
- (36) محمد سعيد بن منبج الهاشمي : الطبقات الكبرى (دار صادر ، بيروت، ب.ت) ج3، ص66.
- (37) محمد بن يحيى بن أبي بكر المالقي الأندلسي: التمهيد والبيان في مقتل عثمان، حققه محمود يوسف زايد، (الدوحة : دار الثقافة ، 1985م) ط 1 ، ص46-47.

- (38) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، مرجع سابق ، ج3، ص187.
- (39) أبي جعفر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، مرجع سابق ، ج5، ص86.
- (40) البلاذري : فتوح البلدان ، تحقيق رضوان محمد رضوان (بيروت : دار الكتب العلمية ، 1991م) ج3 ، ص 247.
- (41) لطيفة البكاي : حركة الخوارج ، نشأتها وتطورها إلى نهاية العهد الأموي ط1 (بيروت : دار الطليعة ، 2001م) ص 53.
- (42) هاشم جعيط : الفتنة ، ط3 (بيروت : دار الطليعة ، 1995م) ص233-234.
- (43) توفيق اليوزكي : دراسات في النظم العربية والسياسية (الموصل : دار الكتب ، 1977م) ، ص41.
- (44) محمد عبد الهادي بن مروان الشيباني : مواقف المعارضة في خلافة يزيد ، ط1(مكة : دار اليعاقبة ، ب.ت) ص 131.
- (45) ظافر القاسمي : نظام الحكم في شريعة وتاريخ الإسلام ، ط3 (بيروت : دار النفايس ، 1987م) ، ج1 ، ص 191.
- (46) محمد بطانية : دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين ، ط1(بالأردن: دار الفرقان ، 1999م) ، ص 104.
- (47) مسند أحمد ، ج2 ، ص 325 ، الموسوعة الحديثة ، حسن لغيره.
- (48) محمد عبد الهادي بن مروان الشيباني : مواقف المعارضة في خلافة يزيد ، مرجع سابق ، 89 - 90.
- (49) أبو الفداء الحافظ بن كثير : البداية والنهاية ، مرجع سابق ، ج 11 ، ص 305.
- (50) التاريخ الصغير للبخاري ، ج 1 ، ص 103 إسناده صحيح.
- (51) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ، بسند حسن ، مرجع سابق ، ص 214.
- (52) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق مصطفى فواز وحكمت فواز ط1 (بيروت : دار الكتب العلمية ، 1995م) : ج 1 ، ص 224.
- (53) رياض عيسى : الحزبية السياسية منذ قيام الإسلام حتى سقوط الدولة الأموية ، ط ١ (دمشق: ب.د ، 1992م) ، ص 176.
- (54) أبي جعفر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، مرجع سابق ، ج5 ، ص 352-353.
- (55) الدينوري : الأخبار الطوال ، (بيروت: دار الفكر الحديث ، 1988م) ص 176.
- (56) أبي جعفر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، مرجع سابق ، ج5 ، ص 348.
- (57) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ، تحقيق خليل المنصور ط1 (بيروت : دار الكتب العلمية ، 1997م) ج 2 ، ص 8-7.
- (58) النووي : صحيح مسلم بشرح النووي (بيروت : دار احياء التراث العربي ، 1392هـ) ، ج 8 ، ص 106

- (59) ابن العسقلاني: تهذيب التهذيب (حيدر أباد: دائرة المعارف النظامية، 1327هـ)، ج 1، ص 38
- (60) ابن حبان: الثقات، مرجع سابق، ج 4، ص 40
- (61) ابن الجوزي: صفة الصفوة، مرجع سابق، ج 3، ص 22.
- (62) الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي (مؤسسة الرسالة: بيروت، 1413هـ) ج 6، ص 2.
- (63) ابن سعد: الطبقات الكبرى، مرجع سابق، ج 7، ص 302.
- (64) النووي: صحيح مسلم بشرح النووي، مرجع سابق، ج 8، ص 106
- (65) عماد الدين خليل: في التأصيل الإسلامي للتاريخ، ط 1 (مصر: دار الوفاء، 1998م)، ص 60.
- (66) حسين محمود سليمان: رجال الإدارة في الدولة الإسلامية (السعودية: دار الإصلاح)، ص 264
- (67) محمد سهيل طقوش: تاريخ الدولة الأموية، ط 7، (بيروت: دار النفائس، 2010م) ص 190.
- (68) علي محمد الصلابي: الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار (بيروت: دار المعرفة، 2008م) المجلد الثاني، ص 577.
- (69) محمد سهيل طقوش: تاريخ الدولة الأموية، مرجع سابق، ص 191
- (70) اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم: تحقيق ناصر عبد الكريم (السعودية: دار العاصمة) ج 1، ص 233.
- (71) محمد سهيل طقوش: تاريخ الدولة الأموية، مرجع سابق، ص 199-200.
- (72) فاروق عمر فوزي: الثورة العباسية (عمان: دار الشروق، 2001م)، ص 70.
- (73) ابن كثير: البداية والنهاية، مرجع سابق، ج 13، ص 266.
- (74) يوسف العش: الدولة الأموية، ط 3 (دمشق: دار الفكر، 1985م) ص 337.
- (75) محمد سهيل طقوش: تاريخ الدولة الأموية، مرجع سابق، ص 195-197.